

# **بيت العنكبوت**

# **بيت العنكبوت**

**رواية**

**العايش زهوانى**





اسم المؤلف: العايش زهواني

اسم العمل: بيت العنكيبوت

تنسيق داخلي: راغب بوتمجت

ردمك: 978-9969-515-27-5

الطبعة الأولى: 2024

الناشر: العكاظية للنشر والتوزيع

الهاتف: 0658908590

لراسلة الدار: marwa.25cben@gmail.com

---

لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء

ورقياً أو إلكترونياً أو أية وسائل أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة

المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطى من الناشر

تسنثى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

---

رأي الكاتب لا يعني رأي الناشر.

جميع الحقوق محفوظة ©

العوااظية للنشر والتوزيع



**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**وطئة:**

الرواية عبارة عن خيال وإسقاط على الواقع المعاش، أو كما يُقال حقيقة بتصرف، وقد تتشابه بعض الأسماء فيها مع أخرى في الواقع، وهي لا تمت لها بأي صلة لا من بعيد ولا من قريب.

## **إهداع**

إلى الوالدين الكريمين.

إلى زوجتي التي كانت سندًا حقيقىًّا لي في كل المحن...

إلى الشمس التي تصيء نهاري والقمر الذي ينير ليلى...

ابنتي الحبيبتيين لجين وأسيل.

إلى روح المرحومة ابنتي تسنيم.

إلى كل من أمن بقدراتي وكل من ساعدني من قريب أو بعيد.

كان يوماً عاصفاً مليئاً بالعجاج، حتى أنه لا يكاد أحد يرى غيره من مسافة قريبة، في هذه المدينة الحدودية الصغيرة التي تبعد عن عاصمة الولاية بحوالي سبعين ميلاً مسافة السّاعة إذا كانت السيارة تسير بسرعة متوسطة.

والتي ارتكز بناؤها زمن الاستعمار الفرنسي للبلاد على إنشاء منجم لاستخراج الفوسفات وتكريره، وإرساله عبر قطارات السكة الحديدية، التي أنشأها المستعمرون خصيصاً لنقله لموانئ الشمال، وإيصاله بحراً إلى مصانع التّكثير الفرنسية، والذي كان يدرّ الخير الكثير، فيستخرج منه العديد من أنواع الأسمدة والكثير من المكونات الكيميائية الطبية والصيدلانية، ويعدّ مورداً رزقاً أساسياً للبلدة، فجلّ سكان المدينة يعملون بهذا المنجم أو أحد فروعه كإدارة الوحدة التي أقيمت داخل المدينة نفسها، وأحيطت بسياج كبير ضمّ المباني الإدارية، وبعض سكنات الإداريين والعامل من ذوي الشأن الكبير، وهذا طبعاً من أكبر محاسن هذا المنجم الذي ورثته المدينة عن الاستعمار.

لكن للأسف الشديد فمن مساوى هذا المنجم أنه كان قريباً جداً من البلدة، وعلى مسافة السّبعة أميال فقط، وكان ينبعث من فوهة أفرانه العملاقة الكثير من الغبار كأنه بركان دائم الثوران، والذي يحمل في

طياته شتى أنواع الأمراض الصدرية، وجعل السكان يحسون بالاختناق، رغم محاولات المدراء والقائمين المتعاقبين على تسييره عبر السنوات المتكررة لجلب العديد من أنواع الفلاتر، التي يقال أنها تصفي الهواء الحار المنبعث من الأفران، إلا أنه يبدو أنها لم تجدي نفعا فالمدينة في تدهور مستمر، فموقعها كبوابة للصحراء ومناخها القاري، وقلة الضرر فيها زادا من الطين بلة، حيث كان لا يمر فيها خريف أو شتاء، إلا ويكون نصف أيامه عجاجا وزوابع رملية.

في هذا اليوم المغر بالعجاج من شهر سبتمبر، أول أيام الخريف اتجه محمد الذي نجح لتوه في شهادة البكالوريا إلى محطة الحافلات متوجهًا إلى عاصمة الولاية، حيث تقع الجامعة الوحيدة بالمنطقة، ليتم إجراءات تسجيله الجامعي ويكملا بقية الإجراءات الإدارية الأخرى ويحصل على غرفة الإقامة أيضًا، والتي سيمكث فيها خلال سنوات الدراسة هناك.

كانت الدولة توفر كل ذلك مجانًا لجميع الطلبة دون تمييز ولا استثناء، وبالأحرى فإنها تنتهج سياسة الدعم الاجتماعي، حيث يكون التعليم في كل أطواره من الابتدائي والمتوسط والثانوي إلى الجامعي مجانًا، ولا يتوقف عند هذا الحد بميدان التعليم فقط بل يتعدّاه للكثير من القطاعات الأخرى، كالصحة حيث يكون العلاج مجانًا أيضًا،

والدّعم الاجتماعي المخصص للمواد الغذائية الأكثر استهلاكا، فالدّولة التي لا تزال فتية، تعتبر أن ثورتها التي نالت بسببها استقلالها، ثورة شعبية قام بها الشعب برّمته، وموارد الدّولة من حقّ جميع الأفراد الاستفادة منها دون استثناء.

فمحمد هذا الشّاب الأسمر متوسّط الطول ذو العينين الواسعتين صاحب البنية المتوسطة والشعر الأسود المجعد، الطّموح الذي كان حلمه أن يكون محاميا بارعا، والذي تربى في أسرة كبيرة تشمل الكثير من الأفراد، فأبوه عمي العربي الرّجل المخضرم الذي عايش الكثير من الأجيال، فقد ولد زمن الحرب العالمية الثانية وعايش زمن الاستعمار والثورة التّحريرية التي قادتها جبهة التّحرير الوطني وكان مسبيلا فيها، يعين الثّوار بتمويلهم بالطعام وجلب الأخبار، حيث سجن في كثير من المرات في سجون الاستعمار، ولم ينسى أبدا بالثوار، حتى أنه كسر أحد أصابع يده جراء التعذيب، وبعد الاستقلال حصل على منحة المشاركة في الثورة بدرجة مسبل، وكثيرا ما كان يفتخر بذلك ، وعايش زمن الثورة الزراعية والاشراكية، وزمن العشرينة السوداء أو الحرب الأهلية، وعايش زمن جميع الرؤساء الذين حكموا البلاد، لكنه لازال بسيطا يعيش أسرته التي تتكون من ستة أفراد، ثلاث بنات وثلاثة ذكور، كان محمد أصغر الذكور وأوسط الإناث، فمعي العربي ينحدر من

الريف أين كان يقيم زمن الاستعمار الفرنسي، حيث كان فلّاحاً بسيطاً ومربياً للمواشي، وبعد حوالي عشر سنوات من الاستقلال، قرر الانتقال إلى المدينة، حتى يتسلّى له تقديم تعليم جيد لأبنائه الذين بدؤوا يكبرون، فانتقل للعيش في هذه المدينة، التي كانت حينها قرية صغيرة تنموا بسرعة، حيث اشتري شقة صغيرة تتكون من غرفتين ومطبخ وصالة للضيوف، في المدخل الغربي للبلدة.

وأمّه خالي فاطمة المرأة الحديدية التي تزوجت من عمي العربي أواخر ثورة التحرير، قبل الاستقلال بثلاث سنوات ورغم إنجابها لستة أفراد إلّا أنها لازالت بصحة جيدة، وتقوم بجل الأعمال المنزلية بمفردها، وكانت لا تفوتها صغيرة ولا كبيرة بأي شأن يخصّ أسرتها وزوجها وأبناءها إلّا وتجدها حريصة عليه حرصاً شديداً، رغم أنها بلغت من العمر عُتّيًّا إلّا أنها لا تقصّر في أداء واجباتها، كما تتبع وتهتم بكلّ ما يخص منزلها ولا تفوتها شاردة أو واردة.

أنزل محمد حقائبه ووضعها في الدوّلاب الجانبي رفقة معاون السائق، ثم صعد ليختار مكاناً له بالزاوية آخر الحافلة، في انتظار امتلاء مقاعدها وانطلاقها، حيث كانت الرياح تهبّ بقوة محملة بالأثيرية والغبار، تكاد تقتلع الحافلة برمتها من مكان توقفها، وكان السائق يحتسي كوباً من القهوة، وهو يقوم بتدوير أقراص المذيع، ثم

انبعث صوت المذيع من الإذاعة المحلية، حيث كان يبث أخبار الأرصاد الجوية، محدّراً من الاضطرابات الجوية، وينصح السائقين بتوخي الحذر المطلوب أثناء القيادة، وعدم الإفراط في السرعة، وترك مسافة الأمان، وإشعال الأضواء لعدم وضوح الرؤية من شدة العجاج.

تفقد محمد محفظته التي كانت على ركبتيه وفتحها ليخرج مجموعة من الوثائق، والصور الشمسية والطوابع البريدية، ثم قسمها في مجموعات وأخذ بعض الأظرف وخط عليها بعض الجمل والعبارات، ووزع داخلها تلك الوثائق والصور، وهو يتمتم بينه وبين نفسه، هذا ملف التسجيل للدراسة... وهذا ملف الإقامة... ملف الإطعام والنقل... ثم أعادها في جوف محفظته.

وما هي إلا لحظات حتى بدأ السائق، في استعمال المنبه لعدة مرات متتالية، معلنًا عن قرب انطلاق الحافلة، وببدأ مساعدته يصبح أمام الحافلة بأعلى صوته، هيا... هيا... تعالوا جميعا... سننطلق...

وكان يقصد بعض الركاب الذين يحجزون أماكنهم، ثم يذهبون للمقهى المقابل لتناول كوب من القهوة أو الشاي، أو يبقون على الجوانب والحواف يدخّنون بعض السجائر ويتبادلون أطراف الحديث، في انتظار انطلاق الحافلة.

وبعد دقائق امتلأت الحافلة عن آخرها وانطلق السائق بروية، ثم صاح بدون سابق إنذار قائلاً؛ يا له من يوم عصيّب، إن الله يرجمنا بهذا العجاج لشدة معاصيانا، وعدم تراحمنا وبعدها عن الدين، قال ذلك بعنف وغلظة وهو يقطب حاجبيه، وكأنّه كان يخفي تلك الكلمات التي كانت تكاد تفجّر رأسه من شدّة التفكير فيها.

فردّ عليه شيخ في الثمانين من عمره كان يجلس خلفه في أول الحافلة، يرتدي قميصاً تقليدياً، ويضع عروجاً على رأسه، ووجهه قد أكلته تجاعيد السنين، وبرفقته عجوز في الستين: نعم أصبحت كلّ هذا الهم والغم من شدة المعاصي التي يرتكبها شباب اليوم الذين لا يستحون على أنفسهم ويقلدون الكفار في كل صغيرة وكبيرة، ثم هز رأسه والتفت وراءه، ليشمل ركاب الحافلة بنظرة خاطفة وكأنه يجمع التأييد وأعقب قائلاً؛ زمان لم تكن الثلوج والأمطار تتوقف في مثل هذا الوقت من نهاية الخريف، وقرب حلول الشتاء، فالخير يأتي ببركة أهله.

وقاطعه السائق من جديد متلهفاً، وكأنّه وجد السند لأفكاره طوال الطريق، إن الرمان تغير كثيراً والناس التهمت الدنيا وحب ملذاتها، ولم تبق في قلوب الناس الرحمة كما كانوا زمان، أليست رحمة الله تأتي برحمة البشر لبعضهم البعض.

ونطق أحد الشبان كان ينصلت إليهم بانتباه، ويجلس برفقة ثلاثة شبان آخرين في منتصف الحافلة، وكان مظهراهم عصرياً ولباسهم شبابياً، وتصفيقة شعورهم تواكب أغليها الموضة العصرية، ويوجي مظهراهم بأتم طلبة جامعيين في سنواتهم الأخيرة قبل التخرج، وهم معادون على ارتياح الحافلة، ويعرفون السائق أشد المعرفة.. مخاطباً السائق والشيخ معاً وبنصف ابتسامة: أنتم مصابون بالهذيان ولا أعرف من أين تأتون بهذه التخاريف، وانفجر بقية أصدقائه ضحكاً وهم يقهقرون، ثم واصل أحد زملائه الكلام، لا أعرف لماذا كلّ الشيوخ والذين فاتتهم قطار الحياة ينرّهون جيلهم كأنهم أنبياء لا يخطئون، ومقاطعه ثالث وهو ينظر لزملائه مستهزئاً: ربّما أفعالكم كانت أشنع من جيل اليوم بكثير إلا أنكم لا تحسّون ولا تعرفون بذلك فلا أحد يدمر نفسه بالتأكيد.

وردّ عليهم السائق متذمّراً دون أن يترك لهم مجالاً لإطالة الحديث، أنتم شباب اليوم يدفعكم العنفوان ولا تدركون ما تفعلون أو حتى ما تقولون، والغريب فيكم أنكم تجهلون دينكم، ولا تتبعون تقاليدكم، ثم سكت برهة وهو يتجاوز أحد الشاحنات بصعوبة بالغة وأكمل قائلاً: أنتم لا تجيدون سوى تقليد ما يأتي من وراء البحار، وما تشاهدونه في دور السينما وشاشات التلفاز.

ورد عليه أحد الشبان، قائلاً: المشكلة ليست فينا بل فيكم أنتم الكهول والشيوخ فأنتم متغضبون ومنغلقون على أنفسكم ولا تؤمنون إلا بما وجدتم عليه أباءكم وأسلافكم السابقين.

وساد بعض من الصمت، ثم رفع محمد رأسه وقال بصوت هادئ: إن سبب هذا العجاج وجفاف الأرض وقلة الأمطار ليس نتيجة لهذا ولا ذاك بل هو نتيجة لتغيير المناخ، فاستدار له أولئك الشبان منتبهين وأكمل قائلاً: وبسبب الاحتباس الحراري الذي حدث منذ انفجار المركبة الروسية تشنوبيل التي أحدثت ثقباً كبيراً في طبقة الأوزون المحيطة بالكرة الأرضية، والتي تتسع سنوياً بسبب الزيادة الكبيرة لسكان الأرض الذين لا يحافظون على البيئة، وكذلك بسبب التّقدّم الرهيب للصناعات في العالم، والتي تستعمل أغلىّها المواد الأولية المضرة بالبيئة، والتّطور السريع للعديد من دول العالم التي كان أغلبها فلاحية وأصبحت صناعية تنافس الكبار، وانتشار المصانع والسيارات والقطارات والطائرات، وما تنفس جميّعاً من سموم، ثم أشار بإصبعه لموقع منجم الفوسفات وأردف قائلاً: لا ترون كمية الدخان التي تخرج من فوهاته كل يوم، كما أن العجاج نفسه من ناحية أخرى يعد سنة الله في الطبيعة، والتي في بعض مواسمها تسهل عملية ولادة بعض الحيوانات، لتخفي صغارها عن الضواري المفترسة، حتى يشتّد عودها

كما أن الرياح تلقي عديد الأشجار والأزهار ببعضها، جراء نقل ذرات الطلع بينها، إضافة إلى أن مناخ هذه المنطقة نفسه، يساعد على حدوث الزوابع الرملية والعجاج بطبيعته الشبه صحراوية، وأراضيها الجرداء القاحلة القليلة الأشجار، التي كانت في زمن ما تخصص لرعي الأغنام وزراعة محاصيل الشعير والقمح.

فسكتوا وعم الهدوء كل أرجاء الحافلة، وأخذ الجميع يحدّق ناحية محمد، وكأنهم يستلمون مما يقول ما عدا ذلك الشيخ، وكأنه لم يفهم شيئاً مما كان يسمع، وأن رأسه قد أغلقت منذ زمن بعيد على ما بداخلها من أفكار، وأصم أذنيه عن تهذيب أفكاره ومفاهيمها، وردد مستهزئاً أنتم شبان اليوم تتفلسفون كثيراً ولا تعرفون شيئاً عن الحياة.

وأكمل السائق كلام الشيخ معقباً؛ وبنبرة استهزاء، إن شبان اليوم لا يعرفون إلا تقليد وتصديق وإكبار وإجلال كل ما يأتي من وراء البحار، ولا يأبهون بشيء سوى ملذات الحياة، ولا يدركون أنهم مستعمرین فكرياً وعقائدياً.

نظر إليه أولئك الشبان وتهامسوا بينهم، في وشوشة وابتسamas وقهقات منخفضة، وكان لسان حالهم غير آبهين بشيء، أما محمد فقد دنون برأسه مبتسمـاً، وواصل شرحـه قائلاً؛ لقد قلت لكم إنـها سنة الله في خلقـه، وقد قرأت أنه ذكر لنا ابن خلدون في مقدمـته

المشهورة عن أهمية الغبار فقال: إن الأرض بعد تقلب الفصول من فصل إلى فصل، تبدأ بلفظ أمراض وحشرات لو تركت لأهلكت العالم فيرسل الله الغبار، فتقوم هذه الآتيرية والغبار بقتلها.

فالأرض بعد الرطوبة تلفظ الكثير من الأمراض خلال فصل الشتاء، فلا يقتلها وبعدها إلا الغبار، ويعتبر الغبار بالرغم من أنه ظاهرة مزعجة هو الخط الدفاعي الأول للإنسان ضد الكائنات الحية من حشرات ومتربات تضر به أو تسبب له الإزعاج، ويتراوح حجم حبة الغبار حسب حجم الحشرة، فبعضها ذات حجم صغير يدخل في عيون الحشرات، أو يدخل في أنوفها وفي جوفها، وفي آذانها حتى يميتها، فالحشرات لا يقتلها وبعدها إلا الغبار، وما من شيء خلقه الله سبحانه وتعالى إلا وله فائدة، ثم تفحصهم جيداً بنظرة ثاقبة تحمل الكثير من الثقة والكثيراء وهو يحك ذقنه الأملس بأصابع يده.

فهبت الجميع مشدوهين من عذوبة كلامه وقوته حججه وبراهينه ثم سكتوا جميعاً، ولم يعقب أحد عن كلامه هذه المرة، وامتنعوا عن مواصلة الحوار، الذي أوشك أن يصير جدلاً لا نهاية له، بين جيلين مختلفين كل منهما يريد الفوز بالنقاش، ويرى أن رأيه سديد، أما سائق الحافلة فضغط على أحد أقفال المدىع بقوة، فارتفع صوته لتبثع منه موسيقى القصبة الرکروکي التقليدية، وتملاً أرجاء الحافلة التي

كانت تسير ببطء في المرتفعات، التي تزداد انحناءاتها كلما تقدمت نحو الشمال، حيث التلال والجبال المرتفعة، والأرض أكثر اخضرارا، وتتنوع فيها بعض الأشجار، عكس ما تركته ورائها جنوبا من أراضي مصفرة ومقدفة وجافة.

وصلت الحافلة إلى المحطة وسط عاصمة الولاية حيث بدأ الركاب في النزول الواحد تلو الآخر، ثم هبط محمد متىقاً من شدة التعب، فالرحلة دامت حوالي الساعة ونصف الساعة، ثم تقدم إلى مساعد سائق الحافلة حيث فتح دولاب الأمتعة وأخذ يناول الركاب حقائبه وأشياءهم، حمل محمد حقيبته على ظهره وهو يمسك محفظته بيده اليسرى، وانطلق مسرعا نحو الباب الأوسط من السور الروماني الكبير الذي كان يحيط بوسط المدينة العتيقة لعاصمة الولاية، هذه المدينة العريقة التي أنشأها الرومان بعد سقوط قرطاج، رفقة المدن الأخرى التي تحيطها من الغرب لتحمّها من هجمات القبائل البربرية، حيث زحف الرومان غربا وانشئوا الكثير من الحواضر والمحصون، وكانت هي أحد أقدم وأكبر تلك الحواضر الرومانية، ثم تعاقبت عليها الكثير من الحضارات، التي تلت سقوط الدولة الرومانية، منها البيزنطية التي جاءت على أنقاض سابقتها، والوندال الذين احتلواها لزمن، والحضارة الإسلامية التي عمرت طويلا بمختلف مراحلها، بعد

فتح بلاد المغرب، وأخرها الاستعمار الفرنسي الذي مكث لأكثر من قرن وربع القرن، وهذا ما اكسسها رونقا تقليديا بعقب التاريخ، وتمازجت كل تلك الحضارات القديمة في طياتها، وظهور ذلك جليا في نوعية بنياتها، بين طابع روماني للسور المحيط بوسط المدينة القديمة من كل الجهات، وبأبوابه وأقواسه المتنوعة، وال محلات والبنيات بداخله التي جاءت على العمارة العثمانية الإسلامية، والسوق اليومي والكنيسة والفيلات والبنياء التي جاءت على الطراز الأوروبي الفرنسي القديم.

شق محمد طريقه وسط زقاق المحلات المقابلة تحت البنيات المصطفة على طول الشارع الكبير، الذي يقسم وسط المدينة لنصفين، وينتهي بساحة كبيرة اصطفت فيها بعض المقاهي، والمطاعم المجاورة، وعلى جانبيها بعض كراسى من حديد صدى قديم، وكان الشارع يعج بحركة كبيرة من المارين، وعلى أرصفته بعض الباعة المتجولين يعرضون سلعهم على الأرض وعلى بعض الطاولات الصغيرة، وهو يصرخون بأسمائها البخسة، ومتنافسين على جلب المشترين، كما كانت تتفرع منه على الجانبين مداخل الأرقعة الضيقية، حيث يختص كل زقاق فيها بنوع من المنتجات والسلع التجارية والمعروضات، فهذا لألبسة النساء والأطفال وذاك للملابس الرجالية، وأخر للأواني المنزلية، وذلك للأجهزة الإلكترونية وأخر للحرف التقليدية، ولا يكاد

يكون شيء إلا وتجد له مكاناً في محلات وسط المدينة لبيع فيه، حتى أن هناك أزقة بأكملها كانت مطاعم لتقديم الأكلات التقليدية والشعبية والمشاوي الشهية.

شق محمد طريقه في الشارع الكبير الذي يقسم وسط المدينة لشقين متقابلين أفقياً، ويلتقي مع الشارع الكبير الثاني الذي يشق وسط المدينة عمودياً، في ساحة مستطيلة بالمنتصف، بحيث أن جل الأرقة تتفرع عن هاذين الشارعين الرئيسيين، وهو يهرب مسرعاً ليصللحطة سيارات الأجرة، ذات اللون الأصفر المعتاد، والتي اصطفت وراء بعضها على الجانب الخارجي الشمالي للسور الروماني القديم والتي تنقل الركاب من وسط المدينة ومحيطها العمراني إلى باقي الأحياء بالحواشي.

وكان صاحب السيارة التي في المقدمة ينادي الحي الجامعي الحي الجامعي، ثم استدار وسأل محمد دون سابق إنذار وهو بهم بفتح الباب الخلفي، هل أنت ذاهب للجامعة؟ شخص واحد وننطلق.

محمد أجل ثم ناوله الحقيقة ليضعها السائق بالصندوق الخلفي للسيارة، وانطلق وسط الزحام الشديد للسيارات فهكذا تبدو المدينة بداية أيام الأسبوع، حيث يعود تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات لمقاعد الدراسة والعمال والموظفو لمقررات عملهم، ويأتي الزوار بكثرة

من مختلف البلديات والأرياف وكل النواحي المحيطة التابعة للولاية لقضاء حوائجهم المختلفة، فأغلب تلك البلديات تفتقر لأدنى احتياجات ساكنيها، وتواجه كل الإدارات المركزية والهيئات العامة في المدن الكبرى، فهذا جاء لموعد طبيب، وذاك لشراء قطعة غيار، وأخر للإدارات المركزية بغية استخراج بعض الوثائق واستكمال بعض الملفات الإدارية، وهذا ما زاد من الضغط على عاصمة الولاية طيلة أيام الأسبوع، ماعدا أيام العطل الأسبوعية حيث ينخفض الزحام.

وبالرغم من قصر المسافة من وسط المدينة للحرم الجامعي الذي يقع بالمدخل الشمالي الغربي للمدينة، والتي لا تتعدي الميلين، إلا أن وصول سيارة الأجرة دام أكثر من نصف ساعة، حيث كانت تسير كالسلحفاة وكثيراً ما تتوقف عند إشارات المرور المتالية، والازدحام والاختناق المترکرة في أغلب الشوارع والتقاطعات.

نزل محمد وحمل حقيبته ومحفظته واتجه مباشرة صوب الحرم الجامعي، حيث كانت أغلب مبانيه الشاهقة تتراءى من بعيد، وبالأخص ذلك البرج الزجاجي الذي يتوسطها، وكان المدخل الرئيسي أو البوابة الكبرى، تشبه إلى حد كبير ذلك القوس الروماني، الذي بني على أحد الأبواب الرئيسية بالسور الروماني المحيط بوسط المدينة، المعروف والذي يرمز للمدينة بأكملها، حتى أنك لا تستطيع أن تفرق بينهما من

شدة التشابه كأنهما توأمان، وما إن لامست قدماه مدخل الباب حتى سأله أحد الحراس، الذين كانوا يقفون أمام الباب، ويرتدون سترات سوداء كتب على ظهرها الأمن الداخلي، إلى أين؟!

رد محمد إلى مصلحة التسجيلات الدراسية الجامعية، وبعدها سأتجه إلى مصلحة حجز غرفة الإقامة، وإتمام إجراءات الإطعام والنقل.

الحارس هل أنت طالب جديد؟!

محمد أجل سيدى.

الحارس تقدم مباشرة إلى الأمام، وعلى اليمين ستظهر لك نيابة المديرية الخاصة بالتسجيلات الجامعية الأولية، وبعد إتمام التسجيلات، ستجد أمامك حرس وأعون أمن داخلي آخرين، أسأ لهم وسيوجهونك حيث تريده في كل مرة.

محمد شakra جزيلا، أكمل محمد طريقه مهرولاً وسط تلك المباني المتشابهة والمتحابلة، والتي كانت تبدو كأنها علب كبيرة اصطفت في لوحة هندسية رائعة، وفي وسطها مساحات خضراء وأشجار منظمة وبعض الكراسي للجلوس على جانبها، ويظهر من ملامحها أنها الإقامة الخاصة بالذكور، وفي آخرها مبني كبير يختلف هندسياً عن سابقيه

وبعض الكراسي الإسمنتية للجلوس أيضا، إنها الإدارة والمطعم المركزي الخاصين بالخدمات الجامعية، وهناك أيضا بعض المباني الأخرى، التي عزلت بحائط عن البقية، ويبدو أنها إقامة البنات، ويفصل بينها وبين إقامة الذكور ملعب رياضي ترابي، وكان هناك طريق آخر موازي يربط تلك المباني جميعا بالمطعم والإدارة.

وعند وصوله أمام المطعم المركزي، استدار ناحية اليمين لتظهر أمامه مباني أخرى ضخمة، وعالية تختلف عن سابقاتها في الهندسة والعمaran، اتجه صوتها ليتراءى له مبني آخر كبير، لا يبعد كثيرا عن ذلك البرج الزجاجي الشاهق العلو، وكان يقع بحركة الطلبة ذهابا وإيابا، وعلى مداخله تجمعت أعداد كبيرة من الطلبة المختلفة ألوانهم وبأblesthem الجديدة وكأنه يوم عيد.

دخل محمد وسائل أحد الطلبة المارين أمامه قائلا؛ أخي أين مكتب تسجيلات الطلبة الجدد؟

الطالب: تقدم قليلا حيث يتواجد ذلك التجمع الطلابي وارفع رأسك ستجد لافتة كتب عليها نيابة الجامعة للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات، ثم اصعد إلى الطابق الثاني واتّجه إلى اليسار، هناك تقام التسجيلات الأولية للناجين الجدد وفي جميع الاختصاصات.

محمد شكرالك أخي.

ثم تقدم وصعد السالم واتجه يسارا ليجد قاعة فسيحة، حيث اصطفت بعض الكراسي على جانب من أحد جدرانها، وأمامها ازدحμ الكثير من الطلبة على أبواب عدد من مكاتبها المتتالية، والتي يبدو أنها جمعت فيها مصالح التدريس لمختلف الكليات مؤقتا في فترة التسجيلات الأولية، كما يحدث بداية كل سنة جامعية، وكل مكتب يخصص لقسم من الأقسام، وكان على مدخل كل مكتب حارس ينظم دخول الطلبة كل حسب دوره لإتمام إجراءات التسجيل.

تعمق محمد داخل تلك القاعة وهو يشق ازدحام الطلبة، من الداخلين والخارجين والمنتظرين، ويتفحص ما كتب على اللافتات أعلى الأبواب، إلى أن لمح أحدها مكتوب عليه تسجيلات قسم الحقوق والعلوم القانونية، ثم توقف لينظم لذلك الطابور الذي تزاحم فيه الطلبة قبيلة مدخل المكتب، وقد أنهكه الإعياء وظهرت على وجهه الدهشة فهو لم يعتد على مثل هذه الأجواء، من قبل واتكاً على الحائط متظروا دوره، حتى غشيه بعض النعاس من شدة التعب، وكان ذلك الطابور يتقدم ببطء شديد، إلى أن حان دوره وكان الزمن قد قارب الظهيرة، ليدخل ذلك المكتب الضيق الذي كان ينم عن كثير من الفوضى، فقد اكتظ بالملفات والوثائق الإدارية المنتشرة على المكتب

نفسه، وعلى تلك الطاولة الطويلة، التي كانت خلف الموظفة، وتتوسط المكتب دون تنظيم، وكانت في آخر المكتب خزانتين مهترئتين مليئتين بعلب امتلأت بملفات كثيرة، وتكدست فوقها أيضاً، جلس على كرسي مهترئ، بينما كانت الموظفة مهتمة في ملئ بعض المعلومات في أحد الدفاتر الإدارية.

ثم ما لبثت أن رفعت رأسها قائلة: هات ملفك أسرع فما زال خلفك الكثير من الطلبة، الذين تتضاعف أعدادهم كل سنة كالجراد، ثم أردفت قائلة: وهي تقطب حاجبيها، إن هذه الأيام لا تنتهي ستمر علينا أيام التسجيلات كأنها أعوام.

أخذ محمد يرتب وثائق ملفه وهو يسجّلها من محفظته، ثم سلمه إياها قائلاً: تفضّلي سيدتي.

أمسكت الملف وأخذت تتفحصه وثيقة وراء أخرى، ثم تمعنت في الصور الشميسية، وأخذت تقلب شهادة الباكالوريا من الجهتين وتهزّها يميناً وشمالاً، كأنها تفحص قطعة من الذهب الخالص وقالت: في الكثير من الأحيان نكتشف بعض منها مقلدة ومزورة، وأنا أصبحت خبيرة في ذاك، نتاج سنوات عملِي الطويلة، ثم هزت رأسها وتمعنَت في وجه محمد جيداً، وأكملت قائلة: إن أغلب الطلبة القادمين من

بلديتك مهذبون، ولا يتسببون لنا في مشاكل تذكر أتمنى أن تحدو  
حذوهم.

ردّ محمد بصوت خافت نعم سيدتي وأنا كذلك.

وكانت تتمتم وهي تملأ بعض الاستمرارات، وتضع علمها صوراً وتضع  
فوقهم بعض الأختام، ثم طلبت منه التوقيع في دفتر التسجيلات، وعلى  
تلك الاستمرارات أيضاً، وناولته بطاقتين قائلةً: هذه بطاقة الطالب  
وهذه تخص المطالعة في المكتبة واستعارة الكتب منها وهذه الشهادة  
المدرسية لعامك الأول، وكل بداية سنة جديدة ستقوم بنفس  
الإجراءات تقريباً، لكن على مستوى الكلية، وستعتمد على ذلك، ثم  
وقفت وهي تفتتش بين مجموعة متراكمة من الملفات وقالت دون أن  
ترفع رأسها أيضاً، تستطيع الآن الانصراف، وأي معلومات تخص  
مسارك الدراسي طيلة السنوات القادمة، ستتجدها لدينا على مستوى  
مصلحة التدريس، أو بالمكتب الملحق لها وهو لرئيس قسم الحقوق  
والعلوم القانونية الذي ستدرس فيه، وهما يتواجدان على مستوى  
كلية الحقوق وليس هنا فيه مصالح التدريس المركبة حيث تقوم  
بداية كلّ سنة بالتسجيلات الأولية فقط، ثم نعود لمكاتبنا الأساسية  
على مستوى كلياتنا، يعني أنك بعد اليوم ستتجه دائماً إلى الكلية.

انصرف محمد وعاد مباشرة إلى الإدارة الخاصة بالخدمات الجامعية، والتي كانت لحسن حظه بنفس الطريق الذي سلكه أثناء قدولمه، بمحاذة المطعم المركزي داخل الإقامة الجامعية نفسها، والملاصقة تماماً للإقامة الجامعية للطلاب.

ومع وصوله إلى البوابة اجتاز مسرعا دون أن يلتفت إلى الحراس، الذي كان متزوريا وراء مكتب خشبي صغير، لكن ناداه قائلا: إلى أين أمهما الطالب؟

محمد: إلى مكتب الإقامة والإطعام والنقل فأنا طالب جديد.

## الحارس: الطابق الرابع على اليمين.

محمد: شکرا.

أكمل محمد طريقه إلى آخر المبنى، ليصعد السالالم من جديد وهو يتألف أفال... هذه السالالم لا تنتهي، ومع وصوله لمدخل الطابق الرابع وجد نفس الاكتظاظ الذي مرّ به أثناء عملية التسجيل للدراسة في مصلحة التدريس بالقسم، وكأنهم نفس الأشخاص نسخوا من جديد، نفس مظاهر الازدحام في كل مكاتب إدارات هذه الجامعة، يا إلهي هذا الزحام لا ينتهي، صاح وهو متوجّه للمكتب الأول الخاص بإتمام إجراءات الحصول على غرفة بالإقامة الجامعية، ثم ما فتئ أن انضم

لذلك الطابور الطويل، فيبدو أنها ستصبح عادة يومية، وعلى الطالب أن يتدرّب على الصبر عليها، فحيث ما وليت وجهك أو قصدت مكتباً إدارياً للحصول على بعض الوثائق، أو لإتمام إجراء ما تجد الطوابير والسلالم، ويبدو أن الموظفون أيضاً يتقدّعون في أداء مهامهم الإدارية، إضافة لكثرّة الإجراءات البيروقراطية المعقدة التي تفرضها القوانين الكثيرة.

هكذا كان محمد يحدث نفسه، وبعد انتظار طويلاً جاء دوره، طرق الباب بادئاً بالسلام عليكم، لكنه لم يسمع الرد، وكانت هذه المصلحة لا تختلف كثيراً عن سابقتها، إلا أنّ موظفيها هذه المرة رجلين، رئيس مصلحة الإيواء والإطعام، ورئيس مكتب النقل الجامعي الذي يتبعه، حسب ما قرأه محمد على مكتب ذلك الرجل الأبيض والأصلع السمين، الذي لا يكاد يبح مكانه من شدة سمنته، وهو يتنقل في أرجاء المكتب ويرتب الملفات والوثائق، ومعاونه الذي كان بجانبه، والذي لا يختلف عنه في المظهر كثيراً، إلا أنه أسمراً قصيراً، ثم هز ذلك السمين الأبيض رأسه قائلاً: هات ملفك ونسخة من الشهادة المدرسية وأرني بطاقة الطالب.

محمد بصوت منخفض وقد أنهكه التعب: تفضل سيدتي.

تمعن في البطاقة جيدا ثم نظر إلى محمد ليتأكد أنه صاحها، ثم أعادها إليه وأخذ يتفحص الملف، وينثر كل وثيقة على حدى فوق مكتبه المتهري، وبعد بعض دقائق سلمه بطاقتين قائلا؛ هذه للإطعام احتفظ بها لاستظهارها لحراس المطعم عند الدخول لتناول الوجبات وهذه للنقل، وأضاف له شهادتين قائلا؛ وهذه إحداها سلمها لمسؤول الجناح حيث ستقيمه والثانية احتفظ بها لك.

خرج محمد مسرعا فالساعة قاربت ما بعد العصر، وقد أنهكه التعب والإعياء، واتجه إلى إقامة الذكور عبر الطريق الذي يمر صعودا، من المطعم المركزي أمام إقامة البنات، ثم الملعب الرياضي وصولا إلى إقامة الذكور، التي كانت على مقربة من الباب الكبير حيث دخل صباحا، كان يرفع رأسه لمدخل كل جناح أ.. ب... ج.. د.. س.. نعم إنه الجناح "س" .. ويبدو أن موقعه جميل، فهو يقابل مباشرة الملعب الرياضي ومن وراء الملعب إقامة الإناث، ومع دخول محمد عنبة باب الجناح حتى سمع بعض الضجيج، فالتفت على يمينه ليظهر له مجموعة من الطلاب، أمام مكتب داخل الجناح غير مرقم وذو باب كبير بخلاف البقية، التي كانت مرقمة أعلى أبوابها وذات أبواب صغيرة، والتي كانت تبدو جميعها أنها غرف ما عدا آخر الأروقة، حيث تواجدت الحمامات، كتب في جدرانها أحرف باللغة الأجنبية، وأبوابها مفتوحة

على الدوام، تقدم داخل الرواق الأيمن حيث كانت الغرف متقابلة، حتى وصل لذلك التجمع الطلابي والذي كان كالعادة في طابور أمام مكتب مسؤول الجناح، وكل منهم ينتظر دوره للحصول على غرفة.

تهد محمد قائلاً؛ يا إلهي طوابير... طوابير. لا تنتهي، أليس هناك مكان في هذه الجامعة يخلو من الطوابير، ثم انظم إليهم وما فتئ أن التحق آخرون وراءه، وبعد حوالي نصف ساعة من الانتظار، حان دوره فدخل لمكتب مسؤول الجناح، وما لبث أن وضع قدماه داخل المكتب إلا وصاح في وجهه أسرع... أسرع... ما زال وراءك الكثير، كان رجلاً في الخمسينات من العمر وجهه بين الحمرة والسمرة متوسط الطول والوزن، يرتدي نضارة طبية وإحدى عينيه بها حول ناحية اليمين، يلبس بدلة كلاميسية ويبدو أنه حاد الطباع.

قدم له محمد شهادة الإقامة التي جلبها من مصلحة الإقامة بالإدارة، ونسخة من شهادته المدرسية وبطاقة الطالب التي جلبها من مصلحة التدريس أيضاً.

بسريعة أمسك بها وأخذ يتفحصها الواحدة تلو الأخرى، ويتمعن في قراءتها ويرفع رأسه، ليتأكد من أنه الشخص نفسه الذي أمامه، وسألَه قائلاً؛ هل أنت بصحة جيدة.

محمد مستغرب؟! نعم الحمد لله بكمال الصحة والعافية.

ثم استدار خلفه حيث كانت هناك لوحة خشبية، ملتصقة على النصف العلوي من الجدران، وعلقت فيها عشرات المفاتيح المرقمة، في جدول مقسم لمربعات متتالية، وجلب أحد المفاتيح وفتح أحد الدفاتر الكبيرة، وطلب من محمد الإمساء في أحد الخانات، وهو يقول ما دمت بصحة وعافية اللّه يديمها عليك، غرفتك ستكون في الطابق الرابع والأخير، ثم سلمه المفتاح قائلاً: الغرفة رقم 44.

استلم محمد المفتاح واستدار دون أن ينبع بنت شفه، من شدة التعب والإعياء، وخرج ليصعد تلك السلالم وهو يتمتم، سلام... سلام... طوابير... لا تنتهي، وبعد وصوله للطابق الرابع، اتجه في الرواق الأيسر، حيث كانت غرفته الأخيرة، وفتح الباب ثم أشعل الأضواء، ووقف مشدوها قائلاً: يا لها من غرفة ضيقة؟!

كانت الغرفة مربعة الشكل تحمل أربعة أسرة، كل سريرين فوق بعضهما البعض، ووضع كل اثنين منها في زاوية، وكانت تقابل كل سرير خزانة إسمانية داخل الجدران نفسها، وفيها أبواب خشبية قديمة مر عليها سنين، وتتوسطهما طاولة خشبية أيضاً، وأربعة كرمامي متقابلة ليست أفضل حالاً، وفي آخر الغرفة باب يبدو أنه لشرفة صغيرة.

نطق محمد وكأنه يهذي من شدة التعب، حتى الأسرة بالطوابق والسلالم، ثم رمى حقيبته ومحفظته على الطاولة، وتقدم وفتح باب الشرفة ليتساقط منه الغبار، فالغرفة لم تنطف طيلة العطلة الصيفية، التي امتدت لثلاثة أشهر بأكملها ثم ألقى نظرة من الشرفة حيث يبدوا أن موقعها جميل، ولها إطلالة رائعة حيث تقابل إقامة البناء، وتواجهها ثلاثة أجنحة بأكملها لشرفاتطالبات، وقبلها ملعب الذكور حيث يمكنه مشاهدة المباريات من شرفته، دون الحاجة للنزول للملعب ذاته، ثم استدار وأعاد غلق باب الشرفة وارتعى على أحد الأسرة، وهو يأخذ نفسها عميقاً، يا إلهي يا له من يوم شاق وسفر طويل، واكتظاظ وتنقلات وطوابير... طوابير وسلام... وسلام... ووثائق... وملفات... وملفات لا تنتهي أبداً وموظفون حمقى وحرّاس في كلّ مكان، ثم تنهّد وأخذ نفساً عميقاً من جديد، وهو يتمتم لا أعرف من سيقادمني هذه الغرفة الضيقة، من طلبة آخرين سنتكتدس فيها لسنين، أتمّي فقط أن يكونوا أشخاص جيدين، ثم أغمض عينيه وهو يفكّر في أحداث يومه الطويل، وهذه المرة الأولى في حياته التي تضمه جدران غريبة دون أن يشعر بذلك بأي ضيق.

وعندما جلس في آخر المساء في الشرفة، راح يتناهى إلى مسامعه صخب الحياة الجامعية وضجيجها، ثم ألقى نظرة ليرى الطلبة وهم

يتواجدون على مباني الإقامة، حيث يتوزعون إلى مختلف الأجنحة ويختفون داخلها، وكانوا يحملون أمتعتهم على ظهورهم ومحافظتهم بأيديهم، كأنهم مجموعات من النمل العامل، الذي يتوزع عبر المسالك المختلفة إلى حيث جحورهم، في خطوط متعرجة بعد أن تبع من الطريق الرئيسي الكبير، الذي يشق الحي الجامعي من الباب الرئيسي إلى غاية الإدارة والمطعم المركزي، ثم عاد أدراجه لداخل الغرفة، واختار السرير السفلي بجانب باب الشرفة، وترك السرير العلوي فوق رأسه والسريرين بجانب الباب لمن سيلتحق بالغرفة لاحقاً، وأخذ يرتبه وينفض عنه الغبار، وفتح حقيبته وأخذ يرتدي أغراضه بتلك الخزانة الإسمانية المقابلة، التي سيشتراك فيها رفقة زميله الذي سينام بالسرير العلوي فوق رأسه، ثم ارتدى على سيريره من جديد، وغط في نوم عميق فقد أنهكه التعب والإعياء من أحداث هذا اليوم الشاق والطويل.

كانت الساعة تشير إلى منتصف النهار، حين سمع أحدهم يقوم بفتح باب الغرفة، رفع الغطاء عن رأسه وفتح عينيه ببطء شديد، يبدو أنه التحق طالب آخر قد أنهى إجراءاته الإدارية للتو.

أشعل القادر الجديد الأضواء، ونهض محمد من فراشه في نفس اللحظة، مع انتباهه لوجود محمد مباشرة ألقى عليه السلام.

وأكمل قائلاً؛ دون أن ينظر كلاهما في وجه الآخر، عذراً على الإزعاج  
يبدو أنك نمت متأخراً جداً ليلة البارحة، حتى تبقى بفراشك لمنتصف  
النهار، قال ذلك وهو يجلس على أحد الأسرة، من زاوية الباب بعد أن  
وضع حقيبته ومحفظته، على تلك الطاولة الخشبية الطويلة، التي  
تفصل بين كل طابقين من الأسرة، وأكمل كلامه؛ يقال إن نوم الرجل  
وحيداً يجلب له الكوابيس.

محمد وهو يتثاءب وينزل من سريره، وعيناه لا زالتا شبه مغمضتين،  
وهو يقوم بفتحهما بصعوبة بالغة، نعم لقد أنهكتني التعب يوم أمس  
من كثرة الطواوير والسلالم والانتظار كان يوماً شاقاً فعلاً.

ثم نظرا كل منهما في وجه الآخر، وتوقفا لبرهة عن الكلام، في دهشة  
مزوجة بالفرح، وصاح كلاهما في نفس الوقت، أمين... محمد...، فهما  
من نفس المدينة لا بل درساً سوياً بنفس الثانوية، ثم تعانقا، وأردف  
أمين قائلاً؛ يا رجل لقد سبقتني؛ لمَ لم تخربني؟ كنّا على الأقل جئنا  
معاً، وأقلّك والدي بسيارته معنا حتى تخفف عنك عبء السفر.

محمد وهو يهرب للخروج للحمام، لا لم أشأ أن أزعج أحداً، فالمسافة  
ليست بال بعيدة جداً، ثم أكمل كلامه مازحاً أردت الاعتماد على نفسي  
من الوهلة الأولى، فقد صرت رجلاً اليوم همه وخرج من الغرفة.

بينما فتح أمين باب الشرفة لتنفس وعاد ليتّب أغراضه في الخزانة.

أمين الشاب الودود الذي بلغ العشرينات من عمره بعمر محمد تقريباً، أو قل بينهم بعض الشهور، فهو متناسق قسمات الوجه جميل غاية الجمال، فوجيه البيضاوي الضارب إلى الحمرة، الذي يتغير بتبدل الظروف، وأسنانه الرائعة وشفتاه الرقيقين، وأنفه المستقيم وجبينه العالي، وعيناه العسليتان الواسعتان، إضافة إلى أنه فارع الطول، إن كل ذلك يجعله شاباً جميلاً، فقد عاش وأخته الصغرى عيشة هنية، فوالده المهندس المعروف سي الشريف المدير الفرعى بمنجم الفوسفات في المدينة، ووالدته الدكتورة شهرزاد فري الطيبة الوحيدة في البلدة، التي لها عيادة خاصة ويقصدها كل نساء المدينة، فهي أشهر من علم والداني والقاصي يعرفها، ورغم كل هذه المزايا إلا أنه لا زال طفلاً ضعيف الشخصية طائعاً، وتدفعه حماسة الشباب، وله أفكار غريبة متقلبة، وأحياناً مستحيلة واندفاعاته تتغلب عليه في بعض الواجبات، وقليل التبصر إلى أبعد الحدود، رغم بلوغه العشرين، فربما دلالة قد ساهم في ذلك فهو لا يملك من الصفات إلا الكرامة وطيب القلب، وأنه مؤخراً بدأ يتغير للأحسن، وأصبحت ترسخ لديه بعض الصفات النبيلة الأخرى، حيث صار يتم بأمور رقيقة

شريفة، وقلبه جميل وعامر بالحب والإخلاص، والأمانة وهذا أساس كل شيء.

عاد محمد للغرفة وهو متزوج وقد أصحابه الغثيان وكاد أن يتقيأ في عتبة باب الغرفة، فترك أمين ما بيده وأمسكه قائلاً ما بك؟! هل أنت مريض؟

محمد يا إلهي الحمام متتسخ جداً وكريهة الرائحة، أجزم أنه لم يُنظف منذ سنوات.

أمين ربما العطلة فعلت فعلتها فقط، وبعودته عاملات النظافة لعملهن سيقمن بتنظيفه بطبيعة الحال.

محمد لا أظن ذلك، فالأساتذة والموظفون وعمال الخدمة، يعودون لمناصب عملهم قبل التحاق الطلبة بأسابيع، لا.. لا أظن.. إن هناك تصصيراً وتهاؤنا كبيرين، في أداء الأعمال لدى بعض عمال الخدمة، كما أني شاهدت عاملة النظافة تجلس في مكتب مسؤول الجناح، مرتدية مئراً أزرقَ وتمسك بيديها مكنسة... أظنهما هي...؟

أمين صحيح أنا كذلك رأيتها قبل قليل في نفس المكان، لا أعرف لم ترك عملها وتبقى في مكتب مسؤول الجناح، لا عليك إذا لم تأتِ عاملة النظافة سنقوم بتنظيفه بأنفسنا.

محمد ستحرّى عن الموضوع من مسؤول الجناح، حين يخف عنه  
ضغط الطلبة المتواصل، فهو يبدو مشغولاً هذه الأيام بتوزيع الغرف  
وأظن أنه لن يهتم بالموضوع.

أمين: أكيد سنفعل ذلك وإن تحدّم الأمر سترفع شكوى.

محمد: إنّ المثير في الأمر أنّ جل المراحيض وعددها ستة متسخة  
جميعاً، وشبابيكها مكسرة والزيارة مرمية أمام أبوابها، يبدو أنّ هناك  
إهمالاً كبيراً، ومسؤول الجناح على علم بذلك ما دامت عاملة النظافة  
جالسة معه في مكتبه، ويبدو أنّنا سنعيش سنوات عجاف في هذه  
الجامعة.

أمين: ربما هو نفسه من يوفر لها الحماية، لا عليك يا صديقي كل ما  
ينقصنا سنقوم به بأنفسنا، حتى لو اقتضى الأمر إصلاح أحد  
المراحيض الستة في رواقنا، وإغلاقه بقفل محكم لنستعمله بمفردنا،  
ونرعاه بأنفسنا، فربما الكثير من الطلبة مفسدون أيضاً، ولا  
يحافظون على التجهيزات، ويتركون قاذوراتهم في كلّ مكان دون أدنى  
ضمير، وعمال الخدمة لا يقومون بإصلاحها فقد سئموا من تكرار  
ذلك، ثم قطب حاجبيه قائلاً: هل تذكر ما كان يفعله طلبة الثانوية في  
المراحيض؟ من تكسير وإفساد وعفن أثناء فترات الراحة؟!

محمد: آه.. آه.. نعم.. أذكر ذلك لكن الثانوية لم نكن نقيم فيها، حتى نحس بهذا الانزعاج، كنا على الأقل نعود مساءً لبيوتنا، وأذكر أنني لم أدخل لتلك المراحيض سوى مرتين أو ثلاث على أكثر تقدير.

ثم ارتدى سترته، وهو لا زال يعاني من بعض الغثيان، و Paxil أمن قائلًا: يجب أن تحجز السرير الذي فوق راسي، وتترك السريرين الآخرين للقادمين بعده.

أمين: نعم سأفعل ذلك، وعلى حسب ما أخبرني به مسؤول الجناح، فإنه يرسل أبناء نفس المدينة لنفس الغرف لاحتمالية أن يكونوا يعرفون بعضهم البعض، ولهم نفس العادات والتقاليد، وبذلك تخف التوترات والمشاحنات التي قد تحدث بين الطلبة داخل غرف الإقامة.

محمد: للأمانة رأيه سديد، ثم حك رأسه قائلاً: آه.. كدنا ننسى موعد الغداء، بعد إتمام ترتيب أغراضك، سنتوجه للمطعم المختلط لتناول أول وجبة غداء.

أمين: أتمنى أن تكون وجباتهم لذيدة.

محمد: على حسب ما أرى فلن تكون كذلك، المهم أن تكون نظيفة. خرجا باتجاه المطعم، وأثناء الطريق نطق محمد قائلاً: حتى أَنْي لم أسألك عن التخصص الذي اختerte؟

أمين كانت قائمة اختياراتي على رأسها الطب لأرضي والدتي الطبية، وكان الاختيار الثاني هندسة المنشآت الكبرى لأرضي والدتي المهندس، وثالث اختيار كان العلوم القانونية الذي أحبه أنا، ولحسن الحظ أن معدلي بشهادة البكالوريا لم يسمح لي بالالتحاق بالاختصاصين الأول والثانى، وجاء الرد بالاختصاص الثالث محل اختياري، والذي أحبه وأهواه ثم قررته صاحكا، وحلَّ رأسه قائلاً؛ عندما يكون الحظ لجانبك ... هم

محمد: أما أنا كان اختياري الأول للحقوق والعلوم القانونية وكان الرد بما اخترت فعلا دون عناء، ربما لأن المعدل المطلوب لهذا الاختصاص أقل من بعض الاختصاصات التي ينشدتها الجميع كالطب والصيدلة والهندسة.

أمين بالتأكيد فالجميع يريدون أن يصبحوا أطباء وصيادلة ومهندسين، ربما يختارون ذلك لضمان منصب عمل بعد التخرج فقط وليس حبا في الاختصاص نفسه.

شقا طرقهما باتجاه المطعم المركزي المخلط بين الذكور والإإناث، وأنثاء مرورهم ببوابة إقامة الطالبات، توقف أمين فجأة ونظر ناحيتها بنظره ثاقبة وتنهى قائلاً؛ هنا ستكون لي صولات وجولات، من هي سعيدة الحظ التي ستكون صديقة أمين.

ثم أمسكه محمد من يده وأسرع به الخطوات قائلاً: طبعاً هذا إذا  
لم تنجح نوره رفيقتك أيام الثانوية، أما إن حدث ذلك فستواصل معها  
المسيرة، فلا تتسرع يا صديقي كل شيء بأوانه، ولا زال العام طويلاً  
وكما يقولون أللّه الأطعمة تطهى على نار هادئة.

وأكملأ طريقهما مباشرة إلى المطعم، حيث كان عليهما أن يسيرا في  
طابور طويل كالعادة، وعلى عتبة الباب اصطدمما برجلين، كان أحدهما  
فجّي صغيراً لم تنبت لحيته بعد، ولم يكدر ينبع شارباه ما عدا بعض  
الشعيرات، وتسريحة شعره الغريبة، وكان منظره يعبر عن غباؤه  
كبيّر، وكانت ملابسه أنيقة لكنّها مضحكة، فكانه مرتد ملابس شخص  
آخر، وكان يزين أصابعه بخاتم من حديد، ويحمل في يده مجموعة من  
تذاكر الإطعام، والتي كان يقتنها الطلبة بمبلغ زهيد لا يتعدّى بعض  
الدنانير، وكان يبتسم ويضحك دون سبب وهو يسلم التذاكر ويقبض  
ثمنها من الطلبة.

أما صاحبه الذي كان يقف خلف رأسه فهو في نحو الخمسين من  
العمر سمين بطين، ذو هندام كلاسيكي جميل، وكان أصلعاً وجهه  
منتفس و كان يزين رقبة عنقه بدبوس كبير، وكان يضع نظارة على أنفه  
المدور الذي يشبه المصباح، إن وجهه يعبر عن السوء والشهوانية، لأن  
عينيه الشريتين الخبيثتين الغارقتين في الشحم، تنظران من خلال

شق، وهو مكشر تكشيرة الاستيء، وكان واضحا أنه مدير المطعم نفسه، وجاء يتفقد بداية تشغيل المطعم، ويقف على عمل العمال ومدى تنظيم إطعام الطلبة، وليبرز لمسؤوليه وعماله والطلبة أجمعين، حرصه على مراقبة كل صغيرة وكبيرة، وأنه ينزل للميدان ويقوم بعمله في مراقبة جودة العمل، ومدى التزامهم بأداء مهامهم، وربما يكون قد يخفي وراء كل ذلك الحرص، بمعادرة مكتبه وإبراز نفسه للعيان، الكثير من الخداع وذر للرماد في العيون ليداري عيوب أخرى، ويواجهها وراء ظهره ويختفيها عن الأنظار في شتى المناسبات، وبالأخص أثناء افتتاح السنوات الجامعية، وسرعان ما يعاود الاحتفاء في مكتبه حتى آخر العام.

اشترى أمين مجموعة من التذاكر تفهمها لعدة أيام ببعض الدنانير الرمزية، وتقدما إلى الداخل حيث كانت هناك ثلاثة شبابيك متالية، لا يظهر من خلفها شيء، فهي لا تكفي سوى لإدخال طبق حمل الطعام، ما عدا أنه يسمع من ورائها وشوشة للكلام وبعض ضجيج الأواني، وصياح متممازج بين أصوات النسوة والرجال من الطباخين وموزعي الطعام داخل صالة الطهي.

كان الطلبة يحملون من الشباك الأول طبقا مربع الشكل، صنع من الحديد الأبيض المصقول، طبعت عليه بعض الحفر المربعة المختلفة

الأحجام والتي تشبه الصحون وفوقه قطعة من الخبز، وقطعتين من الجبن ثم يدخلونه داخل الشباك الثاني، حيث يصب لهم حساء من العدس، وفي الشباك الثالث يحصلون على سلطة من خس مذموم، ثم يتوجهون لقاعة فسيحة رتبت فيها طاولات وكراسي خشبية بأرجل حديدية.

تبع محمد وأمين الطلبة، واختارا لهما مكانا في الزاوية البعيدة مبتعدين عن تجمعات الطلبة الآخرين.

أمين: يبدو أن الوجبات ستكون متباينة طيلة الأيام والسنين.  
محمد: لقد سمعت من قبل عن رداءة الوجبات في المطاعم الجامعية، من ابن خالي الذي تخرج قبل سنتين حيث أخبرني عن الكثير من المساوئ في الأحياء الجامعية وخاصة مطاعمها.

أمين: وتبعدوا على وجهه ابتسامة عريضة، والآن سنعيشها بأنفسنا وليس سمعها فقط من أفواه الآخرين، قال ذلك وهو يضع لقمة في فمه بفف عدس مائي، سأتناول بعض السلطة وقطعتي الجبن فقط لن يجتاز هذا حلقي.

محمد: يجب أن نعتاد على سوء الطعام فلا مفر لنا من ذلك، وربما سنعتاد على أشياء أخرى أكثر سوءاً أو نتحملها رغمما عن أنوفنا فليس هناك بديل.

أمين أنا أيضاً سمعت الكثير من السوء عن الحياة الجامعية، من أبناء بلدنا الذين وطئت أقدامهم الجامعة قبلنا، سواء الذين أنهوا دراستهم ودخلوا عالم البطالة، أو الذين لا يزالون يزاولون دراستهم لحدّ الساعة ولم يتخرجوا بعد، وحسب أقوالهم السوء لا يشمل الإطعام والمبيت فحسب، بل أيضاً الدراسة والمحاباة في الحصول على العلامات في الامتحانات، واجتياز السنوات والكافآت، وبعض المزايا التي يحصل عليها بعض الطلبة كالتربيصات التطبيقية آخر السنوات.

محمد: حقاً كما سبق وقلت، سمعنا الكثير من قبل لكن اليوم هو بداية ملامسة كل ذلك في الحقيقة والواقع بأيدينا.

نهض الأولاد مغادرين مكان جلوسهم دون أن يكملوا طعامهما، وما إن وصلاً عتبة باب الخروج حتى سمعا صوت امرأة تصرخ وراءهما بأعلى صوتها قائلة، عوداً إلى مكانهما وأحملها طبقيكما وضعاها في المكان الخاص بالغسيل كما يفعل الجميع، فأنا لست خادمتكم لأحمل كل تلك الأطباق اللعينة، وأمسح كل هذه الطاولات العفنة...

هيا... أسرعا... وقف الولدان مشدوهين، وهما ينظران إليها تارة وإلى بعضهما تارة أخرى، وقد تسمّرا في مكانهما ولا يدرّيان ماذا يفعلان.

إنهَا خاليٌ صليحة... أو صلوحة كما يحلو للجميع أن يناديهَا، وهي أرملة في الأربعينات من عمرها، لقد كانت امرأة رقيقة العود، وقد وضعت على رأسها طاقية وعلى كتفها شالاً، واصطبغ وجهها بلون أحمر قرمزي مختلط بالبياض، وهي تعمل منذ سنوات عديدة في مطعم الجامعة، حيث تقوم بأعمال النظافة داخل قاعة المطعم، وتحمل بقایا بعض الخبز التي يتركها الطلبة ورائهم على الطاولات، وتجمعها داخل أكياس حتى لا ترمي في الزبالة حفاظاً على النعمة، وتقوم بمسح الطاولات بذلك الإسفنج المبلل، الذي يلازم دوماً يدها اليسرى، والجميع يحبّها ويمارحها عمداً حتى تخرج ما في جوفها من عصبية، في قالب فكاهي يجعل الطلبة وزملائِها العاملين يضحكُون مليء جفونهم، ورغم عصبيتها ولسانها السليط إلا أنَّ قلبهَا عامر بالطيبة والحنان، فهي المعيل الوحيد لأربعة صغار بعد أن توفي زوجها، الذي كان حارساً بنفس الجامعة، في حادث مرور قبل خمس سنوات، وهذا ما أكسّها بعض الشفقة والاحترام الزائد من طرف زملائِها، باعتبارها زميلتهم في العمل وأرملة أحد زملائهم المتوفّين، وقد تحملت لوحدها عبئ أسرتها الصغيرة، حتى أن مدير المطعم يسمح لها أن تأخذ أكياس

بقيا الخيز التي تجمعها لبيعها كأعلاف لبعض ملاك الأغنام والدواجن، لتساعد نفسها على التغلب على مصاريف الحياة المرهقة، فهي عاملة بسيطة وأجرها زهيد لا يكفي لتغطية حتى مصاريف الدراسة لصغارها.

التفت الولدان وهما متسمرين في مكانهما، وقد تفاجنا بذلك لكن لحسن الحظ تدخل أحد حرّاس المطعم، لتهيئة الوضع قائلا قبل أن يأتي أي رد فعل من محمد وأمين: إنّهم طلبة جدد فأنا لم أرهم من قبل، ويبدو أنّهم لا يدركون ذلك، ثم التفت للأولاد وهو يغمز بعينيه اليسرى مبتسمًا، وموجّها لهم الكلام في الوقت نفسه في المرة القادمة أحملها طبقيكم.

فهم الأولاد إشارة ذلك الحراس والتفرّتا معا ناحية خالي صليحة وقالا بصوت واحد آسفين، نحن لا نعرف ذلك، ثم عادا مباشرة إلى حيث كانوا جالسين، وحملوا الطّبقين ليضعاهما في آخر المطعم، على أحد الرفوف حيث كانت وراءه مجموعة من الحنفيات، ويبدو أنه مكان خالي صليحة حيث تغسل بعد ذلك الأطباق.

ثم خرجا مباشرة دون أن يضيفا أي كلمة.

وفي طريق عودتهما للغرفة، وعبر المسلك الذي يمرّ أمام بوابة إقامة الطالبات، توقفا قليلا واستندا معاً على الجدار، وهما يتأنّلان جحافل الطالبات اللواتي يدخلن ويخرجن، فلم يكونا ليفوّتا مثل هذه الفرصة، فيما قادمان من البلدة الصغيرة المحافظة جدًا، حيث من الصعوبة جداً أن يستطيع الشاب أن يقترب من أيّ فتاة غريبة، ما عدا بعض العلاقات العاطفية، والتي تكون في الخفاء بعيدة عن أعين الأهل والناس، عبر الرسائل والنظرات، ولا يلتقي فيها العاشقان سوى خفية لبعض دقائق ولحظات، ومرات قليلة جدًا بعد أشهر في عاصمة الولاية الأكثر تفتّحا حيث يعيش شبابها علاقات عاطفية على مرأى من الجميع، دون أن يكتشف أحدهم ذلك، حيث يلتقاون في عدة أماكن دون أن يجلبوا الانتباه أو يتفطن لهم أهل الفتاة، خاصةً أنّ المدينة كبيرة وتعج بالسكان الذين لا يعرف أكثرهم بعضهم البعض، كما أنّ فيها محيطةً جامعيًا مختلفًا ويحتوي على أغلبية من الطلبة قادمين من خارج المدينة، ولا يجلب اختلاطهم الريب أو الشك، وفيها العديد من الحدائق والمتزهات، ومقاهي مخصصة للعشاق، وكان عنفوان الشباب يدفعهم من أجل الحصول على صديقة، قد تخفّف عنهم وطأة الوحدة والسنين الدراسية الطويلة، التي سيجتازونها في المحيط الجامعي، حيث يسعى فيه الكثير الجمع بين الدراسة، للتتويج بشهادة

جامعية تساعده بنسبة كبيرة في الحصول على عمل لائق، وأن يعيش مغامرات عاطفية تملأ الفراغ الذي يعيشه طلاب الجامعات، ويكسر عنهم الروتين اليومي في الإقامات، فمن دون المحاضرات والدروس وبعض الهوايات الرياضية والثقافية التي يمارسها الطالب، قد يجد أغlimم نفسه في فراغ رهيب خاصّة للمقيمين.

لذلك يتسابق أغlimم للحصول على صديقة من الحي المقابل للطالبات، للتخفيف من وطأة الوحيدة من جهة، والتباكي أمام بقية الزملاء واستعراضاً للع verschillات من جهة ثانية، أو حتى الحصول على زوجة مستقبلية يكونان قد عاشا سوياً قصة حبّ تشبه قصص الروايات والأفلام والمسلسلات.

واتكأ على نصف الحائط الإسمنتي القصير، الموازي للطريق المؤدي إلى إقامة الذكور والم مقابل لواجهة باب إقامة الإناث، حيث يستعمله أغlimم للجلوس والبقاء لساعات هناك لمراقبة تحرك الطالبات، والذي كانت خلفه ساحة مربعة صغيرة فيها بعض الشجيرات، وفي وسطها مجسم إسمنتي لكتاب وقلم، صبغ بألوان العلم الوطني الأبيض والأخضر والأحمر، ومن ورائها الطريق الثاني المتوجه مباشرة من البوابة الرئيسية إلى المطعم وإدارة الإقامة، حيث كان يسلكه أولئك الطلبة المحافظين الذين يتجنّبون الاختلاط، وكان العديد من الطلبة

يجلسون على هذا الحائط ويتضيّدون مرور الطالبات، وأحياناً تجدهم من العشاق أنفسهم، حيث يبقون واقفين مع رفيقاتهم بعض الدقائق قبل انتهاء آخر وقت لدخولهن، وبالأخص إذا كان الوقت ضيقاً والمحدد بالساعة السادسة مساءً حيث يتجنّب التأخير عن الدخول حتى لا يتعرّضن للمسائلات من حرس الإقامة أو حتى منعهن من الدخول حسب ما يفرضه القانون الداخلي لإقامة الطالبات، عكس الذكور الذين ترك لهم حرية الدخول والخروج في كل الأوقات.

بقيا هناك حوالي ساعة من الزّمن بعد الظّهيرة، ثم اتجها إلى الغرفة لأخذ قسط من الراحة، فيبدو أنّ هذا الأسبوع بأكمله سيمر هكذا، الدراسة لن تنطلق مبكّراً ككل عام، بسبب التأخير الذي يحدث دوماً في التسجيلات بداية كلّ سنة دراسية، فقد أصبح الأمر معتاداً لدى الجميع، حيث أنّ الوزارة تحدد التّواريخ ولكنها في الأخير لا تحترم حرفيًا في أغلب الجامعات، بسبب الظروف المختلفة وحسب خصوصية كل جامعة ومنطقتها، وأحياناً يصل التأخير في بعض منها، لقرابة الشهر، جراء الإجراءات الإدارية الكثيرة والمعقدة المفروضة على الطالب، وأحياناً أخرى بسبب تأخير الامتحانات الاستدراكية، وتصفية ديون الطلبة في بعض المواد الدراسية، لغاية بداية سنة جديدة، خاصة في النظام الجديد الذي طبّقته الوزارة منذ بضع سنوات فقط، ليحلّ

تدرّيجياً مكان النّظام الكلاسيكي القديم، والّتعطل في إعلان القوائم النهائية للنّاجحين والراسبين، لتصطدم بدخول طلبة السّنوات الأولى واستقبالهم بأبواب مفتوحة تنظم بداية كل سنة للتعرّيف بمختلف التّخصصات المتوفرة بتلك الجامعات وتوفير الظروف الحسنة للسير التدريجي معهم لغاية تمكّنهم من التّعرّف على هذا العالم الذي يعتبر جديداً عليهم، والانتهاء من عمليات أخرى كالتحويّلات الخارجيه والداخلية، وإعادة إدماج بعض الطلبة المنقطعين، والذين كانوا في عطل أكاديمية لأسباب تسمح لهم بالعوده مقاعد الدراسة من جديد، وكذلك تسوية ملفّات إقامتهم.

فالكثير من الأسباب المتداخلة تجعل الدّخول الجامعي كل سنة يتأخّر بدرجات متفاوتة، بالإضافة إلى القوانين والتّغييرات التي تحدّها الوزارة كلّ عام لتمثي والظروف المتغيرة التي تحيط بالدراسة الجامعية خاصة إذا عين وزيراً جديداً للقطاع.

دخلنا إلى الغرفة حيث ارتدى محمد على السّرير وهو يتاؤه من الطّعام السّيئ.

بينما سحب أمين أحد الكراسي وجلس عليه ثم أردف قائلاً: لقد كنت أراقب الطالبات علىّني أرى أحد فتيات ثانويتنا.

رَدَّ مُحَمَّدٌ وَهُوَ يَتَنَاهُ وَيَسْتَلِقُ عَلَى سَرِيرِهِ، أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ تَبْحَثُ  
عَنْ مَعْشُوقَتِكَ نُورَةَ الَّتِي كُنْتَ تَوَدَّدُ إِلَيْهَا أَيَّامَ الثَّانِيَّةِ وَكُنْتَ تَذَكِّرُهَا  
قَبْلَ لَحْظَاتٍ.

أَمِينٌ: هَلْ تَعْرِفُ قَوْةَ الْعَلَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَجْمَعِنِي بِهَا.

مُحَمَّدٌ: وَهَلْ هُنَاكَ شَيْءٌ يَخْفِي فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ الْمَلْعُونَةِ، لَقَدْ كَانَتْ  
عَلَاقَتَكُمَا حَدِيثَ كُلِّ تَلَمِيذِ الثَّانِيَّةِ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَ الْأَسَاتِذَةِ  
وَالْمُشْرِفِينَ يَعْرُفُونَ ذَلِكَ، وَكَانُوا يَطْلُقُونَ عَلَيْكُمَا أَنْطُونِيوَ وَكَسانِدِرَا  
تَشْبِيهًـا بِالْمَلْسُلِ الْمَكْسِيِّيِّ الشَّهِيرِ هُمْهُـهِ

أَمِينٌ وَقَدْ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ وَكَادَتَا تَنْفَجِرَانِ: لَكُنْ أَنْطُونِيوَ وَكَسانِدِرَا  
كَانَا يَعْيَشَانِ سُوِّيًّـا، بَيْنَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنِي وَنُورَةَ كَانَتْ فَقْطَ عَبْرَ الرِّسَائِلِ  
وَتِبَادُلِ النَّظَرَاتِ، وَبَعْضِ الْلَّقَاءَتِ الْخَاطِفَةِ فِي بَعْضِ زُواياِ حِيمِـهِـم  
وَحِجَّرَاتِ الْدِرَاسَةِ لِدِقَائِقِ مَعْدُودَةِ، حِينَمَا أَسْلَمْـهُـا أَوْ أَخْذَ مِنْهَا بَعْضِ  
الرِّسَائِلِ وَبِطَاقَاتِ الْمَعَايِدَةِ، إِلَّا أَنَّ الْجَمِيعَ يَعْرِفُ سَرَّ أَغْلَبِ الْعَلَاقَاتِ.

ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَصَعَدَ لِيَتَمَدَّدُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهُوَ يَنْظَرُ إِلَى السَّقْفِ  
الَّذِي كَادَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِرَأْسِهِ، إِنَّنَا كَانَا نَعْيَشُ فِي الْقَرْيَةِ الْمَحْرُومَةِ، حِيثُ  
جَلَّ النَّاسُ يَدْعُونَ التَّدِينَ وَالْأَخْلَاقَ عَلَيْنَا، بَيْنَمَا يَمْارِسُونَ الْعَلَاقَاتِ  
الْمَحْرَمَةِ خَفِيَّةً، وَيَرَاقِبُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَيَحْشُرُونَ أَنْوَافَهُمْ فِي كُلِّ

صغيرة وكبيرة، ويشدّهم الفضول للاطّلاع حتّى على الأشياء التي لا تعنيهم.

ثم قطب حاجبيه واستعمال على جنبه وهو يطلّ على محمد، وسأله قائلاً: ربّما أنا كان ولعي بنورة واضحًا للعيان لكنك تعدّ من الملترمين، فهل كانت في قلبك فتاة تخفيها عن الجميع؟

سكت محمد قليلاً ثم هبّ من سريره متوجّهاً إلى الشرفة، ثم التفت قائلاً وهو ينتهد: الفتاة التي تسكن قلبي... آه... لا يعلمها إلا الله، لقد كنت خلال كل تلك السنوات أحفظ بسرّها لبني، وأكتفي بالنظر إليها من بعيد ولم أصارحها بمحبي خلال كل تلك الأعوام، ولا أدرى الآن إن كانت قد نجحت أم رسبت، وأنذّرّ آنني كلّمتهما مرة واحدة فقط لبعض دقائق في حفلة آخر السنة، وسألتها عن التّخصص الذي ستختاره إن نجحت في شهادة الباكالوريا، وكان ردّها بأنّها لا تدرى، وأنّها ترجّع ذلك لوقته، وعندما أكثرت من الإلحاح عليها ردّت بأنّ الأقرب لقلبي دراسة الحقوق، ولا زالت لا تعرف رأي أهلها ماذا يريدون؟، وفي لحظة الوداع آخر الحفلة مضيت بها إلى ركن بعيد لأفضي لها بما في قلبي، إلّا أنّ لسانني جمد على حين غرة وخرس واعتراضي ارتباك ولعلّها ما كانت لتفهم ما أقول لو قلت شيئاً، وذهبت دون أن أنبس بكلمة

واحدة ممّا أردت أن أقوله، ثم تهدّد بعمق وهو يفتح باب الشرفة، إنها زهيرة صاحبة الرداء الأسود والتي كانوا يطلقون عليها اسم سالي.

نزل أمين من سريره ولحق به إلى الشرفة، ونظر إليه نظرة استغراب ثم قال في دهشة: زهيرة! إنّها فتاة جميلة ومهذبة وقوية الشخصية وذكية جداً، رغم أنها تبدو مازالت طفلة غرة من نواح كثيرة، تلك الفتاة العالية الأخلاق، لا أظن أبداً أنها ستقبل بإقامة أيّ نوع من العلاقات، فهي فتاة ملتزمة إلى حدّ بعيد وليس مثل نورة الأكثر تفتّحاً.

محمد: لقد اعتقدت أنّه على الشّاب إذا ما عشق فتاة أن يصرّ لها بذلك، وإنّ حبه لن يتصرّ ولسوء الحظّ أنت تعرف أنّ في محيطنا المحافظ كان من الصعب جداً التكلّم فيه مع أيّ فتاة بصورة مباشرة تجعلك تبوج لها بكلّ ما يختلج بصدرك، وكلّ علاقاتنا كانت بالإشارات والتلميحات والتّنطرات والرسائل والتعابيرات.

أمين وهو يشبّك أصابعه وينحنّي متّكئاً على حائط مقدمة الشرفة، وأيّ نتيجة تراه سيثمر؟ علاقة عابرة لا غير.

محمد: لا، لم أفّكر أبداً في علاقة عابرة، كما تزعم إنني أحبّتها حقّاً بكلّ جوارحي.

وصمت الاثنان معاً لبضع دقائق وخيم بعض المهدوء.

ثم سأله محمد، أمين ماذا عليّ أن أفعل إذن؟

فردّ أمين بهدوء: عليك أن تدرس الوضع أولاً قبل أن تغوص في علاقة لا تعلم فيها شعور وإحساس الطرف الآخر، وقد تجد نفسك في علاقة أحادية الجانب وتتمسّح في وحلها وحيداً.

محمد أحسّ أنها تبادلني نفس الشعور، من خلال العديد من تلميحاتها طيلة أيام الثانوية.

أمين: ربّما مجرد احتمال فقط، وقد يكون العكس أو أنها تشفق عليك لا غير.

ووقفا سويا على شرفة الغرفة، ورفعا نظريهما إلى شرفات أجنحة الطالبات التي تقابلهما من وراء الملعب الرياضي.

ثم قال: أmino إذا حدث وأن نجحتنا أتمنى منها اختيار غرفة في الأجنحة المقابلة لنا، حتى نستكمل حلاوة تلك النظرات هيمه.

واقترب محمد من أmino ببطء، والعرق يتصلب على جبينه وألقى بيده المرتجفة على كتفه قائلاً: ما أتمناه حقاً أن تسجل زهيرة بنفس اختصاصي، وأن تكون في نفس الفوج أيضاً، لنكون بالقرب من بعضنا في كل الأوقات ونعواض أيام الجفاف التي فاتتنا في السنوات العجاف.

أمين وهو يهم بالدخول للغرفة من جديد، لقد جلبت معي مسجلاً هل لديك بعض الشّرائط؟ ثم دخل مسرعاً وأخرج مسجلاً إذاعيًّا صغيراً، وكيساً بلاستيكياً أسود مليئاً بالشرائط الغنائية، وأفرغه على الطاولة الخشبية التي كانت تتوسّط الغرفة وأوصل المسجل بالكهرباء وأخذ يقلّب بين تلك الأشرطة، وتناول أحداً ليدسّه داخل المسجل، وتبعث منه أغنية الشاب حسني بموسيقاه العاطفية وكلماته الرومانسية.

تبعه محمد وعاود الجلوس على سيره قائلاً، إنه مطرب المفضل أيضاً ولدي تقريباً كل أشرطته الغنائية، ثم نهض وفتح حقيقته داخل الخزانة وأخرج كيساً مليئاً بمختلف الأشرطة متنوعة الألوان، وأكمل قائلاً وهو يمدّها إلى أمين، وفيها كذلك الشاب نصرو، والشاب خالد ومامي وبعض الشّرائط الشرقية القديمة للكوكب الشرقي أم كلثوم وعبد الحليم، وأخرى لعمرو دياب وكذلك بعض الأشرطة الغربية فأنا أحب التنويع أيضاً، وعاد ليتمدد على سيره من جديد بينما أخذ أمين يرتّب تلك الشّرائط التي أفرغها من الكيسين على الطاولة ويفصل كلّ لون غنائي عن الآخر.

غاص الإثنان في تفكير عميق، وهما يستمعان لأغنية الشاب حسني مطرب الشباب الأول، أو ملك الأغنية العاطفية كما تطلق عليه وسائل

الإعلام ويلقبه الشباب كذلك، وكان محمد مستلقيا على ظهره فوق سريره مشبكًا أصابعه على جبينه وهو يغمض كلتا عينيه، بينما يجلس أمين في مكانه أمام الطاولة وهو يقلب الأشرطة، وساد هدوء عميق فإذا بطرق خفيف على الباب، رفع محمد رأسه مخاطبًا أمين: أكيد إنّهما طالبان جديدان أرسلاهما مسؤول الجناح، نهض أمين يفتح الباب متثاقلاً ليت交融 بالطارقين، إنّهما صلاح وسلمي أبناء نفس المدينة، لكنّهما من الطلبة القدامى، فصلاح قد سبّهم بستين كاملتين بينما سليم له سنة واحدة.

ثم احتضن أمين كلاهما ودخلوا إلى الغرفة ووضعوا أغراضهما على الطاولة التي تتوسط الغرفة.

نهض محمد ببطء من سريره ثم فتح ذراعيه وهو يضم كلاهما إلى صدره معًا، وراح يقول بصوت أجيشه وهو يلفظ كل كلمة على حد بصورة شديدة الوضوح، أجمل شيء هو اللقاء دون موعد، خير ما فعله مسؤول الجناح، يبدو أنه يجمع أبناء كل مدينة في غرفة واحدة ومتقاربة.

ردّ صلاح وهو ينزع سترته الرمادية ويرسمها على أقرب سرير، نعم إن عي بلقاسم مسؤول الجناح خبير في عمله الطويل، ويفعل ذلك لأنّه يعرف أنّ أبناء كل مدينة أغليهم يعرفون بعضهم البعض، وأنّ سكان

نفس المناطق يتقاربون في العادات والتقاليد، ويكونون أكثر انسجاماً معاً، وبذلك يتजّب الكثير من المشاحنات التي تقع بين الطلاب، وكذلك يتحاشى الطلبات الكثيرة والمتكرّرة لتفجير الغرف من الطلبة إذا اصطدموا بأخرين لا يعرفونهم ولا يروقون لهم.

وقاطعه سليم بصوت فظ وهو يسحب أحد الكراسي للجلوس، إنّه محقّ في ذلك فعمله الطويل في الميدان جعله يطوعه حسب الظروف، وأكمل كلامه وهو يشلّهم بنظره مبتسمًا وبسخرية: لا تنسوا أنّها غرفتنا قبلكم، وأرسلكم معنا لأنّكم من نفس بلدنا ولحسن حظّنا سعدنا بانضمامكم لنا.

نهض صلاح وسليم ليتّبا أغراضهما، في الخزانة المقابلة للستّيرين المتواجددين بجانب زاوية الباب، وكانت تلك الموسيقى العاطفية للشاب حسني لازالت تنبئ من المسجل.

بينما محمد وأمين ارتميا على سيرهما من جديد.

كان يبدو أنّ الجميع يعرف بعضهم البعض، فبلدتهم الصغيرة تجعل من المستحيل أن يعيش فيها شخص ويبقى مجهولاً لدى البعض الآخر، حتّى إن سكن فيها شخص غريب فإنّهم سرعان ما يعرفون عنه كلّ صغيرة وكبيرة.

صلاح هذا الشاب الأبيض الوسيم قوي البنية، ذو العينين الخضراوين والشعر الأشقر الأملس، والوجه الأبيض المحمّر والأنف الطويل، عرف عنه أنه شاب رياضي يمارس رياضة كمال الأجسام، وقد شارك في عدّة بطولات ودورات محلية، لكنه لم يفز بأي منها ماعدا بطولة الثانوية أيام كان تلميذًا فيها، وحصل على المرتبة الرابعة في السنة الماضية بالجامعة، وهو لا زال في السنة الأولى بعد رسوبيه لستين متتاليتين بقسم علم الفيزياء والكيمياء، والآن ينشط في المنظمة الطلابية الحرة للجنة الرياضية، التي تعنى بتنظيم بعض المنافسات الرياضية في المناسبات الرسمية الوطنية والدينية.

أما سليم فهو شاب سمين مدور الرأس ملأه جسمه الشحوم، وعرف عنه ولعه بالفنون، من الرسم والموسيقى والمسرح، وهو ينشط في اللجنة الثقافية بنفس المنظمة، التي تعنى بتنظيم بعض الحفلات أيضاً في شتى المناسبات، بالتزامن مع التظاهرات الرياضية، التي تنظمها اللجنة الرياضية لنفس المنظمة، وعادة ما تكون آخر حفلة لتسليم الجوائز والهدايا للفائزين، وقد رسب هو الآخر في سنته الأولى باختصاص العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وبعدما ربّ صلاح وسليم أغراضهما، تمدّدا هما الآخران على سريرهما ثم نطق سليم قائلاً: إنّه يوم عسیر، فما أن تكمل الإجراءات الإدارية حتّى تجد نفسك منهكا ولا تستطيع النهوض.

صلاح مبتسماً: نحن اعتدنا على ذلك وصرنا مخضرين، أمّا أنتما لازال العذاب سيلحق بكم إلى أن تعتادا عليه، وتصبح الأمور مألوفة بالنسبة لكم، قال ذلك واسترسل ضاحكاً همه

رد أمين مغمض عينيه بشدةً: لا عليك ليس هناك عذاب أشدّ مما كنّا نعيشه في تلك البلدة المشؤومة.

وشاطره محمد الرأي قائلاً: مهما كانت الحياة سيئة تملؤها السلالم والطوابير والوثائق الإدارية التي لا تنتهي لن تكون أكثر سوءاً من العيش في تلك القرية المشؤومة التي تقع وسط زوبعة من الغبار همه مرّ ذلك الأسبوع روتينيا أيامه متشاركة، لا تختلف كثيراً عن بعضها.

وكان الأولاد ينهضون من نومهم متأخّرين، قبل الظهيرة بقليل ويتوجّهون إلى المطعم المركزي، لتناول وجبة الغداء حيث كانت جلّها متشاركة، ما عدا بعض التّغييرات البسيطة حيث يستبدلون أحياناً حساء العدس بحساء اللوبيا، أو الحمص وبعض العجائن، والبياضتين بحبّي جبن رديء، أو الخس بالبنجر السكري المسلوق، وكانت وجبة

العشاء كذلك لا فرق بينها وسابقتهما، وكانت عطلة الأسبوع يوم الجمعة، يقدّمون لهم طبق الكسكسي التقليدي وعليه قطعة من لحم البقر، كأنها لحم حمير من شدة خشونتها وقوتها.

وكانوا أثناء ساعات آخر المساء يمكثون أحياناً على الحائط الصغير المقابل لإقامة الطالبات يمتعون أنظارهم، بمختلف الألوان الزاهية التي ترتديها الفتيات، وهم يتسبّدون أمواج الطالبات اللواتي يدخلن ويغادرن إقامة الطالبات، عليهم يتلقون بأحد عشيقاتهم القديمات ليعيدوا إحياء أحلى الذكريات، أو يظفرون بالتعرف على فتاة جديدة تدخل في قاموس الحبيبات.

وأحياناً أخرى يجلسون متجمّعين في نادي الطلبة، الملائق للمطعم المركزي حيث يتناولون أكواباً من القهوة والشّاي، ويلعبون الورق أو الدومينو لعدة ساعات، ويحدث ذلك في المجمل مساءً بعد تناول وجبة العشاء، والحق أن صلاح كان مفتوناً بلعب الدومينو، وهذا هو السبب في كثير من المشاجرات المزعجة التي وقعت بينه وبين زملائه في السنوات السابقة، وكان مما يزيد الأمر سوءاً أن يخسر في اللّعب دائماً لأنّه كان حساساً الوجدان ومرهف الضمير ولا يحبّ الخسارة ولا يتقبلها، ومن أجل ذلك كان في كثير من الأحيان حزين النفس.

على عكس سليم الذي كان هادئاً ولا يتحير له بالسواء فاز أو خسر.

أما محمد وأمين لم يكونا ماهرين في اللعب كفاية، لأنّه لم تكن من هوايتهما تمضية الوقت بهذا الشّكل، فقط ربّما الروتين الجامعي القادر سيجعلهما يعتادان على تمضية بعض الوقت بتلك الطريقة إذا لم تكن لهما انشغالات مغایرة، ولم يمارسوا هوايات أخرى بعد الدراسة والمراجعة، ففي هذه الجامعة لا فرق بين أن تستيقظ باكراً أو أن تقوم متأخراً أو أن لا تنهض أبداً.

ومع بداية الأسبوع الثاني اتجه الأولاد إلى كلياتهم ومصالح التدريس بأقسامهم المسجلين فيها للالطّلاق على مخططات استعمال الزمن وتوزيع المواد وقوائم الأفواج الدراسية، وأرقام الحجرات والمدرجات التي سيزاولون فيها الدراسة طيلة السنة، وحتى الالطّلاق على أسماء الأساتذة الذين سيلقونهم المحاضرات بالمدرجات أو الأعمال الموجهة بالقاعات كذلك، حيث ذهب صلاح إلى قسم الفيزياء والكيمياء، فهو راسب لستين وله الخبرة الكافية لذلك، بينما اتجه سليم إلى قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية.

أما محمد وأمين فكانت وجهتهما كلية الحقوق والعلوم السياسية.

كان يوماً مشمساً ومتعدلاً، حيث وقف محمد وأمين عمادة كليةهم، التي كانت في آخر الساحة المركزية على الجانب الأيمن من البرج الزجاجي لرئاسة الجامعة، حيث مقر الرئيس المدير العام للجامعة كما يحب أن يطلق عليه ونواب الرئيس والأمين العام للجامعة، ومختلف الهيئات الإدارية المركزية، وخلف عمادة كلية الحقوق تتوزع حجرات الدراسة والمدرجات للكلية نفسها.

وقف محمد وأمين يتفحصان تلك اللوحة التوجيهية الكبيرة التي عُلقت على مدخل العمادة، وقد وضّح فيها مختلف الاتجاهات التي يتشكل منها برج عمادة الكلية، فهي من أربعة طوابق، الطابق السفلي منها لرؤساء الأقسام ومصالح التدريس التي تتبعهم، والطابق الثاني للأمانة العامة ومصالحها الإدارية، والطابق الثالث لنواب العميد ورئيس المجلس العلمي، ومصالح طور الدكتوراه، أما الطابق الرابع فهو بأكمله لعميد الكلية، وما يتبعه من مصالح إدارية.

دخل محمد وأمين إلى مصلحة التدريس لقسم الحقوق، وهم يبحثون عن اسمائهم في مختلف الإعلانات المعلقة على الجدار الجانبي للمصلحة، واندمجاً وسط تلك المجموعة الطلابية المتجمعة أمام باب مصلحة التدريس، وأخذوا يبحثان عن اسمائهم في قوائم الأفواج.

محمد: انظر إننا في الفوج الخامس، هذا اسمي هناك وأنت بعدي  
بأربعة أسماء.

أمين: آه صحيح أنت الرقم سبعة وأنا الرقم إحدى عشرة.  
ثم فتح عينيه مقطّبا حاجبيه كأنه لا يصدق ما تراه عيناً، يا إلهي  
هل رأيت من معنا في نفس المجموعة؟

محمد: آه... زهيرة الرقم الثاني والعشرين، ونورة أيضاً الرقم  
الخامس والثلاثين.

أمين: القسم بأكمله يحوي حوالي خمسة وأربعين طالباً وهناك  
عشرة أفواج كاملة في دفعه هذه السنة التي تحتوي على أربعينات وستة  
وسبعين طالباً.

محمد وهو يأخذ نفسها عميقاً، ويبتسم ابتسامة عريضة كأنه عثر  
على كنز مفقود، وتبعد على محياه فرحة لا توصف، قائلاً؛ أكيد أنه  
عدد هائل من الطلبة، لكن الشيء الذي أفرجني وأثلج صدري نجاح كل  
من زهيرة ونورة، وتواجههما بنفس الاختصاص، لا بل في نفس الفوج  
أيضاً، أنا سعيد جداً بذلك.

أمين: هيآ لندخل إلى مصلحة التّدريس، ونسأل عن موعد انطلاق  
الدّروس والمحاضرات.

محمد: صحيح، لقد نسيينا أنفسنا.

كانت المصلحة عبارة عن صالة فسيحة، قسمت عرضياً إلى نصفين بسور إسمتي قصير، كان أعلىه مسطحاً وعريضاً كأنه هي على شكل مكتب استقبال، وكان وراءه ثلاثة مكاتب صغيرة متفرقة، ووراء كل مكتب خزانتين إحداهما صنع من خشب أبيض قديم، والأخرى من حديد رمادي اللون رديء خفيف تأكل أسفله من الصديد، وكانت أغلىها دون أبواب، وتكدست عن آخرها بعلب كرتونية امتلأت بالملفات وعلى المكاتب والطاولات ملفات مبعثرة هنا وهناك، وكان هناك موظفين منهمكين في العمل على المكتبين الجانبيين، وكانت تجلس بينهما في المكتب الأوسط تلك الموظفة التي سجلتها في أول يوم قدماً فيه إلى الجامعة، ويبدو أنها هي رئيسة مصلحة التدريس بقسم الحقوق والعلوم القانونية، ولكنها تنتقل بداية كل سنة دراسية إلى مصلحة التدريس المركزية برئاسة الجامعة، حيث بداية كل سنة جامعية التسجيلات الأولية العامة للطلبة الجدد، حيث تجمع فيها كل الاختصاصات تحت إشراف نائب رئيس الجامعة شخصياً، وتذوب تلك التسجيلات الجامعية ل أسبوع كامل، وأحياناً تمدد لأيام أو حتى ل أسبوع آخر، وتسخر فيها كل الإمكانيات لإنجاحها وتغطّها الصحافة المحلية

وبثت عبر أثير الإذاعة المحلية وأحياناً القنوات الوطنية أيضاً، وينزل رئيس الجامعة شخصياً لإعلان افتتاحها.

رفعت تلك الموظفة السمراء معتدلة القوام، ذات الوجه البيضاوي المستدير والعينين العسليتين رأسها، والتي كانت تضع وشاحاً يغطي نصف رأسها ويتلئ تحته شعرها الأملس القسطلي ثم نطقـت... تفضلاً...

أمين: جئنا فقط نسأل عن موعد انطلاق الدراسة؟

الموظفة: ستنطلق هذا السبت إن شاء الله، وستعلق قوائم استعمال الزمـن لمختلف الأفواج لاحقاً.

محمد: آنسة، فقاطعـته مباشرة: أنا مدام نوال رئيسة المصلحة هكذا تستطيع منادـاتي من فضلك.

محمد: آسف لا أعرف ذلك، لكنـي أردت فقط أن أسأل عن التخصص، هل يكون في السنة الأولى مباشرة؟

مدام نوال: لا التخصص فقط في الطور الثاني، أما في الطور الأول لسنوات الليسانس الثلاث، فالجميع يدرس جذعاً مشتركاً، ثم فتحت ذراعيها مشيرة بكلـي يديـها، إحداها نحو اليمـين والأخرى نحو اليسـار، وهي تفتح كفيـها وأكملـت كلامـها قائلـةً: ما دمت قد وجـّـتـ سؤالـك

وكتوضيح لكم، فالمكتب الذي على يميني مخصص للطور الأول الليسانس ويسيره زميلاً أنور، وفي نفس اللحظة رفع ذلك الموظف الشاب رأسه مبتسمًا وهو ينظر إليهما، وهذا الذي على يسارى مخصص للطور الثاني الماستر ويسيره زميلاً وليد، أما هذا الأخير فلم يحرك ساكناً وكان يبدو مشغولاً بالملفات، ثم ضمّت كلتي يديها إلى صدرها وكفاهما مفتوحان، وكلاهما يجتمعان لدى أنا رئيسة المصلحة، قالت ذلك وهي ترمي بعينيها وتميل برأسها نحو اليمين زاهية ب نفسها.

محمد وهو يهم بالغارة: شكرا لك.

وتبعه أمين وأثناء وصولهما للبوابة استوقفهما البواب قائلاً: كيف اجتزتم؟

أمين: لم نجد أحداً في الباب فدخلنا مباشرة.

البواب: كان عليكم الانتظار هنا لغاية عودتي، فقد أدخلت بعض الرسائل لأمانة رئيس القسم في لحظة وعدت وكان علي تسجيلكم في دفتر الزيارات.

محمد: لا عليك، نحن طلبة جدد ولا نعلم بهذه الإجراءات وفي المرة القادمة سنلتزم بذلك.

الباب... نعم... ما دمتا جديدين ستعتادان على ذلك مع الأيام،  
لكن في المرة القادمة لا تدخلان حتى أسجلكم في دفتر الزيارات، فهذا  
في مصلحتكم قبل كل شيء.

إنه عي على الباب كما يحلو للجميع بمناداته، الذي اجتاز ربع  
قرن من العمل في هذا المكان، ولم يتبق له الكثير على التقاعد، وهو  
جدّي في عمله لأقصى الحدود، والجميع يحترمه لكبر سنّه، وأقدميته  
الطويلة في العمل.

فقد مرّت عليه دفعات كثيرة عبر السّنين الماضية، وقد تغيّر الكثير  
في هذا المكان ما عداه هو الذي بقي راسخاً هنا، حتى في حالات التّحويل  
الإجباري، التي تحدث بين الفينة والأخرى لنقل الموظفين والعمال  
وتذويتهم على النيابات والكليات والمصالح، فعمي على لا يمسّ من أيّ  
كان احتراماً وتقديراً لمكانته، حتى وإن تغيّر المسؤولون يبقى عمي على في  
مكانه المعهود دون تغيير.

كما يتمتّع أيضاً ببعض النّفوذ لدى رئيس القسم، ففي الكثير من  
الأحيان يقصده بعض الطلبة للتّدخل لفض بعض المشاكل التي  
تعترضهم، خاصة عند تغيير الطلبة لرغباتهم، والتّحويلات بين الأفواج  
والاختصاصات والأقسام، التي تحدث عادة بداية كلّ سنة دراسية،  
وعند تعرّض بعض الطلبة لعقوبات إدارية أيضاً، وحتى لزيادة بعض

النّقاط التي تنقصهم لاجتياز السنّوات، فيقصدون عيّ على للتدخل لدى رئيس القسم والأساتذة ورئيسة المصلحة، وكثيراً ما يأتي أغلب ذلك أكله.

اتجهوا إلى قلب الساحة الكبّرى، في عملية لاستكشاف أغوار الحرم الجامعى، وأنباء الطريق التّقيا بصلاح وسلام العارفين بكلّ صغيرة وكبيرة في الجامعة.

صلاح وهو يربّت بيده على كتف محمد، سنقوم بجولة وسأعرّفكما بأغلب المنشآت هنا، فالحرم الجامعي كبير ويمتدّ لأكثر من خمس هكتارات كاملة، وقسم لجزأين، الجهة الأولى حيث كنا البارحة خاصة بالخدمات الجامعية، وقد تعرّفتما علينا وتشكل من إقامتين للذكر وإناث، والمطعم المركزي ونادي الطلبة والإدارة الخاصة بالخدمات الجامعية برمتها، وهذه الجهة الثانية حيث نتوارد فيها الآن خصّصت فقط للجانب البيداغوجي، حيث يدرس الطلبة ويمارسون نشاطاتهم العلمية، وتشكل من رئاسة الجامعة وأشار بيده لذلك البرج الزّجاجي العالي، وقاعة المحاضرات الكبّرى، والكلّيات والمعاهد والمخابر العلميّة الخاصة بها.

وعند اقتراهم من رئاسة الجامعة، ظهرت بفخامتها المختلفة عن بقية مبني الجامعة من الكلّيات والإدارات الأخرى، وكان موقف

سياراتها أكبر حجمًا وتنظيمًا، وتصطف فيه أغلى وأفخم المركبات، سواء تلك التي هي ملك للجامعة نفسها، أو ملك خاص لمسؤوليها وموظفيها، وكانت لها بوابة خاصة، ولا يستطيع بقية الأساتذة والموظفين والعمال من غير العاملين داخليها ركنا سياراتهم فيه، فقد خصّ فقط لرئيس الجامعة ونواب المدير والأمين العام للجامعة، والمدراء الفرعويين ورؤساء المصالح المركزية العاملين في رئاسة الجامعة، دون غيرهم وكان يقابلها حديقة صغيرة، تتوسطها نافورة مياه على شكل جرة مائلة، تسيل من فيها المياه، وكان على بوابة البرج عدّة حرّاس وأعوان أمن واستقبال، يمنعون الطلبة والزوار من الدخول إليها، إلا بعد تقديم سبب كافٍ للزيارة، ويمرّ الزائرون لرئاسة الجامعة بعديد الإجراءات ينفذها حرّاس الأمن وأعوان الأمن ومكتب الاستقبال.

انهير الأولاد... بالفخامة التي كانت تتمتع بها رئاسة الجامعة دون غيرها، وبإحاطتها بالعناية الشديدة حيث تبدو كأنها قصر ملكي، ومرروا بجانبها متّجهين إلى الجهة العلوية حيث تقع الكليات الأخرى، التي كانت تبتعد عن بعضها البعض، وتبدو أقل تنظيمًا وعناية من رئاسة الجامعة، وكان يقع على الجهة اليمنى منهم قاعة المحاضرات الكبرى، حيث تقام جل النشاطات لتغطية المناسبات الدينية والوطنية

والطلابية، ومختلف التّظاهرات العلمية والثقافية، ويقام عادة افتتاح واختتام السّنوات الجامعية، وتوقع اتفاقيات التعاون وال العلاقات الخارجية مع بقية المؤسسات الجامعية والشركات الاقتصادية، و تستدعي فيها أعلى الهيئات الرسمية والشخصيات المحلية والوطنية.

وكانوا كلّما مروا على كلية أو مبني أو شيء من هذا القبيل، إلا وشرح لهم صلاح أدق تفاصيله، ولم يشعروا بأنفسهم إلا والساعة تشير إلى الرابعة بعد العصر، ثم عادوا لغرفتهم وقد أنهكهم التّعب، وارتموا على أسرتهم، ليأخذوا قسطا من الراحة في انتظار وجبة العشاء، التي كانت تقدم لهم بعد المغرب وكثيرا ما كانوا يمرون بنادي الطلبة لاحتساء فناجين شاي وقهوة وتمضية بعض الوقت في ألعاب الدومينو والورق حيث ينسون أنفسهم في غالب الأحيان إلى منتصف الليل.

ومرّت تلك الأيام الأولى قبل انطلاق الدراسة الفعلية بهذا الروتين، ومع انطلاقها تغيّر كل ذلك، حيث كانوا يذهبون معاً كل صباح إلى مقاعد الدراسة، وما يلبثوا أن يتفرّقوا بعد ذلك، حيث يتوجه صالح إلى كلية الفيزياء والكيمياء، وسليم إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بينما يلتحق محمد وأمين بكلية الحقوق والعلوم السياسية.

كان أول يوم في الدراسة بالنسبة لمحمد وأمين يوماً مميراً، وكانت حصة الأعمال الموجهة الأولى في تاريخ النظم القانونية، وبحضور أغلب الطلبة وأستاذ المادة الذي كان لا يزال شاباً فتياً، وقد تجاوز الثلاثين من عمره بقليل، إنه الدكتور عز الدين والذي عرف عنه التواضع وفريه من الطلبة، ولم يكن بمثابة الأستاذ فقط، بل كان أيضاً بمثابة الصديق والأخ الأكبر لجميع طلبه وبالأخصّ الذين يطلبون مساعدته حيث كان يوجههم ويسدي لهم النصح والمعونة، وهذا ليس فقط في المجال الدراسي فحسب، بل كانوا يفضّون له بأسرارهم الخاصة أيضاً، ويساعدونه في تجاوز العقبات التي تعترض طريقهم، وكان أنيقاً حسن المظهر يرتدي بدلات كلاسيكية متنوعة، ومعتدل الجسم وحليق الشعر، ولا تغيب نظارته الطبية عن وجهه، وساعته المميزة ذات الماركة العالمية ومحفظته الجلدية ذات اللون البني عن يده، وكان دائم الابتسامة وذا أخلاق عالية ورفيعة.

بعد دخول أغلب الطلبة إلى حجرة الدراسة، وضع الأستاذ محفظته الجلدية على المكتب، ووقف على المصطبة أمام السبورة وهو يشمل الجميع بنظرته الهاشة، إلى أن صمت كلّ من في القاعة من الوشوشة، وشدّوا أنظارهم إليه.

الأستاذ عزالدين: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومرحبا  
بكم جميعا في الجامعة، وفي حصّي بمقاييس تاريخ النظم القانونية،  
والذى ستتعرفون من خلاله على القانون بصفة عامة وتاريخ نشأته،  
ومراحل تطوره لدى مختلف الأمم واختلافاته، وستبنيون القاعدة  
العلمية للولوج لبقية المواد والمقاييس إن شاء الله، ثم سحب كرسى  
المكتب وجلس وهو لا يزال يشمل الجميع بنظرته الهادئة الرزينة،  
ويوزعها على مختلف وجوه المتواجدين بالقاعة، سأعرفكم بمنسي، أنا  
الأستاذ عز الدين دكتور في القانون العام، ومتخرج من جامعة  
العاصمة، وسأكون لكم بمثابة الأستاذ والأخ والصديق، ولا تستحوا  
مني في أي شيء ومرحبا بالجميع، فقط ما أوده منكم هو الاجتهد  
والانضباط في الدراسة داخل القسم وخارجها، والاحترام المتبادل بيننا،  
وستجدون كل ما تمنّون بإذن الله، ثم رفع كفّه اليمنى مشيراً لطالبي  
كانتا تجلسان في الطاولة الأولى المقابلة له في الصف، تستطيعان الآن  
التعرّف بأنفسهما، تفضلاً.

بعدما عرّف جميع الطلبة بأنفسهم وضع الأستاذ عز الدين ورقة  
وقلماً على الطاولة الأولى، وطلب منهم تدوين أسمائهم وألقابهم وتاريخ  
وأماكن ازديادهم، وبعدما انتهوا من ذلك أخذ يتأمل تلك الورقة، ثم  
هز رأسه قائلاً: من لديه سؤال يفضل؟

رفعت إحدى الطالبات يدها.

الأستاذ: تفضلي.

طالبة: فيما يخص الحضور هل هو إجباري في جميع المقاييس؟

الأستاذ: المقاييس مقسمة إلى نوعين محاضرات تلقى في المدرجات، وتخص جميع طلبة الدفعة للسنة وحضورها ليس إجباريا، وأعمال موجهة تدرس في القاعات مثل مقياسى هذا والحضور فيها إجباري على جميع الطلبة، وهي أربعة مقاييس فقط، وتتوالى أسئلة بعض الطلبة، وكان الأستاذ يجيئهم بصدر رحب، ويشرح ويوضح لهم وينزع عنهم كل لبس.

اختار محمد وأمين طاولة في آخر الصف الثالث، وظلا صامتين طوال الحصة، وكانا يتبادلان النظارات مع نورة وزهيره اللتان اختارتتا طاولة في آخر الصف الأول، وقد غمرتهم السعادة والفرح من خلال هذه الصدفة التي جمعتهما من جديد، وزرعت تلك الابتسamas على محياهما، وهم يرشقون بعضهم البعض بعديد النظارات المتتالية كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.

انتهى وقت الحصة الأولى سريعا، وهذا بفضل خفة دم الأستاذ عز الدين وحلاوة لسانه، وتواضعه وانسجامه مع طلبه.

لم يحضر أستاذ الحصة الثانية، وبقي الطلبة جالسين في أماكنهم، ولم يغادروا القاعة لأكثر من ربع ساعة، وزادت وشوشة الكلام فيما بينهم، وارتفعت إلى أن صارت نوعاً من الضجيج.

نهض محمد وأمين واتّجها مباشرة للطاولة التي كانت تجلس فيها زهيرة ونورة.

وبادر أمين بالقول: صباح الخير، مبروك عليكم النجاح.

ثم أكمل محمد الكلام بصوت خافت لا يكاد يسمع وعيناه تلمعان ببريق عجيب كأنّه إلهام، وكان يبدو على وجهه نوع من الحياة قاتلاً؛ سعدنا بلقائكم، إنّها صدفة عجيبة أن نلتقي جميعنا بنفس الاختصاص والفوج أيضاً.

نظرت البتتان إلى بعضهما البعض، ثم أعادتا النّظر إلى محمد وأمين، وهما تبسمان ابتسامة عريضة بنفس الوقت، ثم نطقت نورة بسرعة، أكيد صدفة عجيبة وجميلة أن يجتمع أبناء وبنات نفس الثانوية والبلدة في اختصاص واحد.

أما زهيرة فقد احمرّ وجهها حتى أصبح بلون الجمر، ثم أخفضت عينيها إلى الأرض، ولم تنطق ببنت شفة.

وما هي إلا لحظات حتى دخل أحد الحرّاس إلى القاعة، وأمر الطلبة بمغادرتها إلى الساحة الخارجية، لأنّ أستاذ المادة لم يحضر.

غادر جميع الطلبة الحجرة، فالقانون الداخلي الذي كتب في الإعلانات الكثيرة المعلقة في اللوحات الموجودة على واجهات الجدران الأمامية للمدرجات والقاعات، لا يسمح للطلبة بالمكوث داخل المدرجات وقاعات التدريس خارج أوقات الدراسة، حيث يتوجه أغلب الطلبة إلى المكتبة للمطالعة أو نادي الطلبة، أو يتسلّكون في ساحات الكليات أثناء ساعات الفراغ، أما الطلبة المقيمين فأغلبهم يعودون لغرفهم لنيل قسط من الراحة، مستغلين قرب الإقامة الداخلية والتصاقها بالأجنحة البياداغوجية للكليات والمعاهد حيث يدرسون.

خرج محمد وأمين مباشرة متوجّهين إلى غرفهما، فعادا في بداية السنة لا يحضر أغلب الأساتذة، كما هو الحال هذا المساء، فالدراسة صباحية فقط بالنسبة لفوجهما، وكان جلّ حديثهما أثناء الطريق تعبيرً عن فرحتهما وبهجتهما بلقاء زميليهما.

أمّا زهيرة ونورة فقد مرتا في طريقهما بنادي الطلبة، حيث اقتنتا بعض الأفلام والأوراق والكرابيس وما ينقصهن من مستلزمات الدراسة، ودخلتا سريعاً إلى الإقامة، وتوجّهتا مباشرة إلى غرفتهن حيث كانت في الجناح (د) والذي يقع على نفس واجهة إقامة الذكور، وكان لا

يفصل بينهما إلا الجدار المحيط بإقامة الطالبات، وتلك الأشجار المصطفة على جانبه، والملعب الرياضي للذكور، ولم تكونا تدريان أن غرفتهما مقابلة تماماً لغرفة محمد وأمين، فمسؤولة الجناح أيضاً تستعمل جلّ خبرتها، في تهيئة الجو المناسب والعام، الذي يوفر الراحة والسكينة للطالبات، ويجنّبها المشاحنات والمشادات وسوء التفاهم الذي يحدث بين الطالبات إذا كان هناك اختلاف كبير بينهن في العادات والتقاليد والثقافات، لذلك حجزت لزهيرة ونورة نفس الغرفة، رفقة طالبتين آخرين من نفس البلدة.

كانت زهيرة فتاة جميلة بيضاء البشرة كالثلج، ووجهها بياضاوي مستدير كأنّه القمر، وعيانها واسعتين سوداويتين براقتين ليس فيها شيء، وشعرها ناعم مبعثر على الرأس بخصفات كثيفة كأمواج البحر، وأضفت عليها رزانتها وسكنها وحياؤها الكثير من الوقار والهيبة التي تفتقدها الكثير من الفتيات الثرثارات، ولها نظرة خرساء كأنّها لغز، إنّ نظرتها هي التي تجلب الانتباه، هي نظرة يلمع فيها ذكاء حادّ ويشع فيها الرّيّب والتحدي في الوقت نفسه.

على عكس نورة التي كانت نحيفة رقيقة العود، ووجهها مائل للصفرة، وشعرها أشقر متلقي على كتفها، وعيانها زرقاوان بلون السماء، كانت تشبه في مظهرها كثيراً الأوروبيات، وكانت أكثر ثرثرة

وتسرّعاً واندفاعاً وجراة من زميلتها، حتى أنها كانت تجد نفسها في العديد من المرات قد أقحمت نفسها في أشياء لا تعنّها من قريب أو بعيد، وهذا يرجع كذلك لشدة الفضول، الذي كان ينتابها دوماً لمعرفة كلّ ما يدور حولها وكلّ جديد.

من الأسبوعان الأولان تقريباً على هذا النحو، حيث كان الأساتذة يلتحقون تدريجياً، كما يلتحق بعض الطلبة المتأخرین في التسجيل أيضاً بالصفوف، لأسباب تتعلق بتحويلات من اختصاصات مختلفة داخلية وخارجية أيضاً، أو حتى بعض الطلبة الراسبين والمتخلّفين عن الدراسة في العام الماضي، والذين كانوا في عطل أكاديمية وأعيد إدماجهم من جديد.

وهكذا كان الحال بالنسبة للأولاد، على نفس النحو من روتينهم اليومي، الذي بدأوا الاعتياد عليه، فكانوا يلتحقون بحجرات الدراسة وبدرجات المحاضرات حسب الاستعمال الزمni الخاص بفوجهم، ويتوّجهون للمطعم المركزي لتناول وجباتهم في أوقاتها، وأحياناً يمكثون داخل مكتبة المطالعة، أو يبقون يتسلّكون في ساحة الكلية والإقامة، وفي آخر المساء بعد تناول وجبة العشاء كانوا يفضّلون البقاء في نادي الطلبة، للعب الورق والدومينو والاستماع إلى الأخبار، عبر التلفزة الوحيدة التي كانت متواجدة على مستوى الإقامة، والتي علّقت داخل

مقر النادي لمتابعة الأخبار أو بعض المباريات الرياضية التي كانت تبث في سهرات نهاية الأسبوع.

أما البناء فكن يقضين يومهم في المكتب بغرفهن، ولا يغادرن إلا لتناول وجبات الغداء والعشاء، أو للتوجه لحجرات الدراسة والدرجات، أو الجلوس داخل مكتبة المطالعة لبعض الوقت، أو النادي الداخلي المخصص لإقامة الطالبات.

وفي الأسبوع الثالث بعد التحاق أغلب الطلبة وجّل الأساتذة، وأخذ المنحى الدراسي يأخذ طابع الجدية في كل المواد، وببدأ الطلبة يتلقّون الدّروس المكثفة تدريجياً في مختلف المقاييس، وتقديم الواجبات التي كانت تفرض عليهم من طرف أساتذتهم، ومع توالي أيام وأسابيع الفصل الدراسي الأول، بدأت تتضح عوالم الطلبة المجتهدين، والمتكاسلين وغير المبالين، وببدأ نبوغ محمد ومهارة نوره يظهران في أغلب المقاييس، بينما كان أمين يتتفّوق أكثر في الاقتصاد والمنهجية، أما زهيرة فكانت لها الكلمة العليا في اللغات الأجنبية.

لكن من الإشكاليات التي كانت تحدث داخل الجامعة أنّ الكثير من الأساتذة لم يكونوا مهتمّين كثيراً بتفوق الطلبة، بقدر اهتمامهم بالظاهر الخارجي للطالب وجنّسه ومكانته الاجتماعية، وكان من الصّعب جداً لأي طالب لا يملك تلك المقومات أن يلفت انتباهم أو

يؤثّر فهم، بل بالعكس كانوا يعدّون ذلك النوع من الطلبة مزعجين ومن المبالغين في الاهتمام بالدّرس، ويفضّلون الطلبة المبادئ الساكنين الذين لا يهتمّون كثيراً، إلا القلة من الأساتذة الذين كانوا يهتمّون بالمجتهدين ويولونهم مكانة عالية، ويميّزونهم عن غيرهم، ومن هؤلاء الأستاذ عزالدين، وأستاذة أخرى لقياس القانون الإداري تدعى الدكتورة حفيظة، والتي كانت هي أيضاً على نفس مستوى زميلها الدكتور عز الدين من رفعة للأخلاق، ومظهر طيب ينبع عن الهمة العالية في النفس والهيبة في العلم والوقار، وكان أغلب الطلبة يقدّرونها هي الأخرى ويرونها بمكانة الأخ الكبرى التي يلتجؤون إليها وقت الحاجة.

كان محمد أكثر تميّزاً عن الجميع، وكان يهبر الأساتذة في نبوغه وسرعة بدهاته في شتى مقاييس القانون، كالقانون الإداري والدستوري وتاريخ النظم القانونية والمدخل العام لدراسة القانون، وكانت له قدرة رهيبة على حفظ المواد القانونية بأرقامها وتاريخ صدورها، والمراسيم التي جاءت فيها، حتى بعض التعديلات التي أنت عليها، وأظهر الكثير من الالتزام بالدراسة وحل الواجبات والاندفاع الشديد والرغبة في التعلم واكتساب المعرفة السريعة، حيث أنه بني قاعدة علميّة قانونية في ظرف وجيز تمكنه من الغوص في أعماق هذا

العلم الواسع من جهة، وتفتح له آفاق تطبيقه في الحياة العامة من جهة أخرى، وقد اجتاز اختبارات الفصل الأول بتفوقٍ منقطع النظير، جعله في مكانة علمية متقدمة كثيراً عن بقية زملائه وأصدقائه الآخرين.

حتى أن غرفته راحت تسترعى انتباه الطلبة في ذلك الجناح، وطفق الطلبة وحتى بعض العمال إذا لحق بهم أي جور أو ظلم أو إجحاف، يلتجئون إلى محمد، ليسألوه عن الحلول القانونية والإدارية التي يجب أن يتبعوها لاستعادة حقوقهم دون أن يسقطوا في فخ التعدي على القانون، أو يعرضوا أنفسهم للحساب والمسائلات والسقوط في فخ العقوبات التأديبية، وكان هو يناقش المواضيع معهم، ويرشدهم للطرق والسبيل الصحيحة، وإذا استعصى عليه أمر يستشير أحد الأساتذين القريبين إلى قلبه، الأستاذ عز الدين أو الأستاذ حفيظة اللذين كانا يفرحان بذلك، ولا يدخران أي جهد في تقديم النصيحة والمعونة له، ويجيبان على جميع أسئلته دون إعباء، ولا تذمر ولا امتعاض، ويفسحانه ساعات من وقتهم متى أراد، لكن محمد في أغلب الأحيان كان يتوصّل إلى الحلّ بنفسه.

وهكذا أخذت مكانته تتعاظم وسط الطلبة، خاصة بعد قضية المطعم المركزي، حين دخل طلبة الإقامة في إضراب لمدة يومين كاملين

بسبب رداءة الوجبات المقدّمة لهم، وكان محمد أحد القادة والمؤطّرين الذين شنوا هذا الإضراب، بطريقة اشتملت على كلّ المراحل التي يفرض القانون الداخلي للجامعة على الطلاب القيام بها، قبل الدخول في أيّ نوع من الاحتجاجات والإضرابات المكفولة قانوناً.

وبتوجيه وإرشاد من محمد اتبع زملاؤه كلّ الخطوات دون أن يخرجوا عنها، عكس ما حدث العام قبل الماضي حيث شن الطلبة إضراباً لنفس السبب، لكنه كان غير مؤطر وبطريقة فوضوية وعنيفة وصلت إلى حدّ الشّجار مع القائمين على شؤون المطعم، وإغلاقه بالقوة في وجه العمال والطلاب الذين لم يؤيدوهم في شن ذلك الإضراب، ومنعهم من الدخول إليه، وتكسير بعض زجاج التّوافد والطاولات والكراسي، مما استدعى مدير الإقامة للاستنجد بقوات الأمن التي فضت الاعتصام بالقوة وعادت الأمور إلى طبيعتها بعد أيام.

إلا أنّ الطلبة الذين قادوا هذا الإضراب حينها أُحيلوا على مجلس التأديب، وتفاوتت عقوباتهم بين التّوبخ والإذنار والإقصاء لمدة سنة، وهناك طالبان طردا هنائياً وفصلا عن الدراسة، وهما اللذان قادا هذا الإضراب وحرّضا بقية الطلبة على العنف، وهذا ما تجنبه محمد هذه المرة بحكمته ودهائه وفطنته، حيث أبقى رفضهم تناول الوجبات ووقفاتهم الاحتجاجية أمام المطعم بطريقة سلمية منظمة وهادئة

ومؤسسة قانوناً، حسب ما يحق للشريك الاجتماعي ممارسته في إطار القانون، سواء لنقابات الأساتذة والنقابات العمالية أو المنظمات الطلابية مما جعل إبراهيم يلقى صدى وأذان صاغية لدى الإدارة، حيث تدخل مدير المطعم بسرعة لهيئة الأوضاع، ذلك الأصلع السمين الخبيث الذي لم يكن يغادر مكتبه إلا للضرورة القصوى، أو في المناسبات الكبرى أو عند حضور المسؤولين، ونزل مدير الخدمات الاجتماعية بنفسه وحاور الطالب بأمر من رئيس الجامعة شخصياً، الذي سمع بالأمر وأولاده الأهمية القصوى، حسب البيان الذي صدر عن ديوان رئاسة الجامعة، وقدم الطلبة بعد ذلك ممثلي عنهم للفتاوض مع الإدارة وتقديم مطالبهم.

وقد اختاروا محمد على رأس الوفد رفقة أمين، وبعض طلبة المنظمات الطلابية التي كانت تنشط في الميدان، لكنها للأسف لم يكن عملها يرقى فيما سبق إلى درجة رضا الطلبة، وكانت تهتم برضاء الإدارة وتزيّي عملها، وتقدم لها الشّكر والثناء كلما سُنحت لها الفرصة بذلك، أثناء المناسبات الوطنية والدينية وختام السنوات الدراسية، على بذلها عملاً جباراً لخدمة الطالب، عكس ما هو ملموس في أرض الواقع، أكثر من اهتمامها بمشاكل الطلبة المختلفة وحلّها والدفاع عن حقوق الطلبة المهدورة، ولم يكن الطلبة يعتقدون عليها الأمل كثيراً وكان جلـ

أملهم ورجائهم في محمد وزملائه، لما لامسوه فهم من قوة للشخصية ووفاء وتفاني في خدمة الطلبة وحل مشاكلهم ومن رزانة وهدوء وحنكة وفطنة وكسب النتائج في الميدان.

وكانت من الجهة الداخلية لإقامة البناء، تتنامي قوة تأثير نورة ورهيبة في الدفاع عن الطالبات، والوقوف في وجه جور مديرية الإقامة، وتتكلّف مسؤولات الأجنحة في التعدي على حقوق الطالبات، وكثيراً ما يتدخلن لحل المشكلات التي تقع بين الفينة والأخرى من شجارات ونزاعات وسوء تفاهم بين الطالبات، وكثيراً في أغلب الأحيان ينجحن في حل تلك المشكلات والنزاعات وديياً وتهديئة النفوس، دون أن يصل صداتها إلى مسؤولات الجناح أو يبلغ مسامع مديرية الإقامة مدام زكية.

أما الجانب الدراسي فكان يسير كالعادة المتوارثة منذ سنين، فبخلاف الأساتذين عز الدين وحفيظة اللذان كانوا يمثلان الصورة الحديثة والمحضرة للأستاذ الجامعي، سواء من جانب الالتزام والحرص الشديد على تقديم أفضل وأحدث طرق التعليم لطلبتهم، أو من الناحية الإنسانية بقربهم وتواضعهم واهتمامهم بكلّ ما يخصّ الطالب، وتقديم يد العون لكلّ محتاج لذلك، فبقية الأساتذة كانوا لا يخرجون عن الصورة النمطية والكلاسيكية للأستاذ الجامعي الذي

يلقي محاضراته ويقدم دروسه ويختفي دون رجعة، ولم يكن لهم اهتمام كافي بالطلبة.

وظهر جلياً التفاف كلّ من محمد وأمين ونورة وزهيره وبقية الزملاء على بعضهم البعض أكثر فأكثر، حيث توطّدت صداقتهم بقوّة، وكانوا يذهبون للمطالعة مترافقين، ويراجعون دروسهم معاً، ويقدّمون البحوث الجماعية سوياً، وحتى في أيام العطل الأسبوعية التي يقضونها في الإقامة، كانوا يتقدّون أحياناً في المساء أمام باب إقامة طلابات، أو في تلك الساحة الصغيرة التي تقابلها، وكان جلّ حديثهم عن الدراسة والمشاكل التي تحدث بين الطلبة كما أنّهم أصبحوا يخطّطون للانضمام لأحد المنظمات الطلابية المعتمدة من رئاسة الجامعة، وأن يرشحوا أنفسهم جميعاً في الانتخابات الطلابية التي ستجرى آخر السنة الدراسية لتجديد عضويتها.

ورغم قرّبهم من بعضهم البعض وتواجدهم سوية في أغلب الأوقات إلا أنّ محمد لم يستطع مصارحة زهيره بحبه، وكان يخفي ذلك في قلبه، ويكتفي ببعض النظرات الخاطفة التي يرمي بها، وبعض التلميحات والإيحاءات التي تظهر في معاملته الخاصة لها، والتي لم تُؤتِ أكلها حيث كانت زهيرة تتظاهر بعدم فهمها أو ربما تتجاهلها عمداً في الكثير من الأحيان، وكان يبقى ساهراً إلى وقت متّأخر من الليل

جالسا في الشرفة، يراقب غرفتها البعيدة والتي لم يكن بها ينفتح كثيرا، ماعدا في الأيام المشمسة، بحيث تخرج إحداهن لنشر بعض الأفرشة أو الثياب المغسولة.

ومع آخر أيام الفصل الدراسي حيث كانت تُجري الامتحانات الفصلية، وكان جل الطلبة منشغلون بمراجعة ومذاكرة دروسهم استعداداً للختبارات، استغل محمد تلك الفترات التي كانوا يراجعون فيها دروسهم سوياً في المكتبة أثناء الظهيرة وأحياناً أخرى في المساء ليتقرب منها أكثر وحاول مصارحتها، لكن وجود بقية زملائهم برفقتهم، وخاصة نورة التي كانت لا تفارقها كظلها، حرمه من ذلك، فقرر أن يستغل فرصة خروجها من قاعات إجراء الامتحانات حتى ينفرد بها ويكونان وحيدين، ويكون له الوقت الكافي للتّعبير عن مشاعره واختيار الكلمات المناسبة التي قد تجعلها تتأثر بذلك، وتتوافق على ربط علاقة الحب التي حلم بها طويلاً، وقد مر يومان متتاليان من حصص الاختبارات ولم تُتح له الفرصة المناسبة للانفراد بها، حيث كانت تخرج متأخرة كثيرا، تقريراً مع انتهاء وقت إجراء الامتحان وتغادر رفقة نورة، وفي اليوم الثالث عند إجراء امتحان القانون الدستوري كان محمد قد فرغ من إجابته باكرا، لكنه بقي في مكانه ينتظر إكمال زهيرة للإجابة ليستغل فرصة الانفراد بها، وقبل نصف ساعة من نهاية وقت

الامتحان نهضت زهيرة وسلمت أوراق إجابتها للأستاذ وخرجت مسرعة، فقام محمد بعدها بدقة وسلم أوراق إجابته ولحق بها سريعا، وقد صمم هذه المرة أن يستمليها إلى جانب ما وينهي المسألة دفعة واحدة، ويصарحها بالحب المكتنز في جوفه منذ سنوات الثانوية، فاستجتمع قواه ولحقها عند مخرج باب المدرج حيث كان يجري الامتحان، وناداها بصوت خافت لمرتين فاستدارت وابتسمت ثم وقفت تنتظره.

محمد: صباح الخير

زهيرة: عمت صباحا

محمد: كيف كانت إجابتك؟

زهيرة: لا أعرف، إن السؤالين الأول والثالث راجعهما البارحة جيدا، أما السؤال الثاني فلم يكفيني الوقت لأجيب عليه إجابة كاملة والسؤال الرابع كان مفخّحا.

محمد: أعرف أنك ستجيبين ببراعة كبيرة، أما بالنسبة لي فكانت جل الأسئلة سهلة وقد راجعتها كثيرا، لا تذكرين السؤال الأول نفسه الذي قدمناه في البحث.

زهيرة: آه صحيح هو نفسه.

ثم بدأ يسير جنباً إلى جنب معها ويتقدّم بخطوات متّاصلة حتّى وصل إلى الكرسي تحت شجرة التوت التي انتصبت قبالة المدرّج، وجلسا سوياً في انتظار لحاق أمين ونورة وصمت الاثنان معًا لبرهة.

ثم تنهَّد محمد ونظر إلى الأفق البعيد مخاطبًا زهرة، في هذه اللحظة  
يجب أن أكون صريحةً معك قبل كل شيء، وستوافقين أنت نفسك على  
هذا بعد أن تصغي إلى حديثي حتى النهاية، قال ذلك ونهض من مكانه في  
احترام يشبه الإجلال لأصبح أقرب المقربين منك وصديفك المجل، أنا  
أعلم أنه ليس لي في هذا حق، لكن اسمحي لي أن أكون جديراً بهذا  
الحق، كانت بعض عباراته تبني أنها مهيبة، وكان في مواضع أخرى من  
هذا الخطاب الغريب يخفى شعوراً يعبر عن ذاته، أردت أن أصارحك  
بإعجابي الشديد بجمالك وبرفعة أخلاقك منذ أمد بعيد، لكن للأسف  
لم تسمح لي الفرصة بذلك، فأنت تعرفي قريتنا التي نعيش فيها ومدى  
صعبية العلاقات العاطفية فيها، وأنا أحترمك ولم أكن أريد أذيعتك  
بالتسبب لك بمشاكل مع أهلك، فخبأت ما في قلبي طويلاً، فأنا كنت  
ولا زلت أحلم بأن ألاقي قلباً أفضي إليه بأموري وأكاشفه أسراري،  
فاخترتك أنت منذ زمن طويل، ولم أكن أعرف ماذا سيكون ردك، ثم  
عاود الجلوس وصمت منتظرًا ردّة فعلها.

كانت زهيرة تصغي إليه إصغاءً شديداً، وتتلقي الكلام بشرابة واضحة على استحياء مطأطئة رأسها وتنظر إلى الأرض وهي تفكّر بما كان ي قوله محمد، ثم نطقت قائلة: إنني أعرف أنك صديق ونعم الصديق، ولقد سعدت قبل هذا بلقائك عدّة مرات، حتى ولو كانت أغليها خاطفة وبمجرد نظرات وابتسamas عابرة تنم عن الاحترام المتبادل، وسأقول لك الحقيقة دون خداع، أنا كنت ولازلت أحبك حب الأخ لأخيها، وأرجو أن تحبي أنت أيضاً حب الأخ لأخته، وفي تلك اللحظة رفعت رأسها ونظرت إلى عينيه وكأنّ روحها كلّها انتقلت إلى نظرتها، وأردفت قائلة: لا زالت السنوات طويلة ونحن لازلنا صغاراً على مثل هذه العلاقات، لكنّي سأترك ذلك للأيام حتى نتعرف على بعضنا أكثر فأكثر بحسب المواقف، وسنبقى أصدقاء مقربين ثم تنهدت بعمق وتابعت: يجب أن تعرف أولاً أي لم أدخل في علاقة تذكر ولم أفكر بها أبداً، وصراحة أنت تحظى بإعجابي منذ مدة طويلة، ثم ما لبثت أن خفضت عينيها مرة أخرى كأنها لم تعزم أمرها وقالت: ببساطة سأترك الأيام تحدّد كل ذلك.

وهما لا يزالان في ذلك الحوار حتى لحقت بهم نورة ثم أمنين أيضاً، وعاد الحوار لأسئلة الامتحان ومدى صعوبتها وحلولها، وبعد لحظات نهضوا من مكان جلوسهم وساروا رويداً رويداً إلى المطعم المركزي، حيث

افترقوا لتنّجه نورة وزهيره إلى جهة الطالبات ومحمد وأمين إلى جهة الطلاب، ويلتحق بهم صلاح وسليم في الطابور أيضاً، وبعد تناول وجبة الغداء اتجهوا إلى غرفهم مباشرةً لأخذ قسط من الراحة، وكانوا يتحاورون حول مواضيع الامتحان، أما محمد فكان طوال الطريق صامتاً وغائصاً في التفكير، ومع دخول باب الغرفة سأله صلاح قائلاً: ما بك يا محمد؟! يبدو أنك لم توفق في إجاباتك بالامتحان؟

نظر محمد إليه وهو يسحب أحد الكراسي للجلوس، إجاباتي كانت أغليها بالتمام، أنت تعرف أنني فقيه في القانون كأني طبيب في مركز صحي، فالعلة ليست في الامتحان أبداً.

ثم سأله سليم بابتسمة ساخرة: فيما العلة إذن يا طبيب القانون هههه؟

محمد: لقد استجمعت كلّ قوای وصارحت زهيره بجي الطويل منذ أيام الثانوية.

أمين وهو متلهف: وما كان ردّها هل وافقت؟ هل قبلت؟

محمد: لقد كان الحوار طويلاً، لكنني لم ألق منها إجابة صريحة تشفى الغليل، وكان جلّ كلامها الغازياً وكأنّها لا تريد الإفصاح عن مشاعرها، وربما تكون مختلطة، كعدم اعتيادها على الدخول في علاقة

من هذا النوع وخوفها من أهلها، وبين تقديرها لي وإعجابها بأخلاقي، وبين محبتها لي محبة الأخ لأخيها كما قالت، لم أفهم قصدها من كلّ هذا بالضبط؟!

صلاح: ربّما تكون قد تفاجأت بطلبك هذا، وكانت طيلة الوقت تدعك زميلاً مقرّباً بمناثبة الأخ.

أمين: لا عليك، أيّ فتاة على وجه الأرض، عندما تقترب منها وتصارحها بحبك فإنّها تتغيّر فجأة وتتمنّع وتصدّك من الوهله الأولى، وبّما لعدّة مرات أخرى، حتى ترى مدى تمسّك بها وإصرارك على الارتباط بها، وأن طلبك جاداً وليس لتمضية الوقت فحسب كما يفعل الكثير.

محمد: زهيرة ليست ككلّ الفتيات، إنّها فتاة محترمة وذات طباع خاصة، فهي تحترم ثقة والديها وإخوتها وتقدر نفسها ولها رفعة من الأخلاق، وليس من السهل أن توافق على الدّخول في علاقة غرامية مع أيّ كان إلا إذا كانت جدية وهدفها واضح وصريح.

سليم: صحيح فهي تبدو محافظة في كلّ تصرفاتها ومظاهرها، وليس من النوع الذي يقبل الدّخول في أيّ علاقات.

أمين: ما عليك إلا الصبر والانتظار، وسأطلب من نورة أن تساعدك في ذلك، وتأثير عليها لتوافق على المضي معك في علاقة جدية تتوج إلى الأبد.

محمد: سنترك ذلك للأيام وسأبقى معها كما طلبت بمثابة الأخوين، إلى حين أن تغّير رأيها في يوم من الأيام.

أما زهيرة ونورة فبمجرد دخولهما الغرفة حتى نطقت زهيرة وهي تهم بتغيير ملابسها قائلة: هل تعلمين ماذا طلب مني محمد؟  
نورة: لا، ماذا طلب منك؟ هيأخبرني.

زهرة: قال أنه يحبّني منذ أيام الثانوية، ولم تتح له الفرصة في بلدنا لمصارحتي، وأنه كان منذ أول السنة الدراسية يتحين الفرصة لفعل ذلك، وأنه يريد أن يصاحبني طيلة سنوات الدراسة الجامعية وأن علاقته جدية.

نورة: وما كان ردك إذن؟ هل وافقت؟ محمد شاب ممتاز وكل الفتيات يحلمن بالتزويج بحبه، فهو إنسان ملتزم وجدي وليس فيه ما يعاب لا من ناحية الشكل ولا الأخلاق.

زهرة: المشكلة ليست فيه، أنا أعرفه منذ أيام الثانوية، فهو شخص نبيل ومثقف ورزين، وزاد إعجابي به بعد التقرب منه خلال هذا

الفصل الدراسي، واكتشفت العديد من المزايا الأخرى التي يتمتع بها وأيّ فتاة تحلم أن تكون في فارس أحالمها، والحقيقة تقال أنه بلغ من التدفق والحماس والعاطفة، وصدق التعبير عن حبّه لي ما جعله يأسري ويسيطر على عواطفي التي أخفيتها عنه، لكن ما يجب أن تعرفيه أنّ لي أسباب كثيرة تجعلني أتربيّ أكثر، ولا أتسرّع أبداً في اتخاذ أيّ قرار مصيري لحياتي القادمة، وطلبت منه أن يبقى حبّنا كحب الأخت لأخيها، وترك الأيام هي التي تحكم على ذلك، ولننتظر لآخر سنوات الدراسة على أقل تقدير، فإذا سارت الأحوال على ما يرام ورسخت قدمي في هذا الطريق سأكون له.

نورة: كلّ شيء بأوانه صديقي، ولا تنسى أننا سننظم معًا إلى نفس المنظمة الطلابية، وسيكون هناك تنسيق وعمل موحد بيننا، وستكتشفين شخصه يوماً بعد يوم، وإذا غلبت قلبك ستحبّينه دون أن تدري والأيام ستتحكم على ذلك.

انتهت امتحانات الفصل السادس الأول، وخرج جميع الطلبة في عطلة لمدة خمسة عشر يوماً، عادوا خلالها لبيوتهم لأخذ قسط من الراحة، وفي انتظار صدور النتائج الفصلية بعد العطلة واستئناف الدراسة وإجراء الامتحانات الاستدراكيّة للذين لم يحصلوا على المعدل المطلوب في بعض المواد.

وكان موعدهم الالتقاء أمام إقامة البناء، وكلّ منهم يحمل أمتعته وتوجّهوا معاً لمحطة الحافلات بسيارة أجرة أقلّهم من أمام الجامعة، وركبوا نفس الحافلة، لكنّ محمد وأمين جلسا سوياً بينما جلست زهيرة ونورة في مقعد خلفهما، وهذا خشية انتباه بقية ركاب الحافلة، والذين كان أغلبهم من سكان البلدة نفسها، وقد يوشون إلى أهالي البناء بأنّهم على علاقة بزملائهم، حيث كانت كلّ أنواع تلك العلاقات محرّمة في جميع قواميس أهل القرية المحافظة، وتعدّ نوعاً من العار الذي قد يلحق بأهالي الفتاة وعائلتها إلى آخر العمر، لذلك كانت أغلب العلاقات تتمّ خفية عن أعين المتطفلين والفضوليين، وتكون الاتصالات بين العاشقين بسرية تامة وبعض اللقاءات الخاطفة هنا وهناك بعيداً عن أعين الناس.

وصلت الحافلة إلى البلدة وقد حضر والد زهيرة وأخو نورة لإيصالهنّ لبيوتهنّ، أما أمين فقد وجد أباه سي الشريف في انتظاره بسيارته، وأفلاً محمد برفقتهما وأوصلاه لغاية باب المنزل.

دخل محمد إلى المنزل وهو رول مرتميّاً على صدر أمّه خالتي فاطمة، وهو يشعر بفرح عميق لا يوصف، ضمّ أمّه بين ذراعيه ضمّاً قوياً وأغرقها بالقبل، وشدّ جسمه إلى جسمها من لوعة الشوق وفرح اللقاء، ثم دخل إخوته وأخواته فسلّم عليهم جميعاً، وما هي إلا دقائق حتى

دخل والده عمي العربي وهو يحمل كيسين من الخضر والفواكه عائداً  
من سوق الجمعة الأسبوعي، فقفز محمد مسلماً عليه وقبلاً رأسه.

ثم سأله والده قائلاً: مرحبا يا بني، هل سارت أمورك في الجامعة  
جيداً؟

محمد: نعم يا أبي الحمد لله على كلّ حال.

وسأله والدته وهي تهم بحمل أمتعته: وكم أخذتم من العطلة إذن؟

محمد: خمسة عشر يوماً.

الأم على الأقل ستراحت جيداً وتسترخي عدة أيام.

محمد وهو ينزع معطفه وحذاءه: نعم يا أمي الحياة في الإقامة  
الجامعية متعبة نوعاً ما.

والده وهو يبتسم ابتسامة عريضة حتى تعرى فمه الذي سقطت  
أغلب أسنانه، نعم يقال أنها تشبه الحياة العسكرية.

محمد: نعم في كثير من الأشياء رغم أنني لم أجتز الخدمة الوطنية،  
إلا أن أغلب الناس يشهدون الحياة الجامعية بالحياة العسكرية، كان  
محمد يتكلّم وهو يتوجّه صوب غرفة الضيوف حيث كان ينام كلّ

إخوته الذّكور، فالمسكن يحتوي على ثلاثة غرف، إحداها للوالدين وأخرى للبنات بينما الأولاد لهم غرفة الضيوف.

ثم تنهَّد قائلًا؛ عذرًا لقد أنهكني التّعب وأريد أن أنام لعدّة ساعات، وأخذ قسطًا من الرّاحة.

أما أمين فقد مرّ رفقة والده سي الشريف بمقرّ عيادة والدته الدكتورة شهرزاد، ودخل مسرعًا وارتعى في أحضانها بعد خروج إحدى المريضات التي كانت تتلقّى العلاج لتوها.

أمين: لقد اشتقت إليك يا أمي.

فضمّته إلى صدرها وهي تغدقه بسيل من القبلات المتتالية كأنّه رضيع صغير، وهي تقول؛ أنا أعرف سوء الحياة الجامعية ومعاناتها، يجب أن ترتاح جيّدًا في هذه العطلة حتّى تسترجع بعض قوّاك.

ثم نطق سي الشريف وهو على عتبة الباب ينظر إلى ساعته البرّاقة، هيا أسع لاني سأعود إلى مكتبي قبل الظّهر.

اما زهيرة ونوره فهما تسكنان تقرّيباً في نفس الشّارع بحي العمارات بين حيّ محمد وأمين، ولا يفصل بين منزلمما سوى بضعة أمتر، وكانا خلال أيام العطلة يلتقيان كثيراً ويذهبان معًا للحمام الشّعبي الذي يقع آخر الشّارع، وأحياناً يتراافقان للتسوق وشراء بعض الحاجيات،

وإذا ما التقى كان جلّ حديثما عن الاحتمالات المنتظرة عند ظهور نتائج الامتحانات، وعن كيفية انضمامهن للمنظمة الطلابية، وعن علاقتهما بزميلهما محمد وأمين.

كانت نورة تشجع زهيرة على المضي قدماً في اتخاذ قرارها بخصوص علاقتها مع محمد، وكثيراً ما كانت تضرب لها الأمثال عن علاقتها بأمين منذ أيام الثانوية، وعن اللحظات الحميمة التي تقضيها معه عندما ينفردان معاً، وأنهما سيعلن خطوبتهما بمجرد إنتهاء الدراسة الجامعية والتخرج.

وكانت زهيرة تبرّر سبب عدم اتخاذها لأيّ قرار بأنّ الوقت غير مناسب وأنّها لم تعهد على مثل هذه العلاقات من قبل، وأنّها تخاف أباها وأخوتها الذين لن يتسامحوا أبداً معها إن فعلت ذلك واكتشفوا أمرها، وأن الأيام وحدها ستكون كفيلة بتحديد علاقتها.

مرّت أيام العطلة الشتوية بسرعة رهيبة وكانتها سحابة صيف.

كان محمد يشترق لرؤيا زهيرة كثيراً، حتى أنه كان يذهب كلّ مساء إلى حمّها، ويبقى جالساً تحت شجرة الصفصاف التي تتنصب قبالة العمارة حيث شقة زهيرة إلى وقت متأخّر من الليل عسى أن يظفر بطلاً منها أو أيّ حركة تدلّ على أنها تلاحظه، وكان قلبها يخفق كلّما رأى

خيالا يمر من وراء الشّباك، وتغمر قلبه سعادة جارفة إذا انطفأت الأنوار متخيلاً أنّ زهيرة قد اكتشفت وجوده وتقوم بالنظر إليه خفية، كما كان ينظم إليه أمين في كثير من الأحيان ويقيان ساهرين لوقت متأخر من الليل.

وفي أول يوم من عودته إلى الجامعة، التقى إحدى زميلاتها بالغرفة وطلب منها أن تبلغ زهيرة أنه ينتظرها غداً صباحاً، أمام شجرة التوت المقابلة للمدرج.

وفي صباح الغد نهض باكراً وتوجه نحو المكان المعهود، وجلس على الكرسي تحت شجرة التوت، ولم يلبث طويلاً حتى ظهرت زهيرة ونوره وسرعان ما جلستا بجانبه ملقيتان السلام بصوت واحد.

صباح الخير، كيف الحال؟

محمد: صباح الأنوار، كيف حالكما؟

زهيرة: الحمد لله، لقد نلنا قسطاً من الرّاحة خلال أيام العطلة.

نوره: لكنّها مرّت سريعاً كالبرق.

وسرعان ما لاحظت نوره أنّ وجودها يضايقهما فانصرفت من مكانها وكأنّها تريد أن تبحث عن شيء، لكنّها لم تذهب بعيداً بل ظلت واقفة وراءهما لتستمع إلى ما يدور بينهما من حديث.

وسرعان ما دنا محمد من زهيرة وهو من فعل وصوته يرتجف وقال في  
خجل وبلهجة متوجّلة: هل اشتقت إلى خلال العطلة؟  
فاستدارت إليه ورفعت عينها الرائعتين، وسألته وقد اصطبّفت  
وجنتها بحمرة خفيفة، اشتقت إليك؟ ولماذا إذن؟

فرد بلطفة: فقد كنت لا أستطيع فراغاً أطول من ذلك، خمسة عشرة يوماً بكمالها، كنت أراك في أحلامي خلالها، فعدت من العطلة مسرعاً لأعرف مصيري، ولكنك تقطبين حاجبيك يا زهيرة هل أنت غاضبة مني؟ ألا يمكن أن أعرف اليوم شيئاً قطعاً؟

والواقع أنّ زهيرة اكتابت وبدأت تحدّثه بصوت قاس تشيع في نبراته رنة غيض، فقالت؛ وهي تخض عينها: لقد كنت أحسب أنك ستحدّثني في ذلك، وكان هذا الشعور بالنسبة إلى صعباً للغاية، وكلّما انقضّ الشّك بسرعة عن أمر من الأمور وقطع فيه برأي كان أفضل، إنّك تلح أيّ أنك تطلب الرد أليس كذلك؟ ليكن كما تريده، فسيكون ردّي كما كان من قبل، انتظر.. إنّي أكرر لك ذلك، فأنا لم أتّخذ بعد قراراً في هذا الشأن، ولا أستطيع أن أعدك بأنّي سأكون لك، إنّ المرء لا يحصل على ذلك بأن يلح في طلبه يا محمد، ولكنّي أضيف لأطمئنك إنّي لا أرفضك رفضاً قاطعاً، ومع ذلك كنت لا أدعك تأمل في قرار يكون في صالحك، فإنّما أفعل ذلك من قبيل احترامي لك ورأفة بك لما

تعانيه من قلق، وأكرر لك.. إنني أريد أن أتخذ قراري في حرية تامة، وإنني إذا انتهى بي الأمر بأن أقول لك أنني أرفضك، فينبغي أن لا تهمني بعد ذلك بأنني أثرت في نفسك الآمال العريضة فافهم هذا جيداً.

فصاحب محمد بصوت لا تزال نبراته تنطق بالتوسل: ولكن ماذا؟  
ماذا إذن؟ وهذا هو الأمل؟ وهل أستطيع أن أبي أيّ أمل على كلامك  
هذا يا زهيرة؟

تململت قليلا ثم خضبت عينها قائلة: تذكري ما قلته سابقا وكلامي  
هذا أيضا وابني عليه ما تشاء، فأنت حر تماما ولن أزيد عن ذلك شيئاً  
آخر، إنني لا أرفضك ولكن أقول لك فقط انتظر، وأحتفظ لنفسي بأن  
أرفضك إذا رأيت ذلك ضروريّاً، وألفت أيضا نظرك إلى هذا يا محمد،  
إنني على أمل أن نكون معًا في يوم ما، حين يكون الوقت والظروف  
 المناسبين لذلك، والآن كفى أرجوك ولا تُقل لي كلمة واحدة في هذا  
الموضوع حتى أحذّك أنا فيه مرة أخرى، نطبقت زهيرة كل هذه العبارات  
في لهجة جافة قاطعة ومتذمّرة وبلا تردد، كما لو كانت تحفظها مقدما  
عن ظهر قلب، وأحسنّ محمد بوطأة الصدمة وشعر بالخجل، وأدرك  
أنه تسرّع كثيرا في طلب الرد، وأجاهاه بلسانه فقط: أكيد سأنتظر متى  
تقرّرين بنفسك، وكان يقول في قراره نفسه لن أكلمها في هذا الموضوع  
مجدداً أبداً مهما حصل، وسأكتفي بصداقتها إلى حين.

وفي تلك اللحظة تدخلت نورة قائلة؛ لقد حان وقت الدراسة، ووصل أيضاً في أعقابها أمين، إنهم على وشك الدخول للدرج ثم خاطب أمين محمد في سخرية قائلاً؛ لقد هربت باكراً أكيد لأمر مهم جداً، ثم نظر إلى عيني زهيرة نظرة خاطفة، والتفت إلى نورة وهو يضحك ويشير لها برأسه لتبعله للدخول، واتجهوا إلى الدرج متباقلين.

وعند عودة محمد لغرفته كتم ما جرى بينه وبين زهيرة عن الجميع، وعزم في قراره نفسه أن يتتجنب نهائياً التفكير في هذا الموضوع، وأن يلتفت إلى دراسته، وأن يترك هذا الأمر للقدر عسى أن يأتيه بالخبر اليقين.

في ذلك الأسبوع عاد الطلبة إلى مقاعد الدراسة منتظرین صدور نتائج الفصل الأول بترقب شديد، وفي اليوم الثالث علقت النتائج لمختلف المقاييس الدراسية، في مصلحة التدريس للكلية، حيث كانت نتائج الطلبة متباينة.

لكن حدث أمر يستدعي الغرابة، بعض الطلبة الحاصلين على أعلى العلامات لم يكونوا من الطلبة المجهدين والمعروفين أساساً بحضورهم القوي واللافت للحصص الدراسية، بل كان من بين الأوائل بعض الطلبة الذين كان حضورهم نادراً، ويتجيرون عن المحاضرات أغلب

الأوقات، ويأتون فقط لبعض الحصص الدراسية الإجبارية الحضور، وأيام الاختبارات.

وقد تصدر الدفعة بأعلى العلامات طالب كبير في السن على عتبة الخمسينات من عمره، فمن المعروف أنّ قسم الحقوق يرتاده الكثير من المخريجين سابقاً، ومن الموظفين كذلك للحصول على شهادة عليا يدعون بها مسارهم المهني من أجل الترقيات المهنية، وبعض الطلبة الذين غادروا مقاعد الدراسة لأول حيواتهم لأسباب مختلفة ثم عادوا للدراسة من جديد، ومنهم التجار ورجال الأعمال أيضاً لرفع مستوىهم العلمي، حتى يخوضوا في الانتخابات ويحصلوا على مقاعد نيابية تمكّنهم من تيسير أعمالهم في دواليب الإدارة الحكومية.

وكان هذا الطالب يلقى معاملة خاصة من أغلب الأساتذة، ما عدا الدكتور عز الدين و الدكتورة حفيظة اللذين لا يوليان له أيّ أهمية مفرطة ولا يعطيانه أيّ اهتمام زائد، وكانا يعاملانه بصفة عادلة تماماً كما يعاملان بقية زملائه.

تفاجأ الطالبة بتتوبيجه على رأس الدفعة بأكملها، فهناك العديد من الطلبة النجباء والمجتهدين، والذين يفوقونه ذكاءً وفطنة واجهاداً وعلماً وحضوراً، على رأسهم محمد الذي يضرب به المثل في النبوغ في

جلّ المواد القانونية خاصة، وهذا ما جعل الجميع يشكّون في الأمر، وقد جاء محمد ثانياً.

لم تكن النتائج المعلقة التي ظهرت قد أرضت الأغلبية الساحقة من الطلبة، والذين سقط الكثير منهم في عديد المواد، حيث سيضطرون لاجتياز الامتحان الاستدراكي، ولم ترضي حتى بعض الأوائل الذين رأوا أن هناك إجحافاً في حقهم، وأن البعض الآخر من زملائهم الذين سبقوهم أقلّ منهم شأنًا، ولا يستحقون أن ينالوا تلك المراتب، وأن هناك من الأساتذة من يجامِل بعض الطلبة ويميل لتصنيف علاماتهم دون غيرهم.

قرر محمد وزملاؤه أن يتحرّزوا عن هذا الطالب المدعو الحاج إبراهيم، فذهبوا أولاً إلى مصلحة التدريس للسؤال عن الأمر عسى أن يكون هناك خطأً إداريًّا أو أي شيء من هذا القبيل، وبمجرد وصولهم داخل المصلحة قابلتهم مدام نوال كعادتها بكثرة الترحيب، حيث نهضت من مكتها وهي تعيد وساحتها على رأسها، وتحاول إخفاء بعض خصلات شعرها المتبدلة من تحته كعادته وقالت وهي تبتسم ملء جفنهما: مرحباً بكم.

محمد: صباح الخير مدام نوال، أتينا فقط لنسألكم عن بعض الملاحظات المتعلقة أساساً بخصوص نتائج الامتحانات المعلنة؟

مدام نوال: بخصوص ماذا بالضبط؟ هل من توضيح أكثر؟

نورة وهي تسحب من محفظتها إحدى الأوراق: قد لاحظنا أن هناك تناقضًا كبيرًا في علامات بعض المقاييس، ثم اقتربت من مدام نوال وكشفت لها العلامات التي سجلتها في تلك الورقة.

زهيرة: بعض الطلبة لا نعرف منهم سوى الأسماء، لكنهم حصلوا على أعلى الدرجات، ألا يعد هذا أمراً غريباً؟ قالت ذلك وهي تعدد الحالات المسجلة، وتشير لهم بسبابتها في تلك الورقة التي أخرجتها نورة من محفظتها.

أمين: أغلب الطلبة لم يكونوا راضين عن هذه النتائج، ويرون تضارياً وتناقضًا كبيرين بينها وبين الواقع.

نظرت إليهم مدام نوال وهي تعود للجلوس في مكتبتها من جديد، وقالت متأوهة: نحن في مصلحة التدريس ليس لنا دخل في ما يعلن من نتائج، فمهما تناولنا مجرد تعليق الإعلانات، ونتسلل الطعون المقدمة من طرف الطلبة، ونستطيعون تقديم طعونكم في المقاييس التي ترون أن فيها إيجاباً في حقكم، وسنقوم بتحويلها لرئيس القسم، والأجل المحدد لذلك هو ثمانية أيام ابتداءً من تاريخ إعلان النتائج.

ونهض كلّ من زميلها أنور ووليد من مكانهما في نفس اللحظة وتقدّما منهم وقال أنور وهو يتثاءب ويضع يده على فمه: الطعون الخاصة بالليسانس على مستوى مكتبي.

وأكمل وليد وهو يعيّد لباس نصارته الغليظة قائلاً: وطعون الماستر على مستوى مكتبي أنا، لكن لا أظن أنها ستتجدي نفعاً فهي مجرد إجراءات روتينية لامتصاص غضب بعض الطلبة، وبعدها تُرمى في الأرشيف.

محمد وهو يثني شفتيه متعجّباً: الإشكالية لا تكمن فقط في تناقض بعض العلامات لبعض المقاييس، إنما في بعض الأشخاص الذين لا يستحقون حتى أن يكونوا متواجدين في المراتب الوسطى، وإذا بهم على رأس الدّفعة بأكملها.

مدام نوال وهي تصرّح ملء جفنهما كعادتها: هذه الأشياء اعتدنا عليها في كلّ سنة، وطعون الطلبة وشكاؤهم لا تنتهي، وفي أغلب الأحيان لا تؤخذ بعين الاعتبار، فالأساتذة يرفضون إعادة تقييم إجابات الطلبة أو إعادة تصحيح أوراق الامتحان إلا في حالات نادرة جدّاً، ثم نهضت من جديد وتقدّمت نحو محمد وهي تحدّق في عينيه مباشرةً، ولكن من تقصد من الطلبة بالضبط؟

محمد هناك العديد من الطلبة الذين لم نرهم يداومون على الحضور، لا يأتون إلا للحصص الدراسية الإجبارية خوفاً من الإقصاء فقط، وعلى سبيل المثال هذا من يدعى الحاج إبراهيم، والذي جاء على رأس الدفعة بأكملها، رغم أننا لا نعرف عنه شيئاً.

ثم تدخل أنور وهو يبتسم، آه الحاج إبراهيم.. إنه رجل الأعمال المعروف الذي ترشّح منذ سنتين في الانتخابات البلدانية ورفض طلبه لعدم توفره على شهادة علمية ذات مستوى عالي، وأظنه قرر العودة لمقاعد الدراسة للحصول على شهادة علمية تؤهله للترشح مرة أخرى لانتخابات المجلس الشعبي الوطني

وخطف وليد منه الكلام، ويقولون أنه مقرب جداً من رئيس الجامعة شخصياً، وأنه لذو شأن كبير، والجميع يحترمونه وبهابون سلطته، ويقال أن له أيضاً اتصالات بالوزير نفسه، وأغلب الأساتذة وكبار المسؤولين والإداريين يتودّدون إليه، حتى يذكرهم لدى رئيس الجامعة ويكون راضياً عنهم، طمعاً في الحصول على ترقيات وامتيازات أخرى.

نورة: آه لقد فهمنا قصدكم هذا طالب مفوض فوق العادة إذن؟

أمين: لن يحصل على كلّ هذه الامتيازات على حسابنا، وسنعمل  
جاهدين على إيقاف هذا التلاعُب بمصير الطلبة.

مدام نوال: لا تتعبو أنفسكم فكلّ ذلك لن يجدي نفعاً، فليس من  
السهل إصلاح منظومة بلغ فيها الفساد حدّاً كبيراً، قالت ذلك وهي  
تحنق نفسها مشيرة إلى بلوغ الرقبة، فمن الأجرأ أن تتجاوزوا سنواتكم  
الدرّاسية كمن سبقكم ولا تلتفتوا مثل هذه الأشياء التي ستتعبكم  
وتدخلكم في مواجهات أنتم في غنى عنها.

نظر محمد إليها وهو بهم بالخروج، وقد ظهر في عينيه حزن عميق،  
ثم قال وهو يأخذ نفساً عميقاً: يجب أن يتوقف مثل هذا التلاعُب  
 بمصير الطلبة آجلاً أو عاجلاً، والأيام فقط من ستجيبكم عن ذلك..  
شكراً مدام نوال والسيدين أنور ووليد على كل الإيضاحات.

ثم غادروا مصلحة التّدريس عائدين إلى غرفهم، وكان يعزوهم حزن  
كبير، وأثناء الطريق ساد صمت رهيب، وعند وصولهم أمام باب إقامة  
الطلابات وقف نور فجأة ثم استدارت إليهم قائلة: حتى يتوقف كل  
هذا يجب أن ننظم في أسرع وقت لأحد المنظمات الطلابية حتى يكون  
لنا الحق الكامل في الدّفاع عن حقوقنا المهدورة، ونرفع الكثير من  
الظلم والإجحاف الذي يتعرض له الطلبة.

وأكملت زهيرة كلام صديقتها قائلة؛ نعم يجب أن يكون ذلك في أول تجديد لعضوية مكاتب المنظمات الطلابية، ولحد الآن لا نعرف أي منظمة أكثر مصداقية.

محمد: منظمة الطلبة الأحرار الأكثر مصداقية ومكانة حسب ما استقتيه من أخبار ومعلومات من أغلب الطلبة، إننا إذا انضوينا تحت رايتهما سنحاول تحسين صورتها أكثر، ونعمل على ترسيخ مبادئها لدى غالبية الطلبة.

أمين: الانتخابات التجددية قريبا، ربما بعد الامتحانات الاستدراكية مباشرة، ثم تقدم قليلا وهو يجذب محمد من ذراعه.. هيا لتأخذ قسطا من الراحة وبعدها نتحرى عن الحاج إبراهيم هذا.

وفي آخر المساء دعا محمد طالبا يدعى سمير، كان يقيم في الطابق السفلي بنفس الجناح ويزامل الحاج إبراهيم بنفس الفوج، وهو من نفس قريته الحدودية أيضا ويعلم عنه الكثير، بغية أخذ معلومات عنه والتحري أكثر عن أمره.

كان شاباً وسيم الوجه بادي الأنقة لكنه ليس قويّ الشخصية، كان ثرثراً ولا يتّصف بالرزانة والاتزان ويحبّ إبداء رأيه في شتى المواضيع، ومهبّ مخالطة الناس وحشر أنفه في كلّ صغيرة وكبيرة.

دخل الغرفة وجلس مباشرة على أحد الكراسي قرب الطاولة وهو  
يكتب قائلاً: ألا تحضرون القهوة لضيفكم؟

نظر إليه صلاح وقال له مبتسمًا: تستحقّ عشاءً فخماً، وليس فقط  
قهوة.

ثم ردّ قائلاً: أنا فقط أمنح وأعرف أنّ الإقامة الجامعية خالية  
الوفاض، وإن أردت إحضار كوب قهوة تقطع عشرات الأمتار لنادي  
الطلبة.

ثم قاطعه أمين قائلاً: لا عليك، ستشبهها بعد العشاء على حسابي.  
سليم: تستحقّ أكثر من دعوة على كوب قهوة زميلي المحترم.

كان محمد طيلة هذا الوقت واقفًا قرب الباب ينظر إلى ضيفه وهو  
غائب في تفكير عميق، ثم ما فتئ أن وجه له سؤالاً مباشراً دون أيّ  
مقالات، أتعلم لماذا دعوناك؟

لا لكنّي شككت في أنكم ربما تريدون ضمي لمجموعتكم التي تودون  
خوض انتخابات المنظمة الطلابية الحرة بها، ثم واصل كلامه وهو زاهٍ  
بنفسه، وقد سمعتم عنّي أني حاذق وصاحب مواقف كثيرة وأنّي رجل  
شهم، وكان لا يسكت عن الكلام ولا يتوقف عن الثناء على نفسه  
ومدحها وسرد الكثير من المواقف والحكايات المتتالية.

إلى أن قاطعه محمد قائلاً: الحقيقة أنّ ما جئنا من أجله ليس هو ما تعتقد أنت، وليس ما تصوّره في مخيّلتك، فالامر يتعلّق بمجرد استفسار عن أحد الطّلاب لا غير، ونريد أن نكشف ونستوضّح فقط بعض الغموض، حتى لا نسيء الظن والحكم على أحد.

وبمجرد سماعه ما قاله محمد قفز فجأة من مكانه واتجه صوب الباب وكأنه بهم بالخروج، ثم قال بسرعة: آه آه عرفت الآن! أكيد تريدون الاستفسار عن الحاج إبراهيم، فمنذ أن وطئت قدماي الجامعة والكل يسأل عنه ولا يتوقف أحد عن ذلك، حتى الموظفين والعمال والأساتذة كذلك يسألون عنه، وكنت أظنكم الوحيدين الذين لن تفعلوا ذلك، ثم أثني شفتيه وأخذ يومئ برأسه لعدة مرات.

وفي الوقت نفسه أمسكه أمين من ذراعه بلطف وكأنه يتودّد إليه قائلاً: نحن فقط أردننا أن نستفسر عن بعض الأشياء التي تهم الجميع، ولا حاجة لنا بأمره الشخصية التي لا دخل لنا فيها، ولا تهمّنا من قريب أو بعيد.

محمد: هناك طلاب يدرسون ويجهّدون طمّعاً في حصولهم على المراتب الأولى للفوز بمنحة دراسية في الخارج، أو للحصول على عمل جيد بعد التّخرج يقيمون عوز الحياة، وفجأة يعتلي الصدارة أشخاص

آخرون لا علاقة لهم بالاجتهد أصلًا، ألا تسمى هذا ظلماً وجوراً يجب أن يتوقف؟

قال ذلك وهو يضرب كفًا بكف.

صلاح: ولذلك نحن نسأل عن صاحب المرتبة الأولى على رأس الدّفعة، الحاج إبراهيم هذا علّه نابغة ونحن لا نعرف ذلك؟

فعاود سمير الجلوس على نفس الكرسي من جديد وكأنه اقتنع بكلامهم، وقال بهدوء قد يكون ما تقولونه صحيح، لذا سأقصّ عليكم أغلب تفاصيل حياته، مما أعرفه عنه وبلغ سمعي من أهل القرية.

ثم تململ في مكانه واعتدل ليرفع ساقيه ويتربيع قائلاً: إنه في بلدنا أشهر من علم، فهو من عائلة تمتهن التجارة الحرة منذ أمد بعيد، فقد عاش في عائلة كثيرة المواليد، فأبوه الحاج الحسيني له ثلاث زوجات، ويعمل الكثير من الأراضي الفلاحية والعقارات وعديد المحلات التجارية والاستثمارات المتنوعة، وكان في بادئ الأمر يمتهن تربية المواشي، وبما أن أراضيه الفلاحية تقع مباشرة على الحدود، سهل ذلك عليهم عملية التبادل التجاري مع جيرانهم من السلع والبضائع، هذا قبل الاستقلال، أما بعده فقد أغلقت الدولة كل ذلك، فتحولوا إلى عمليات التهريب، وبعد تمركزه في القرية غداة استقلال البلاد، افتتح محلات تجارية

أمام السوق الأسبوعية، ونمّت بعدها تجارتة بسرعة وكبرت إلى حدّ كبير، وأصبح كلّما غادر أحد أبنائه مقاعد الدراسة يفتح له محلًا تجاريًا، ويؤسس له تجارة خاصة به، حتى أصبح يسيطر على أغلب أنواع التجارة في البلدة التي كبرت بسرعة مع الأعوام، وأصبح المמון الوحيد لبقية تجار الجملة.

ثم حمل عبوة الماء التي كانت أمّامه ليترشّف منها وأكمل كلامه دون توقف، وكان الحاج إبراهيم أحد أوسط أولاده وأكبرهم من زوجته الثانية، حيث توقف مبكرًا عن الدراسة، على ما أظنّ في السنة الأولى متوسّط كما يقولون، وأصبح يلازم والده أينما يكون، وأخذ عنه التجارة عن أصول، ولشدة فطنته وذكائه وحرصه جعله والده ذراعه الأمين الذي يعوّل عليه في أحلك الظّروف، ويكلّفه بأصعب المهام، وبالاخص جانب الحسابات وترتيب الوثائق الإدارية المختلفة التي تسير مختلف تجارتة المتعدّدة، ومع تقدّم والده الحاج الحسيني في العمر وترابيه عن الإمام بشقّ الأمور، أصبح للحاج إبراهيم السطوة والقوة في التّحكّم بكلّ ما يخص العائلة بأكملها، وبدأ يأخذ دور والده تدريجيًا بعد ما حاز على ثقة جميع أفراد العائلة، وكان عند حسن ظنّهم.

كان يسترسل الكلام كأنّه يحفظه عن ظهر قلب والجميع ينصت إليه بانتباه شديد، وأكمل قائلاً: ومع تغيير الأوضاع السياسية

والاقتصادية في البلاد أثناء العشرية السوداء والذي صاحبه الانفتاح الاقتصادي في البلاد لأكثر من ثلاثة عقود، استغل الفرصة ليؤسس شركات متعددة بأسماء إخوته، وكانت أكثرها شهرة ثلاث شركات إحداها اختصت في استيراد الأجهزة الكهرومنزلية، والمعروفة الآن وطنياً، وأخرى كانت تختص باستيراد الأدوات المكتبية والمدرسية، وتمضي عقوداً تموينية وتفوز بالصفقات مع عديد الإدارات العمومية والمؤسسات الخاصة، والثالثة اختصت بالمواد الغذائية وتموين السوق الخاصة، وأيضاً بعض مؤسسات الدولة بعقود طويلة الأجل، وبقي على هذه الحال مستغلاً للتحولات الاقتصادية والسياسية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى كلّ بضع سنوات، خاصة إذا حدثت تغيرات في الحكومات من الوزراء والولاة وحول شركاته إلى مؤسسات استثمارية حتى تستفيد من عديد المزايا التي تمنحها الدولة، كالتسهيلات في الحصول على القروض البنكية الكبيرة والإعفاءات الضريبية والجمالية، وقام أيضاً بالاستيلاء على عديد المؤسسات الحكومية الفلسفة واحتراها بالدينار الرمزي بالتواطؤ مع بعض الإداريين الحكوميين الفاسدين.

ثم قاطعه محمد قائلاً؛ نعم صحيح، فكلّ ما سمعناه ينطبق على  
أغلب رجال الأعمال وكبار التجار، فأغلبهم انتهازيون استغلوا مراحل  
التحول التي مرّت بها البلاد خلال العقود الفائتة للاغتناء بشتى الطرق.

وأسأله سليم قائلاً؛ لكن ما نريد معرفته كيف أصبح طالباً جامعياً؟  
وكيف يحصل على المرتبة الأولى بامتياز؟ وبنال تقدير واحترام وتجليل  
الجميع؟!

صمت قليلاً وهو يفكّر ثم حك رأسه وأردف قائلاً؛ هنا بيت  
القصيد، سبب عودته لمقاعد الدراسة هو رغبته في الترشح للمجلس  
الشعبي الوطني، وحصوله على منصب داخل البرلمان، حتى تكتمل  
صورته القوية أمام الشعب، ويقال عنه في الحملات الانتخابية رجل  
الأعمال الدكتور الحاج إبراهيم، ولا يدع أي ثغرة للانتقاد والانتقاد  
من هيبيته ومكانته، وتكتمل صورة الرجل القوي مالياً وعلمياً وثقافياً  
أمام الجماهير، حتى أنّ دراسته واصلها عبر التعليم عن بعد لغاية  
اجتياز امتحان البكالوريا، ويقال أيضاً أنه اشتري جميع أفراد أمانة  
الامتحان، وكان يرسل لهم الغداء الفاخر من أحد مطاعم إخوته طيلة  
أيام الامتحان، كما يشاع كذلك أنه بعد إعلان النتائج ونيله لشهادة  
البكالوريا مباشرة، أرسل مدير التربية شخصياً ورئيس أمانة الامتحان  
لأدائه مناسك العمرة كهدية لهم جزاء تعاونهم معه، حيث أنّهم كانوا

يستبدلون إجاباته في أوراق الامتحان بأخرى نموذجية جاهزة، يعدها بعض الأساتذة في الأكاديمية، لدرجة أنه نالها بامتياز، ويقال أيضاً أنه على علاقة خاصة مع رئيس الجامعة شخصياً، وكلّ نوابه والأمين العام أيضاً، وأغلب عمداء الكليات ورؤساء الأقسام والمصالح، فالجميع يهابه ويتودّدون له لكسب مرضاته حتى يزكيّهم لدى رئيس الجامعة طمعاً في حصولهم على ترقيات سريعة أو مناصب أعلى من التي يشغلونها.

سليم وهو يضرب كفيه ببعضهما تارة ويمسك برأسه تارة أخرى، حقّاً إنّه أخطبوط وتمتدّ أرجله في كلّ مكان، ومن الصّعب جدّاً أخذ الحق منه إن كان كلّ هؤلاء جمِيعاً وراءه ويدعمونه.

صلاح: المشكلة أنّه ليس لوحده ينال أعلى العلامات في كلية الحقوق، بل يتولّ للكثير من أصدقائه وزملائه ومعارفه في بقية التخصصات للحصول على نفس الشيء.

محمد: إن كان كلّ ما قلته صحيحاً فالأمر جدّ خطير، قال ذلك بحزم شديد وهو يفتح عينيه ويقبض على كفيه بشدة.

ثم تقدّم نحو سمير وهو يحدّق فيه مباشرة وقد احمرّت عيناه، وصاح بقوّة، ولتصحيح الوضع يجب علينا أن نبذل الكثير من الجهد

ونضحي بالكثير من الوقت، وأن نستعدّ لذلك من كل النواحي، ولا يكون عملنا اعتباطيًّا، بل يجب أن يكون منظماً وعلى مراحل وفي إطار قانونيٍّ بحت، حتى نستطيع حماية أنفسنا من كل التبعات والمتغيرات.

ثم تقدّم منه أمين وهو يربط على كتفه مهدّئاً من غضبه قائلاً؛ يجب أولاً الانطواء تحت جناح المنظمة الطلابية الحرة كما اتفقنا ومن خلال ذلك يمكننا فهم سرّ كل العلاقات بينه وبين كبار المسؤولين والإداريين، وبعد ذلك تأتي تدريجيًّا بقية المراحل الأخرى من تعبئة الطلبة والطعون والوقفات الاحتجاجية والإضرابات.

وبعدها نهض سمير من مكانه وهو يهرب بالخروج قائلاً؛ الآن قد قلت لكم كلّ ما أعرفه عن الحاج إبراهيم خارج وداخل الجامعة واعذروني سأغادر لأنّي تأخرت عن وقت نومي.

صلاح: أنت مشكور على كل التوضيحات التي أخبرتنا بها، وننتمي أن يوفقنا الله جميعاً في المضي قدماً نحو استرجاع حقوق الطلبة المنهضة من كل النواحي.

محمد: سنبذل قصارى جهودنا لاستعادة كل الحقوق المسلوبة ولن نكلّ أو نملّ أبداً، ولا يزال أمامنا طريق طويل لاكتشاف الكثير من الخبراء.

أمين: مشاكل الطلبة ومعاناتهم لا تقتصر فقط على الجانب الدّراسي البيداغوجي، بل تتعدّاه لمشاكل الإطعام والنقل وسوء الإقامة والكثير من المشاكل التي لا حصر لها كما تعرفون.

وارتى صلاح وسليم على سريرهما لأخذ قسط من الراحة، بينما خرج محمد وتبعه أمين إلى شرفة الغرفة.

محمد وهو يتّكئ على حائط مقدمة الشرفة ويمدّ بصره بعيداً إلى شرفة زهيرة ونورة، وهو يتنحّد ويأخذ نفساً عميقاً، أظنّ أنّ الحمل يزداد علينا ثقلاً يوماً بعد يوم، والمشاكل التي تعاني منها الأسرة الجامعية لا تنتهي، والطريق الذي اخترناه للدفاع عن حقوق الطالب محفوف بالمخاطر.

أمين: كنت أظنّ أنّ مشاكل الطالب تنحصر في بعض المطالبات بتحسين وجبات الإطعام فقط، لكن مع الأيام اتّضح لي أنّ معاناة الطالب لا تنتهي في أدقّ تفاصيل حياته اليومية.

محمد: ما دمنا قد بدأنا المسيرة في هذا الدرب لن نتراجع أبداً، حتى نحقق كل المكاسب المرجوة، وهناك الكثير من الخبابا التي لازلنا لم نكتشفها إلى حدّ الآن، وربّما إذا مارسنا العمل النقابي الطلابي

سنكشف الكثير من الحقائق، ثم عاودا الدخول للغرفة وارتميا في سريرهما وغطّا في نوم عميق.

ومرت الأيام على تلك الحال، حيث كان الأولاد يتوجّهون في بعض الأحيان للمراجعة سوياً في المكتبة كعادتهم رفقة الفتيات، خاصة عند إنجاز البحوث الجماعية والتسلّك أحياناً في ساحات الكليات، والجلوس معاً مساءً في الساحة المقابلة لإقامة الطالبات، أما بعد العشاء فكانت زهيرة ونوره يمكنهن بغرفتهن وأحياناً يتبعن بعض حلقات المسلسلات بالنادي الداخلي للطالبات، أما محمد وأمين وصلاح وسليم فإنهم كعادتهم يبقون في نادي الطلبة للعب الدومينو أو الورق لأوقات متأخرة من الليل، وفي عطل نهاية الأسبوع كانوا يقيمون مباريات ودية لكرة القدم تنتهي أغلبها بالمشاجرات والمنازعات عن أحقيّة كل فريق منهم في الفوز وتحيز الحكم، ويتصالحون مساءً عند الالتقاء في طابور العشاء، وأحياناً يبقى الصراع والتشاحن والجدال لآيام أخرى ينتهي بالتصالح قبل إعادة إقامة مباريات أخرى.

كانت الأيام تقريباً متشابهة حتى أن زهيرة لم ترد على محمد بأيّ جواب، وكانت تتعامل معه بصفة عادلة وأصبحت تتجنب البقاء معه على انفراد، أو الخوض معه في أي موضوع من هذه الناحية، وكان جلّ كلامها عن الامتحانات والواجبات الدراسية وعن التخطيط لانتخابات

عضوية منظمة الطلبة الأحرار، على عكس أمين ونوره اللذين كانوا يلتقيان بمفردhem في كثير من الأحيان، حتى أنهما يزوريان لوحدهما في القسم ويتبادلان الحديث بخصوص مستقبلهما بعد التخرج والّتخطيط لحياتهم المستقبلية بعد الزواج، أما صلاح كان كثيراً ما يتركهم وينذهب لصالحة التدريبات لكمال الأجسام ليمارس هوايته المفضلة في حمل الأثقال، وسليم كان أحياناً يرافقه وأحياناً أخرى يذهب بدوره للنادي الثقافي، حيث يمارس هوايته المفضلة في المشاركة بتدريبات بعض العروض المسرحية التي تحضر عادةً لمناسبات قادمة مثل عيد الطالب وعيد العلم وعيد العمال، والمناسبات الوطنية كعيدي الثورة والاستقلال.

كان محمد كعادته يسعى جاهداً لتقديم يد العون للجميع، خاصة في المسائل القانونية التي برع في إيجاد حلول لها، لكلٍّ من وقع في مشكلة ما أو احتاج لتفسير ما.

وفي أحد الأيام من منتصف الفصل الثاني، بينما كان محمد وأمين وزهيره ونوره عائدين من حجرات الدراسة إلى الإقامة كعادتهم مارّين بجانب مصلحة التدريس لفت انتباهم إعلان معلق كبير فتقدّموا ليطّلعوا عليه، إنّه يخصّ بداية الترشح لعضوية جديدة لمنظمة الطلبة الأحرار.

نورة: وأخيراً فتحوا باب الترشح للعضوية التي انتظرناها بفارغ الصبر، وبدأت تقرأ ما كتب فيه جهراً: تعلن منظمة الطلبة الأحرار عن فتح باب الترشح لإعادة عضويتها في أجل أقصاه ثمانية أيام من بداية نشر هذا الإعلان، فعلى الراغبين في ذلك من الطلبة سحب استمارة طلب الترشح من مكتب المنظمة وإحضار نسخة من الشهادة المدرسية.

محمد: غداً نتوجه جميعاً لنقوم بسحب وإيداع طلباتنا، فهذا الإعلان معلق منذ ثلاثة أيام ولم نلاحظه أو يخبرنا أحد بذلك، علينا التسجيل بسرعة حتى لا تنتهي الآجال القانونية لاستقبال طلبات الترشح.

أمين: صحيح، على الأقل نبدأ في حملتنا الانتخابية مبكراً، ونجمع التأييد والأصوات، فأمامنا أسبوعان فقط قبل إجراء الاقتراع الانتخابي ويجب أن نجتهد كثيراً ولا نضيع هذه الفرصة أبداً.

زهيرة: أكيد فكلّ أمالنا كانت معلقة على الانضمام لهذه المنظمة، حتى نؤطر كلّ مطالبنا ودافعنا عن حقوقنا بصفة قانونية تضمن لنا الحصول على أفضل النتائج والوصول لأغلب أهدافنا المسطرة.

وفي صباح الغد التقى الجميع أمام باب إقامة الطالبات وتوجهوا مباشرة إلى مكتب المنظمة الطلابية، والذي كان يقع بين رئاسة

الجامعة وعمادة كلية الحقوق في الساحة المركزية، وقد أصرّوا على ترشّحهم جمِيعاً عَلَيْهِم يحصلون على أكبر عدد من التمثيل في مجلس الطلبة لهذه المنظمة التي عرف واشتهر أنها الأفضل من بين بقية المنظمات الطلابية، والأكثر ميلاً لها من طرف الطلبة، وهي الأقوى تمثيلاً لهم في الإدارة ونشاطاً في الأوساط الجامعية، وعند دخولهم ذلك المكتب الصغير وجدوا طالبين من أنشط الأعضاء بالمنظمة، وهما رئيسها حسين صاحب الثلاثين عاماً، والذي حسب ما يشاع عنه من أخبار فهو على رأس هذه المنظمة منذ سنوات طويلة، والتي لا تنتهي وتتجدد كلّ سنة، فقد تخرج من قبل وحصل على شهادة في علم الاجتماع، ثم أعاد التسجيل في الحقوق حتى أنه يتعمّد الرّسوب في بعض السنوات، حتى لا ينتحر ويبقى رئيساً للمنظمة، وعلى ما يبدو أنه العام الرابع من مساره الدراسى لنيل شهادة أخرى في الحقوق وهو لا يزال في السنة الثانية، حيث كان من المفروض أنه أنهى دراسته وسيتخرّج هذا العام، ويقال أيضاً أنّ له يدًا طويلة داخل كواليس الإدارة، وأنّه يلقى كل الدّعم ، والتسهيلات لبقائه رئيساً للمنظمة من طرف كبار المسؤولين.

وبحاجبه نائبه الذي ينحدر من نفس مدینته، والذي يشبهه كثيراً في مساره الدراسي، ويعتبر الدرّاع الأيمن له وأمين سرّه المدعو ياسين وهو

شاب طويل القامة له لحية طويلة تتدلى على ذقنه ويلبس قميصاً أبيض وأحياناً رمادياً، ويظهر عليه الكثير من الوع والتدين، وكان جلّ حديثه عذباً يرتكز على الآيات والأحاديث التي يستعملها في جل نقاشاته وحواراته لإقناع غيره ومستمعيه، حتى ولو كان استعمال تلك الآيات والأحاديث في غير محلّها وموضعها، وتؤدي معنى غير الذي يقصده، وكان يعتبر الناطق الرسمي باسم المنظمة الطلابية الحرة.

وكانت برفقتهم طالبة أو ممثلة الطالبات في المنظمة المسماة دلال، وهي لا تمت بصلة للجمال كأنّها بينها وبينه خصام، وكانت فتاة سمينة وقصيرة القامة سمراء البشرة وكثيرة المساحيق، كأنّها تريد أن تغير لون بشرتها من السمرة إلى البياض عنوة، وتضع أحمر الشفاه شديد اللّمعان، وتلوّن ما فوق عينها بالأزرق الشفاف وتضع رموشاً مصنوعة كبيرة، وأظافر أيضاً من البلاستيك المصقول بنفس لون ما فوق عينها، وكانت تجلس بينهما على المكتب نفسه، وهي تمضغ العلكة وكثيرة التبسم والضحكة والحركة.

وبمجرد أن وطأت أقدامهم المكتب، إلا وصاح رئيس المنظمة المنتهية عهده وهو يقوم من مكانه محاولاً أن يظهر على وجهه علامات الفرح لكنها في الحقيقة ممزوجة بغبطة تشغّل من عينيه قائلاً: أهلاً وسهلاً بكم، من دواعي سروري أن تكونوا ضمن المرشحين لنيل عضوية

منظمي الغالية، وأنا جدّ فخور وسعيد بكم ويبدو أنّ المشعل ستحمله أيادي آمنة وحريصة على مصلحة الطالب، وقد سمعت الكثير عنك يا محمد رغم عدم معرفتي السابقة وال المباشرة بك، وحسب ما قيل لي أنت نابغة في القانون ولا تتوانى ولا تتأخر عن مساعدة الآخرين.

نظر محمد إليه نظرة تعجب واستغراب وعيناه تومضان ببريق من الأمل، ووجهه يمتنج بالحيرة والدهشة في نفس الوقت بهذا الاستقبال الذي لم يكن يتوقعه من طرف رئيس المنظمة ذات نفسه، والذي سيكون منافساً مباشراً له في انتخابات تجديد أعضاء المنظمة، ثم قال؛ أكيد سنحاول أن تكون إضافة لمنظمة الطلبة الأحرار وسنكتشف أولاً مبادئها ومسارها وقوّة نضالها وهذا طبعاً بمساعدتكم، حتى نسير على خطى من شيدوا وبنوا قبلنا مسار النضال الطلابي الحر، مع محاولتنا طبعاً تقديم الإضافة والتجديد.

ثم تدخلت نورة وهي تقطب حاجبيها قائلة؛ أنت لم تسمع سوى عن محمد لكنك لا تعرف من وراءه؟ ثم التفتت إلى محمد وغمزت له بعينها اليسرى وابتسمت ابتسامة خفيفة، وعاودت النظر في وجه رئيس المنظمة وقالت وهي تشير بيدها إلى زملائها: هؤلاء جميعاً سيترشحون، وهم أذرع محمد وسندته، ثم حدقت في عينيه مباشرة

وعقبت على كلامها قائلة؛ ما عليكم سوى تسليم المشعل إلينا وسنكون لكم شاكرين، قالت ذلك في نوع من السخرية والاستهزاء.

وتحول اندفاع نورة إلى حماس لزميلتها زهيرة على الرغم من أنها فتاة رزينة عاقلة، فقد سال لهاها وقالت نعرف أن هذه المنظمة الأفضل عملاً وخدمة للطالب، لكن يبدو أنها في حاجة إلى تجديد ودفع بعض الدماء الندية في شرائينها وسنبني صرحها من جديد.

وخطف أمين الكلام قائلًا؛ وكأنه يريد أن يهدى الوضع وأن يتتجنب تحول الحوار إلى جدال وصراع بالمعاني والكلمات، نعرف جميعًا أنكم لم تخلوا على الطلبة بمجهوداتكم، وقدّمتم كلّ ما تملكون للدفاع عن حقوقهم، وعملتم كلّ ما بوسعكم لتحسين أوضاعهم، وأنتم مشكورون على ذلك لكن يبدو أنه حان الوقت لتسليم المشعل.

وقطب رئيس المنظمة ما بين حاجبيه بشدة وتلون وجهه بين الصفرة والحمرة، وهو يستمع إلى هذا الحوار في شيء من الذعر المبطن الذي تغلفه ابتسامة مزيفة، ولكنه استعاد أخيرًا رباطة جأشه وقال في لفحة جافة: الباب مفتوح للجميع، حتى ولو ترشح للعصبية كل طلبة الجامعة أجمعين، ومن دواعي سرورنا التجديد في الأفكار والجدية في الأعمال، لكن بشرط عدم المساس بمبادئ المنظمة ومسارها المعهود فقد شيدته سواعد الأحرار.

ثم ما فتئ أن تدخل سليم وهو يهم بوضع شهادته المدرسية على المكتب وقال مبتسمًا: هل نستطيع الآن الحصول على استثمارات طلب الترشح للعضوية فالوقت يداهمنا، وقد يتحقق طلبة آخرون لنفس الغرض ولا يسعهم هذا المكتب الصغير.

فتدخل نائبه ياسين الذي كان منشغلًا بترتيب بعض الوثائق، ورفع رأسه وهو يمشط لحيته الطويلة ويفرركها برأس أصابعه قائلًا؛ بالتأكيد ثم التفت إلى زميلته دلال: قدّمي لهم استثمارات طلب المشاركة في انتخابات العضوية وتسلّمّي منهم نسخًا من الشهادات المدرسية، ولا تنسي تسجيلهم في الدفتر الخاص بذلك.

قامت إليهم مسرعة وكأنّها تريد التخلص من وجودهم الذي يبدو أنه أزعجها وأفسد عليها جلستها الحميمة رفقة زميلها، ثم تناولت الشهادات المدرسية وأخذت تقلّبها الواحدة تلو الأخرى، وتذكّر أسماء أصحابها بصوت مرتفع فيه نبرة من الغضب المكتوم، صلاح.. سليم.. نوره.. محمد.. زهيرة.. أمين.. ثم نظرت إليهم وهي تعض شفتها السفلية وتحرك رأسها إلى الإمام تارة والخلف تارة أخرى، آه جمیعکم ترغبون في الترشح، ثم استدارت للخلف وابتسمت بسخرية، وهي تنظر في عيني حسين، وتخطف نظرة سريعة لنائبه ياسين، ورمتها على المكتب وتناولت معها مجموعة من الاستثمارات ودفتر أخضر كبيراً، ثم

وضعهم على طاولة مهترئة أمامها كرسين خشبيين خصصا للاستقبال، وأردفت قائمة: تستطيعون ملء استماراتكم بأنفسكم، ولا تنسوا تسجيل أسمائكم وأرقام تسجيالتكم في الدفتر، وعادت مسرعة إلى مكانها وجلست وهي لا تزال تبتسم وتمضي العلّك بتشدّق وتخطف النّظرات بين هذا وذاك.

أنهوا تسجيالتهم الواحد تلو الآخر، وغادروا دون أن يضيفوا أيّ كلمة أخرى، وتوجّهوا مباشرة لحجرة الدراسة حيث كانوا على موعد مع تقديم بحثهم في مقياس القانون العام للأستاذ عز الدين وقد أنجزوا هذا البحث الجماعي بحر الأسبوع الماضي، واليوم حان وقت عرضه في قاعة الدراسة على الأستاذ وبقية زملائهم، وكان موضوع البحث عن نظرية الحق والقانون، وعند دخولهم الحجرة والتزام أماكنهم التحق الأستاذ عز الدين بعدهم مباشرة ببضع دقائق، ثم أخذ مكانه وفتح محفظته وتناول قلماً وكراساً صغيراً، بعد أن وضع نظارته على عينيه، ثم قام وخطّ بعض العناوين والجمل والعبارات على السّبورة وأدار رأسه قائلاً: السلام عليكم وصباحكم سعيد، بحث اليوم عن نظرية الحق والقانون من تقديم الطلبة محمد وأمين وزهيره ونوره، فليفضلوا مشكورين، ثم نزل من مكانه على المسطبة وتنحى جانبًا بقرب النافذة.

نهضوا جمِيعاً يحملون بعض الأوراق في أيديهم ووقفوا على المصطبة.

تقدّم محمد قليلاً عنهم وافتتح الكلام قائلاً: السلام عليكم جميعاً، سنقدّم اليوم بحثنا الخاص عن نظرية الحق والقانون وقد تعددت الأسماء لهذا العلم، فأطلق عليه المدخل للعلوم القانونية، وأصول القانون، وفلسفة القانون، ونظرية الحق والقانون، والنظرية العامة للقانون، وبالنسبة للذين تأثّروا بالفقه الإسلامي، سُمّوه بالمدخل للعلوم القانونية والفقه الإسلامي، وكلّ هذه التسميات موحدة الموضوع فهي تبحث في القاعدة القانونية وأقسام القانون ومصادرها وأصول القانون .

ثم توقف برهة وهو ينظر مباشرة في عيني أستاده وأكمل قائلاً: والقانون هو عبارة عن مجموعة القواعد التي تنظم أنماط السلوك في المجتمع على اختلاف علاقتها التي تنشأ بين أفراد المجتمع، وتؤدي إلى نشوء حقوق والتزامات على أطرافها، وتتنوع حسب نوعية هذه العلاقات وتطورها، وعليه فإن القانون كائن اجتماعي، يعيش وفقاً لتطورهم مما يعني وجود الرابطة العضوية بين القانون والمجتمع من جهة.

وكان أغلب ما يقوله محمد من ذاكرته الخاصة، ونادراً ما كان ينظر في أوراق بحثه، ليستذكر ترتيب العناوين وبعض مفاتيح الكلمات، وأكمل قائلًا؛ وبين الحق والقانون من جهة أخرى، تأكيداً على الترابط بين ركفي أصول القانون، القانون والحق، لذلك فإن كل دراسة للمدخل في العلوم القانونية توجب التعرض لموضوعي الحق والقانون، وهذا ما سناهول دراسته في هذا البحث، مع إبراز لدور النظريات القانونية في ذلك، والأصول التي استقرت منها هذه النظريات قواعدها وأحكامها.

ثم رجع قليلاً إلى الخلف وتقدّمت نورة بسرعة وأكملت كلامه في ترابط كبير قائلة؛ وقدمنا خطة البحث وفق خطة دراسية وقوفًا على تحقيق أهداف هذا البحث، وعملاً يمتدّ نطاقه على فصلين وخاتمة، ثم تقدّمت قليلاً والتفت نحو السبورة وقد تنحى زملاؤها بعض الثناء جانباً، وبدأت تكتب خطة البحث وتلقي خطابها في نفس الوقت، أولئما يتناول نظرية القانون على أربعة مباحث، الأول منها مخصص لدراسة، ماهية القاعدة القانونية تعريفاً وخصائص وطبيعة وتمييزها بما يشاهدها، وثانيها يعالج مصادر تلك القاعدة القانونية، وثالثها مخصص لأقسامها، ورابعاً مخصص لنطاق تطبيقها، بينما الفصل الثاني سيعالج نظرية الحق من خلال أربعة مباحث أيضاً، أولها مخصص

لماهية الحق، وثانيها يعالج أشخاص الحق، وثالثها يعالج محل الحق، ورابعها مخصص لدراسة حماية الحق، وبالنسبة للخاتمة ستكون عبارة على نتائج واقتراحات.

ثم عاودت التقهقر قليلاً للخلف لتتقدم زهيرة في مكانها وتسترسل الكلام قائلاً؛ وكانت منهجية البحث لبناء هيكل من منهجية التحليلية الموازنة وصولاً لمعالجة محاور هذه الدراسة وفقاً للرباطة العضوية بين القانون والحق، وصلة القاعدة القانونية بالمجتمع باعتبار القانون كائنًا اجتماعياً.

واختطف أمين الكلمة وهو يقلب ما بين يديه من أوراق البحث قائلاً؛ إن دراسة هذا البحث تسعى لتحقيق الأهداف الآتية، الهدف الأول هو بيان الرابطة العضوية بين القانون والمجتمع، والهدف الثاني لإظهار دور نظرية القانون ونظرية الحق في تشكيل أصول القانون، والهدف الثالث لإبراز دور المشرع في إظهار قواعد وأحكام النظريات القانونية وصلتها بالمصادر التاريخية التي استقت منها القوانين، والهدف الرابع لبيان أثر التراث العربي الإسلامي في تجذر أصول القانون وفلسفته.

ثم عاود محمد الكلام وهو يشمل جميع من في الحجرة بنظرة خاطفة قائلاً؛ هذا ملخص عام عن بحثنا، والآن سنبدأ بإلقاء البحث

كاما على أسماعكم، ثم انطلق أمين وفي كل بضع دقائق تحال الكلمة لأحدهم لسرد ما كتب في الأوراق البحثية التي كانت بين يديه، في تناغم عجيب وسلامة في الإلقاء وبساطة في التعبير، وبعد الانتهاء من ذلك عاد محمد من جديد قائلاً؛ الآن نعيد الكلمة إلى أستاذنا الكريم.

الأستاذ عز الدين وهو يتوجه إلى مكتبه ويهتم بالجلوس، نشكر الطلبة على هذه الحصولة لبحثهم، وعلى هذا المجهود الرائع والإثراء العلمي لبحثهم، والآن نفتح باب النقاش العام وكل من لديه سؤال يتفضل؟

وسرعان ما رفعت إحدى الطالبات يدها.

الأستاذ: تفضلي، الطالبة: ما هو تعريف القاعدة القانونية؟

فأجابها أمين قائلاً؛ دون أن يرجع لأوراقه البحثية وكأنّ ما يقوله قد طبع في ذاكرته حرفياً، يقصد بالقاعدة القانونية، القانون المنظم والموجه لسلوك أفراد المجتمع، بطريقة عامة مجردة على سبيل الإلزام والجبر تحت طائلة توقيع الجزاء عند مخالفتها، وبشكل مجمل فالقاعدة القانونية هي موجّه سلوكي عام يقوم على الجبر والإلزام، وهناك عدة تعاريفات أخرى لا يسعنا الوقت لذكرها جمّيعاً.

طالبة أخرى من آخر الصف تسأل: وما هي خصائصها؟

أمين: حسب تعريفنا السابق الذّكر فإنّ خصائص القاعدة القانونية تمثّل بأنّها قاعدة سلوك اجتماعي، ومنظّم عام مجرّد وقاعدة ملزمة مكفولة بالجزاء عند مخالفتها.

ثمّ تدخل الأستاذ عز الدين وشرح بالتفصيل خصائص القاعدة القانونية حتى يتمكّن جميع الطلبة من فهمها واستيعابها.

وحيينما أكمل شرحه وإثراءه للموضوع تدخل أحد الطلبة بإلقاء سؤالاً آخر مباشراً قائلاً: ما هي فروع القانون؟

محمد: وهو يرسم على الجهة اليمني من السبورة هيكلًا تنظيمياً لمخطط أقسام القانون، ويكتب عناوين في شكل نقاط متتالية بالترتيب، ويشرح بالتزامن مع ذلك قائلاً: ينقسم القانون إلى قسمين عام وخاص.

أولاً: القانون العام والذي يشتمل على قسمين اثنين، أولاً: القسم الخارجي والذي يشتمل على القانون الخارجي والمتمثل في القانون الدولي العام والذي ينظم علاقات الدول وكذلك الاتفاقيات الدوليّة والمعاهدات.

والقانون الدّاخلي والذي يشتمل على ما يلي: القانون الدّستوري والقانون الإداري، القانون الجنائي والقانون المالي.

وثانياً: القانون الخاص والذي يشتمل على ما يلي القانون المدني وهو المصدر الأول لباقي القوانين حيث تفرع منه القانون التجاري والقانون البحري والقانون الجوي وقانون العمل والقانون الدولي الخاص.

ثم ألقى طالبة أخرى سؤالاً آخر قائلاً: بالنسبة لنظرية الحق وبالضبط منها أحد عناصر الشخصية وهي الأهلية ما هي عوارضها؟

فتقديمت زهيرة ببطء كعادتها وهي تقلب بعض أوراق البحث بين كلي يدها، ثم سحبت إحداها وبدأت بالإجابة مستعينة بها قائلاً: عوارض الأهلية القانونية باختصار على سبيل الذكر هي لجنون والعute والسفه والغفلة.

لتتوالى الأسئلة بعد ذلك من بعض الطلبة وكانت المجموعة تجيبهم بالتناوب وبدقّة متناهية أقنعت الجميع، حتى أنّ بعض الطلبة الذين كانوا يتعمدون طرح الأسئلة المحرجة والصّعبة لتعجيزهم عن الرد، لم يستطيعوا الوصول لمبتغاهم.

انهerà الأستاذ عز الدين بالمستوى المقدم من طرف المجموعة وأثنى عليهم كثيراً ودقّ جرس انتهاء الحصة الدراسية وخرج الجميع متوجّهين إلى المطعم لتناول وجبة الغداء، ومن ثم عادوا لغرفهم لأخذ قسط من الراحة، فقد كان يوماً مكتظاً ومزدحماً أنهك قواهم بعض الشيء،

وحتى في المساء لم يسهروا كثيراً كعادتهم، بل ناموا باكراً جراء التعب والإرهاق.

ومرّ ذلك الأسبوع بسرعة، ليحين بعده بأيام موعد بداية الحملة الانتخابية للمرشحين في الانتخابات لعضوية منظمة الطلبة الأحرار، المعروفة بأئمّتها الأكثر فاعلية في الأوساط الطلابية، والأشد تأثيراً في قرارات الإدارة، وجلب المكافآت المتعددة للطلبة، حيث علق إعلان بأسماء المرشحين الذين قبلت ملفاتهم جميعاً، وكان عددهم واحداً وعشرين مرشحًا من بينهم خمس طالبات، وقد تواجدت أسماء كلّ من محمد وأمين وزهيره ونوره، ومعهم أسماء أربعة طلبة آخرين من بين تلك القائمة، أشيع أئمّهم مدعاومون من طرف الحاج إبراهيم، وهو حسين رئيس المنظمة المنتهية عهده، وياسين نائبه أيضًا وممثل التّوجه الديني الذي لم يغب عن مقعده منذ نشأة المنظمة، ودلال ممثلة الطالبات ونائتها ورفيقتها في الغرفة، وهؤلاء جميعاً انتهت عهدهم، وأعادوا الترشح من جديد، بينما غابت أسماء كلّ من صلاح وسليم وعندما تقرّبوا من الإدارة لكشف أسباب رفض ملفاتهم تبيّن لهم أنّ القانون يمنع الطلبة الذين تعرضوا لعقوبات إدارية سابقاً، من الترشح لأيّ عضوية في المنظمات الطلابية، مهما كانت درجة العقوبة المسلطة عليهم، وهذا ما انطبق علىهما الاثنين وطلبة آخرين مثلوا أمام

مجلس التأديب وسجلت في حقّهم عقوبات إدارية، لكنّهما بالرغم من ذلك قرّرا أن يكونا على رأس القائمين على الحملة الانتخابية الداعمة لزملائهما محمد وأمين وزهيره ونوره، وقد رخصت الإدارة لجميع المرشّحين الاجتماع في الأقسام والمدرجات، ونادي الطلبة وغرفهم بالإقامات، وتعليق برامجهم الانتخابية والمناشير في الأماكن المخصصة للإعلانات، وتوزيعها على الطلبة أيضًا خلال أيام الحملة الانتخابية التي تدوم لأسبوع.

اجتمعوا مساء الجمعة في يوم العطلة الأسبوعية، بنادي الطلبة اجتماعاً سريعاً لوضع النقاط العريضة لحملتهم الانتخابية، وقد انظم لهم العديد من الطلبة والطالبات الآخرين الذين آمنوا بقدرات المجموعة على تمثيلهم أحسن تمثيل ورأوا فيهم قدرتهم على الدفاع عن حقوق الطلبة، والتّمكّن من جلب العديد من المكافآت والامتيازات من الإداره، وكان هذا الاجتماع مختصّاً لرسم خطة عمل وتحديد برنامجهم الانتخابي الذي سيعرض على الطلبة خلال حملتهم الانتخابية طيلة أيامها المحدّدة، والذي ينتهي بالاقتراع آخر أيام نفس الأسبوع، وكان هذا الاجتماع دون سابق إنذار، وتقرر من خلاله الإسراع في تجسيد عدة نقاط، أولها طبع مناشير ورقية تختصر فيها الأهداف التي ستسعى المجموعة للدفاع عنها في عدة نقاط موجزة،

ويقوم الجميع بتوزيعها على الطلبة قدر المستطاع، وثامنها تحديد اليوم الثالث للتجمع الكبير الذي سيقام في مدرج ذو سعة واستيعاب كبير، ومحاولة حشد أكبر عدد من الطلبة لحضوره، والإسراع في تعليق المنشير التي تحتوي على البرنامج المختصر الذي ستعمل المجموعة على تجسيده في حال فوزها، وإسناد نفس الأدوار في إقامة الطلبات لكلّ من زهيرة ونورة ورفيقتهما في الغرفة، والتركيز على الأهداف المسطرة وتجنب المشاحنات التي يمكن أن تقع مع بقية المنافسين، وقد أعاد محمد وأمين دعوة الداعمين لهم من الطلبة إلى الالتقاء مساءً في غرفتهم، كما دعت زهيرة ونورة الطالبات للقاء بغرفتهما أيضًا، وقد تبع لهما سليم بطباعة المنشورات والمطويات والإعلانات في المطبعة التي يمتلكها خاله بوسط المدينة.

وفي تلك الليلة دام سهرهم لغاية الفجر، ليصحوا جميعاً في يوم الغد بعد الظهيرة جراء الإرهاق والتعب الشديد، وتوجهوا مباشرة إلى المطعم حيث تناولوا سريعاً وجبة الغداء والتقطوا بنورة وزهيرة عند مخرج باب المطعم، ومن ثم أكملوا طريقهم أمام المدرج الثاني وجلسوا في مكانهم المعتاد تحت ظلّ شجرة التوت المنتصبة بأبهتها قبلة مدخل المدرج، وبعد لحظات رأى جرس المحاضرة فهبو بالدخول إلى المدرج،

أما سليم انطلق إلى مطبعة خاله في وسط المدينة رفقة صلاح، ليقوما بطبعه المنشير.

مرّت دقائق المحاضرة كأنّها أيام وشهر، وبمجرد سماع رنة الجرس قفزوا جميعاً من أماكنهم متّهين، وخرجوا بسرعة متّهين إلى نادي الطلبة، وهناك التقوا مع سليم وصلاح اللذين أحضرا المنشير والإعلانات، ومجموعة من الطلبة الداعمين لهم، وسرعوا لاستنادوا ثلاثة طاولات مع بعضها واداروا بها بعض الكراسي، والتفوا حولها جالسين.

وافتتح محمد الكلام قائلاً: مساء الخير على الجميع أود أن أشكركم عن التفافكم حولنا ووقوفكم إلى جانبنا، في هذا اللحظة الفاصلة لإحداث التغيير، ثم أخذ يقسم تلك الإعلانات والمنشير إلى مجموعات صغيرة وزعها سليم على جميع الحاضرين، وأكمل كلامه قائلاً: يجب أن تصل هذه المنشير إلى أكثر عدد ممكن من الطلبة، وسنوزع منها قدر المستطاع غداً في التجمع الذي سنقيمه في المدرج الثاني، وكذلك أمام مدخل باب المطعم، وفي الإقامة على غرف الطلبة، وفي كلّ مكان، أما الإعلانات سنعلّقها هذه الليلة في الأماكن المخصصة لها، ويجب أن نتجنب تعليقها عشوائياً ونحترم قوانين الحملة الانتخابية، ثمّ سكت برهة وهو يقلب بعض الأوراق ورفع رأسه ليشمل جميع من حوله

بنظرة فيها مغزى وأملاً كبيراً ونطق من جديد متسائلاً، من لديه اقتراحات أو تدخل فليفضل ويثيرنا بها؟

تواترت التدخلات والاقتراحات التي قدمها أغلب من كانوا متواجدين في الاجتماع، وكانت التفاصيل جدّ ثرية، واتفقوا على الكثير من نقاط العمل التي سطّرت في جدول لإتباعها خطوة بخطوة، ولم يدم ذلك الاجتماع سوى ساعة ونصف الساعة وخرج الجميع، كلّ منهم اتجه نحو المكان الذي كلف بالعمل والدعایة فيه.

صلاح وسليم بدءاً بتعليق الإعلانات التي تدعو للتصويت للمجموعة، وفيها نقاط من برنامجهم الانتخابي.

أما زهيرة ونورة وبعض الفتيات اتجهن مباشرة إلى الإقامة وقمن بتعليق الإعلانات، وبدأن أيضاً بتوزيع المنشورات.

وعاد محمد وأمين إلى الغرفة وبدءاً بالقيام بنفس العمل، بداية بتوزيع المناشير بجناح إقامتهما، وفي طابور الدّاخلين للمطعم أيضاً، وقضوا ذلك المساء يجوبون أنحاء الجامعة من مكان لآخر لوقت متأخر من اللّيل.

وفي يوم الغد التقوا جميعاً في المدرج الثاني وبدأوا عملية التحضير للتجمع الطلابي الذي سينشطونه بعد الظهيرة، فصلاح وسليم

كعادتهم بدءاً بتعليق الإعلانات في مدخل المدرج، ثم أخذوا يتقدّدان مكبرات الصوت وضبطاها، بينما انزوى محمد وأمين وزهيره ونورة المرشحون في مقدمة المدرج وهم يراجعون البرنامج المسطّر، ويناقشون كيفية توزيع الأدوار في إلقاء كلمة الافتتاح والختام، وكيفية الإجابة عن الأسئلة المتوقعة من طرف الحضور، والإلام بكلّ صغيرة وكبيرة سيقومون بها أثناء التجمع، وفي آخر المدرج اجتمع مجموعة من الطلبة المؤيدون والداعمين لهم، وهم يقتسمون مجموعة من المنشير والمطويات لتوزيعها على الحاضرين.

ومرت سويعات التحضيرات كالبرق، وببدأ الطلبة يتواجدون على المدرج تباعاً فرادى وفي مجموعات، حتى امتلأ المدرج عن آخره، بل لم يجد الكثير منهم مكاناً للجلوس فاصطفوا واقفين على الجانبين واستندوا على الحاجط الأخير.

أخذ المرشحون أماكنهم في الواجهة على المصطبة وراء ذلك المكتب الطويل الذي اصطفت وراءه كراسٍ جلدٍ سوداء، أما صلاح وسليم فقد تواجدوا تقرّباً في كلّ مكان، فهم من يحرصون على تنظيم كلّ صغيرة وكبيرة، وإرشاد المتعاونين معهم لكيفية الدّعائية وبث روح الأمل والثقة في نفوس الحاضرين، بل حتّى في نفوس الفضوليين الذين يمرون تارة لاستكشاف المكان ويغادرون سريعاً، وكان من بين الحضور

الأستاذين عز الدين والأستاذة حفيظة اللذين كانا يقدّران محمد كثيراً ويدعمانه.

افتتح محمد الكلام قائلاً؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مرحباً بكلّ طلبتنا الأعزاء، في إطار حملتنا الانتخابية لنيل العضوية في مكتب منظمة الطلبة الأحرار، ها نحن اليوم نعقد هذا التّجمع الطّلابي الكبير، لنكشف عن برنامجنا العملي الذي سنجسّده في الواقع، راجين أن نلقى منكم الدّعم الكافي والثقة والتّركيبة لتمثيلكم أحسن تمثيل، وسنبذل كلّ ما بوسعنا للدفاع عن مكتسبات حقوق الطّالب، وسنرفع راية تحسين حياته الجامعية المختلفة، سواء الدراسية أو في ما يخص الخدمات الجامعية التي يستفيد منها، وسنحاول جلب الكثير من المكتسبات الجديدة التي يتطلّع لها الطّالب، ثم سكت قليلاً وهو بهمّ بفتح دفتر كان أمامه، وبدأ يقلب أوراقه وواصل كلامه قائلاً؛ وقد سطّرنا برنامجاً عملياً في عدّة نقاط لتحسين مختلف ما يخص الطّالب سواء في الحياة الاجتماعية كالسكن والإطعام والنّقل.. والدراسية والترفيهية للطالب في المجالين الثقافيين والرياضيي ونذكر منها ما يلي؛

العمل على إصلاح المنظومة التّدريسية لتكون أكثر شفافية وعدلاً، وطلب فتح مسابقات لتوظيف أستاذة أكثر تخصّصاً لتحسين جودة

التعليم خاصة لبعض الأقسام التي تعاني نقصاً فادحاً من هذا الجانب.

المطالبة بتخصيص بعض حافلات النقل الجامعي بين البلديات وعاصمة الولاية مباشرة حتى تخفّف عبئ التنقل عن الطلبة القاطنين بالضواحي والبلديات.

المطالبة أيضاً بإنشاء مشاريع لإقامات جديدة لتخفيف الاكتظاظ السكني في الغرف ليصبح كل طالبين في غرفة بدلاً من أربعة طلاب في غرفة واحدة.

العمل على تحسين الوجبات لتكون كاملة وأكثر صحية وخاصة في شهر الصيام، ومراقبة مدى تطبيق برنامج التغذية المسطّر من طرف وزارة الوصية، ومسألة النّظافة والحرس على صحة الطالب.

ثم رفع رأسه وهو ينظر لكل الحاضرين بالقاعة وأردف قائلاً؛ هذه أهم النقاط التي سنركّز عليها في حال فوزنا بالعضوية، وسنعمل جاهدين على تحسين كل ما يخصّ الطالب الجامعي، ثم نظر على يمينه وأكمل كلامه.. سأترك الكلمة الآن لزميلي أمين، ودوت القاعة بالتصفيق والتصفيير وارتفاع صوت صلاح بين الحضور وهو يصبح محمد.. محمد.. محمد.. ثم تبعه سليم والكثير من الحاضرين وأصبح

صوت القاعة بكماله يدوى بصوت واحد: محمد.. محمد.. محمد.. وما أن انخفضت الأصوات حتى بدأ أمين يتكلم وقد استولت عليه بعض الدهشة ووقع في الحيرة والارتباك، فهذه المرة الأولى التي يتكلّم فيها أمام هذا الجمع الغفير من الناس، كان في تلك اللحظة ممسكًا قلماً وينقله بين أصابعه، وهو يقلب بعض الأوراق التي كانت أمامه، ويشرح شرحاً مفصلاً بعض نقاط البرنامج التي ذكرها محمد قبله، وبعدما أكمل تدخله نظر إلى يمينه حيث كانت تجلس نورة بجانبه وقال؛ والآن سأخيل الكلمة لزميلي، وتلقفت نورة الكلمة مباشرة وتكلمت عن العديد من المشاكل التي تعاني منها الطالبات، خاصة بالإقامة واقتصرت بعض الحلول، ثم ما لبثت أن أحالت الكلمة لزهيره التي ذكرت بدورها بعض النقاط التي لم تذكرها نورة، وطلبت من الحضور أن يثقوا في إمكانياتهم وينحوهم الثقة لتمثيلهم، ثم أعادت الكلمة لمحمد والذي طلب من الحاضرين طرح الأسئلة التي يريدون وسرعان ما ارتفع صوت من وسط القاعة، إنّها تلك الفتاة القصيرة الصاحبة صاحبة الزيّنة والمظهر الجريء، العضو السابق المنتهية عهديتها ومنافسّتهم في الانتخابات دلال التي التقدوا بها جالسة رفقة رئيس المنظمة السابق في مكتبه، فصاحت بلّهجة شاعت فيها رنة دعاية وهي

تقول؛ تكلّمتم عن عديد النقاط لكنكم لم تبيّنوا طريقة مسايرتكم  
للإِدَارَة؟

وكان في سؤالها نوع من التعجيز، لكن محمد أحاجها بذكاء وببرودة  
شديدة قائلاً؛ أكيد نحن بمثابة شريك اجتماعي وسيكون كلّ عملنا  
بالتنسيق مع الإِدارَة، ومحاولة تفادي كلّ اصطدام أو صراع، ثم تبسم  
وسكت عن الكلام.

وببدأ صلاح وسليم كالعادة بالتصفيق لتهزّ بعدهما القاعة بدويّ  
كبير وتصفيق وتهليل ممزوج بصياح وتصفير، وتتوالت عديد الأسئلة  
من طرف الكثير ممّن كانوا في القاعة، وكانت المجموعة تجيبهم  
بالتناوب ويتنااغم كبير، دون كلل أو ملل أو امتعاض، وبرحابة صدر لم  
يسبق لها مثيل، وهذا ما أثار غيظ بعض الزائرين والحاضرين من  
المندسّين من طرف بقية المرشحين، وتتوالت إجاباتهم على كل الأسئلة  
دون الحاجة إلى أن يبذلوا جهداً كبيراً أو لإقامة الدلائل والبراهين.

وعندما هدأت القاعة وانتهى وقت طرح الأسئلة، قال محمد بصوت  
عذب مليء بالفرح، الآن لقد انتهى الوقت المسموح لنا في هذا التّجمع،  
ونشكر جميع من دعمنا بحضوره وأثري هذا التّجمع بالأسئلة الوجهة،  
ونتمنّى أن تكون عند حسن ظنكم، وإلى لقاء آخر والسلام خاتم.

ثم جمعوا أوراقهم ونهضوا وغادروا المدرج، وفي نفس الوقت كان صلاح وسليم وبقية المتعاونين يوزعون المناشير عند مخرج الباب لكل المغادرين.

ومن الجانب الآخر كانت المجموعة التي يتزعمها رئيس المنظمة السابق حسين، الذي انتهت عهده للتو ونائبه ياسين ذو اللحية الطويلة المختبئ وراء ورع الدين، ونائبه دلال الفتاة القصيرة بارزة القوام والزيينة، وطالب آخر يدعى خالد كان عضوا سابقا هو الآخر برفقتهم، يعقدون الاجتماعات المتتالية ويحشدون حولهم الكثير من الطلبة لدعمهم، وقد منحت لهم جميع التسهيلات الإدارية للقيام بحملتهم الانتخابية، وكان من أكبر الداعمين لهم بالعدة والعتاد وحتى المال الحاج إبراهيم، الذي لم يكن يظهر كثيراً ما عدا أيام الامتحانات، بحكم أنه رجل أعمال ولا يملك الكثير من الوقت، وقد أشيع أن الإدارة نفسها تفضل بقاءهم واستمرارهم على رأس المنظمة الطلابية الأكثر حضوراً وعضوية وتمثيلاً للطلاب.

وكان تجمعهم في اليوم الموالي، وحضر الحاج إبراهيم بنفسه، هذا الرجل الفارع الطول الذي بدأ شعر رأسه في التساقط، وأصبح صلعة رأسه تبرز من تحت ما بقي من شعره الأملس الذي أصبح يمشطه جانيا ليواري ما يستطيع من صلعة، والذي يرتدي البدلات

الكلاسيكية غالبة الثمن، ولا يخلّ عن ربطه عنقه الأنقة، وساعة يده ذات الماركة العالمية الغالية، والذي كان أغلب الوقت محاطاً بشخصين قربيين من عمره تجاوزاً الأربعين بقليل، فهما كظله لا يفارقانه أبداً، ومجموعات أخرى من الطلبة الذين كانوا يسعون دوماً لخدمته، عسى أن يظفروا ببعض الفتات، سواء بالتوسط لهم عند وقوعهم في أزمات، أو للحصول على الدّعم من بعض الأساتذة الذين يتودّدون إليه لكتاب رضاه، أو لكتاب بعض الامتيازات الأخرى كتناول بعض الوجبات التي كان يدفع ثمنها بسخاء، حتى أنه أحضر فرقة كشفية ودفع ثمنها لتنشيط الحملة الانتخابية، وكذلك مصوّرين وهنّاك من الأساتذة والإداريين من حضروا هذا التجمع أيضاً، فهم لا يستطيعون عدم تلبية دعوة الحاج إبراهيم، وكان تجمعاً في شكل احتفال، حيث جلبو الحلويات والمشروبات والبالونات الملونة، وافتتح حسين التّجمع ببعض كلمات المدح والثناء على رئيس الجامعة ونوابه، والطاقم الإداري على رأسهم الأمين العام، معبراً عن ارتياحه لما تشهده الجامعة من نمو مستمر وتقدم ملحوظ على شتى الأصعدة والميادين، والاستقرار الكبير في ظل حكم هذا الرئيس الذي جلب المكافآت المتعددة للطلبة أجمعين.

وأكمل بعده نائبه ياسين ذو اللحية الطويلة، الذي ارتسمت هالة سوداء على منتصف أعلى جبينه، صاحب القميص الأبيض الناصع الذي لا ينزعه من جلده إلا نادرا الخطاب، بمدحه وثناءه على رئيس الجامعة وال الحاج إبراهيم أيضا وكلّ من يقف معهم، وقد كانت جل عباراته كعادته مغلفة بالدين والحكمة، وبطئنة بالكذب والخداع، وكانت كلماته تخرد آذان المستمعين، لما تحتويه من قصص دينية وأمثال شعبية كثيرة يستعملها في غير موضعها لتممازج مع أهدافه وما يصبو إليه، وتجعل المستمع يصدق ما يقول دون أدنى تفكير، فهو يعزف على الأوتار الحساسة للدين الذي يقدّسه الجميع، أما عن برنامجهم فقد قال باختصار: برنامجنا تعرفونه جميعا وهو الدفاع عن الطالب مهما كان وتحقيق العدل والمساواة بين الجميع.

ثم ما فتئت أن انطلقت الزغاريد الممزوجة بالتصفيق والتصفيير والتهليل، وانطلقت بعدها الفرقة الكشفية في عزف مقطوعات متصلة من الوصلات الموسيقية، وفي نفس الوقت أخذ مجموعة من الطلبة يوزعون الحلويات والمشروبات في أكياس صغيرة على الحاضرين، وكان هذا التّجمع أشبه بالمهرجان، واختلط الحابل بالنابل في مشهد قلما تشهد الجامعة له نضيرًا، ما عدا أيام الاحتفالات المناسبات الوطنية والطلابية.

مرّت أيّام الحملات الانتخابية لكلّ المرشحين، وجاء يوم الاقتراع الذي نظم في قاعة المحاضرات الكبرى في آخر أيّام الأسبوع وقد أسنداو رئاسة مكتب الانتخاب لمدام دلال، رئيسة مصلحة التّدريس وزميلها أنور ووليد.

بدأ الطلبة المنتخبين التّوافد باكراً إلى صناديق الاقتراع، لدرجة أنّهم اصطفّوا في طابور طويل على جانبي المدخل الرّئيسي للقاعة، وبمجرّد أن فتحت الأبواب هبوا إلى صناديق الاقتراع للتّصويت، وكانت أعداد هائلة من الطلبة تخرج في مجموعات متباينة من غرف الإقامة الجامعية والمدرجات وأقسام الدراسة، ويتدفّقون على مكتب الانتخاب، وكان جلّ حديثهم عن المتنافسين الأكثر بروزاً، مجموعة محمد المرشح الجديد الذي يحمل لواء التّغيير والإصلاح، ومجموعة حسين المرشح القديم الذي يحمل مشعل مواصلة المشوار، وهناك من يؤيّد التّغيير بقوة ويُسرد الدلائل والحجج والبراهين، وهناك من يريد المواصلة على النهج القديم ويُعدّ المزايا والمحاسن وينشد الاستقرار كما يراه.

كان يوماً أشبه بالعرس، وقد منع على جميع المرشحين التجول داخل مكاتب الاقتراع، أو أي محاولة للتأثير على المنتخبين أمام قاعة المحاضرات الكبرى أين يقام التّصويت، وبعد منتصف النّهار جاء وفد

من رئاسة الجامعة للتحضير مسبقاً لقدوم رئيس الجامعة شخصياً والوفد المرافق له كما جرت العادة دائماً.

وبعد الظهيرة قدمت عدة سيارات تابعة لرئاسة الجامعة، وكانت تتوّسطها سيارة سوداء فخمة معتم زجاجها لا يرى من بداخليها، وتوقفت مباشرة أمام المدخل الرئيسي حيث يقام الاقتراع، وتوقفت أمامها مجموعة كبيرة من أعوان الأمن الداخلي والحراس whom يركضون في كل مكان ويفسحون الطريق، وفي لحظات سريعة نزل منها نواب الرئيس وعمداء الكليات والأمين العام للجامعة، وبقية الحاشية من المدراء الفرعين وكبار الإداريين، ورؤساء نقابات الأساتذة والموظفين والعمال المهنيين، واصطفوا على الجانبين متقابلين في شكل رواق يبدأ من السيارة السوداء المعتمة إلى غاية باب القاعة.

ثم ظهر رئيس مصلحة الأمن الداخلي والحراسة السيد عثمان وهو يفتح الباب الخلفي للسيارة في خفة منقطعة النظير.

لينزل رئيس الجامعة، الذي يحبذ أن ينادونه باسم الرئيس المدير العام للجامعة، فهو رجل متوسط الطول في العقد الخمسين من عمره يرتدي معطفاً قطنياً أسود وتحته بدلة كلاسيكية مستوردة، ونظارة طبية لا تكاد تفارقها أينما حل وقد غزا شعره الأسود الأملس بعض الخصلات من الشيب.

وقف برهة وهو يهز رأسه ليتأمل جميع من أمامه في نظرة خاطفة، ثم تقدم تدريجياً بخطوات متئقة، وبدأ بمصافحة المصطفين على جانبي الرواق، وكانوا يقدّمون التحية بانحناءة رأس خفيفة نحو الإمام، وكان هو بدوره يتقدّم رويداً رويداً متبسمًا، إلى غاية اجتيازه باب القاعة، ثم تبعه كل من كانوا بالصف وهم يركضون خلفه، وكان يتقدّم بجانبه الأمين العام للجامعة الذي كان يشرح له ما يحدث، وكان رئيس مصلحة الأمن الداخلي والحراسة عثمان يفتح له الطريق، إلى غاية وصوله أمام صناديق الاقتراع حيث مدام نوال وأنور ووليد.

وبادرها بإلقاء التحية متبسمًا، مرحباً مدام.

فردّت بفرح شديد: مرحبا بك سيدى الرئيس المدير العام للجامعة.

ثم سألهما متبسمًا: كيف تسير الأمور؟

فردّت في بهجة وسرور والابتسامة لا تغادر محياتها: بشكل ممتاز سيدى وكل شيء على ما يرام، وهذا بفضل حرصكم الكريم على إنجاح هذا العرس الانتخابي.

فتبتسم وردّ عليها قائلاً: أبليت حسنا، ثم قرب رأسه من الأمين العام قائلاً بنبرة خفية: يجب أن تكرّم في عيد المرأة نظير ما تبذله من مجهد.

ثم تقدّم نحو أنور ووليد وألقى عليهما التحية، فردا كلاهما بصوت واحد وبفرح شديد، واستدار خلفه ليسأل بعض الطلبة الذين كانوا يصوّتون قائلاً: هل الانتخابات تتمّ بصورة حسنة؟

فردّت إحدىطالبات قائلة: نعم سيدي الرئيس كل شيء على ما يرام، ونطق طالب آخر كان برفقها، لقد وفّرتم كل الظروف المناسبة للسير الحسن لانتخابات نزاهة سيدي الرئيس.

تبسم الرئيس ثم استدار وهم بالخروج من القاعة، وفي مدخل الباب استوقفه مجموعة من الصحفيين المحليين، وبعض المراسلين للولاية، وكانوا يطرحون عليه عديد الأسئلة التي اعتاد في كلّ مرة سمعها، وكان يجيبهم ويردّ عليهم باختصار، وهو راكبا في سيارته وتبعه كل ذلك الوفد الذي كان يرافقه، وانطلق الموكب بسرعة مغادراً المكان.

وتواصلت بعدها عملية الاقتراع إلى غاية العصر من ذلك اليوم، ثم أُغلق المكتب وسمحوا للمرشحين بالدخول للقاعة لمراقبة عملية فرز الأصوات، وجاءت رئيسة مصلحة المستخدمين مدام حليمة وهي تحمل محاضر واستمارات الفرز ودفترًا كبيراً، وتقدّمت وقامت بفتح الصناديق، وجلست وأخذت تماماً محاضر الفرز ثم أمرت أعون الصناديق أنور ووليد بالبدء في عملية فرز الأصوات.

وأخذت رفقة مدام دلال رئيسة مكتب الانتخاب، تسجلان الأصوات في استمارة كلّ مرشح على حدى، واستمرّت عملية الفرز لآخر المساء، ثم جمعت مدام حليمة رئيسة مصلحة المستخدمين كلّ المحاضر والاستمارات، وتوجّهت بهم مباشرة إلى مكتب الأمين العام مؤكّدة أنّ النتائج الرسمية ستنشر بعد أيام، حالما يتمّ ضبطها والمصادقة عليها من طرف المسؤولين، كلّ من الأمين العام ورئيس الجامعة نفسه.

وكاناليومان المواليان لعملية الانتخاب عطلة آخر الأسبوع حيث رکن الجميع للراحة، ومرّ بعدها ثلاثة أيام بأكمليها ساد خلالها الكثير من الترقب والتسويق، تبادل خلالها المتنافسون عديد الاتهامات، وسردت خلالها الكثير من الحكايات، وأشيع عديد الشائعات حول هوية الفائزين.

وفي صباح اليوم الرابع علقت النتائج في لوحة الإعلانات الرئيسية بالساحة المركزية، ونشرت في مجلة الجامعة قوائم الفائزين، كما أذيعت مساءً على أمواج إذاعة الجامعة المحلية، وقد جاءت النتائج كما كانت متوقعة من الأغلبية، حيث اقتسم المراتب الأولى المجموعتان الأكثر تنافساً، فجاء محمد أولاً بالتساوي مع حسين رئيس المنظمة السابق، وبعدهم أمين ونورة ثم ياسين ودلال وأنت بعدهم زهيرة وخالد العضو الرابع المنتهية عهديته، ثم مرشحين آخرين من بقية المجموعات

الأخرى، وعند اطّلاع الطلبة على النتائج أقيمت الكثير من الاحتفالات والأهازيج طيلة ذلك الأسبوع، وقد تحولت غرفة محمد إلى مكان للتهاني المتواصلة، حيث كان الطلبة يأتون تباعاً لتقديم التهاني لمحمد وأمين، كما يمرّون لغرفة حسين وياسين ومهنؤهم أيضاً، وهذا ما حدث أيضاً في إقامةطالبات بغرف نورة وزهيره ومنافستهم دلال حيث كانت محلّاً للطالبات المهنّئات، وبعد مرور أسبوع وصلت لجميع الفائزين دعوات لحضور حفل تنصيبهم، يوم الأربعاء بقاعة المحاضرات الكبرى من طرف رئيس الجامعة.

وكالعادة تم التنصيب الرسمي لأعضاء المنظمة الطلابية مع مناسبة رسمية وهي عيد العلم، حيث بدأت التّحضيرات باكراً من طرف المدير الفرعي للأنشطة السيد عبد الكريم الذي كان رجلاً طويلاً القامة رقيق العود ذا عينين حضراوين ضيقتين وشعر أشقر مجعداً، بدأ في التّساقط جهة الجبين، وكان شهوانياً يلهث وراءطالبات، وحتى زميلاته الموظفات حيث كان يتودد لهن في شتى معاملاته، وكان يبتزّ عاملات النظافة أيضاً، ولا يترك واحدة في حالها، وكان يتحيّن الفرص في المناسبات والاحتفالات المختلفة، خاصة حين تقام بقاعة المحاضرات الكبرى، ليتحرّش بهن عسى أن يظفر بموعده مع إحداهن، كما كان رجلاً مطيناً للرئيس ونائبه الخاص بالنشاطات العلمية

والترفيهية والثقافية الذي يعتبر مسؤولة المباشر، ولا يرفض لهم طلباً وخداماً مطيناً للأمين العام أيضاً، وكلّ مسؤول يعلوه درجة، وفي هذا اليوم وصل باكراً وأخذ ببرول ويجري في كلّ مكان، وكان يقف على كلّ صغيرة وكبيرة بنفسه، فحضور الرئيس المدير العام للجامعة كفيل بأن يبثّ الرعب في نفوس الجميع، من أكبر مسؤول إلى أصغر عامل بسيط، فهنالك الكثير من ينتظرون بفارغ الصبر سقوط أي مسؤول للحصول على مكانه، وأيّ خطأ بسيط لن يكلف الرئيس سوى جرة قلم ليقيله من منصبه، ويعين آخر ممّن ينتظرون في الطابور مكانه، فالرئيس جمع كلّ الصلاحيات من التعيين والإقالة والترقيات والمكافآت، وجعل كلّ القرارات مركبة لا تتعدى شخصه، والجميع كانوا يسعون وراء رضاه بأيّ ثمن، فكلّما كان موظف أو أستاذ أو عامل أو مسؤول مقرّاً من الرئيس، كلّما هابه الآخرون وحسبوا له ألف حساب.

وصلت السّاعة الواحدة بعد الظّهيرة، حيث كانت الاستعدادات قد تمتّ على قدم وساق كالعادة، فالفرقة النّحاسية نصبّت آلاتها في مكانها لعزف النّشيد الوطني كالعادة في بداية الاحتفال، وفرقة وصلات الأناشيد الصوتية أيضاً استعدت بضبط كلّ مستلزماتها، والفائزين خصّص لهم مكان في الصّفوف المتقدّمة من القاعة ناحية اليسار،

حيث سيجلس الرئيس والوفد المرافق له وضيوف الشرف، حيث ألبسوهم عباءات سوداء على صدورها أشرطة طويلة زرقاء للذكرى وحمراء للإناث، وعلى رؤوسهم قبعات تشبه الكتاب المفتوح، وهو اللباس الذي يرتديه الطلبة أثناء مناقشة مذكرة التخرج، وكانت المقاعد في القاعة تخصص حسب الأهمية، فكلما كان الشخص ذات أهمية بالغة كل ما كان مقعده أقرب من الرئيس، وقد جلس باكراً أغلب الأساتذة ذوي المناصب الإدارية المتباعدة كمسؤولي التكوين، ومسؤولي الاختصاص، ونواب رؤساء الأقسام ومساعديهم وأعضاء المجالس واللجان العلمية المختلفة، وكذلك رؤساء المصالح الإدارية المتنوعة، ثم جلس من بعدهم بقية الأساتذة والموظفين والعمال والطلبة، وكالعادة كان الحراس وأعوان الأمن الداخلي ينتشرون في كل مكان ويجرون في كل صوب وحدب، وما هي إلا لحظات حتى وصلت سيارات الوفد، وكان جميع نواب الرئيس والعمداء ورؤساء الأقسام والمدراء الفرعيين ورؤساء نقابات الأساتذة والموظفين والفاعلين في المنظمات الطلابية، قد وصلوا باكراً واصطفوا في رواق طويل ينتهي عند مدخل باب القاعة، لاستقبال الرئيس كما اعتادوا على فعله دائماً وأبداً، فقد أصبحت سنة حميدة يحبها الرئيس، وفي هذه المرة كان مرفقاً بالسلطات المحلية للولاية، السيد الوالي شخصياً وجل مدراء

بقيّة القطاعات الأخرى، كالتجارة والمالية والنقل والصناعة والرياضة والتربية والتعليم والثقافة والشؤون الدينية، وكلّ سفراء تلك القطاعات أو ممثّلين عنهم.

نزل رئيس الجامعة ووالي الولاية وسار خلفهم بقية الوفد الذين كانوا ينزلون من السيارات التي تصل تباعاً بعد ذلك، ويتبعون الرئيس والوالي، حيث كان جميع من يصطف لاستقبالهم يصافحونهم مبتسمين ويحيونهم بانحناء رأس خفيفة نحو الأمام كما سار عليه الحال منذ زمن، وكان منسق الأمن الداخلي وكبير الحراس السيد عثمان يجري أمامهم وهو يفسح لهم الطريق، وبمجرد أن جلسوا في الصف الأول المخصص لهم، حتى لحقهم بقية الوفد ليصطفوا في الصف الذي يلهم ثم تبعهم المصطفون ليجلسوا في الصف الثالث، وقد ظهر من بينهم أيضا الحاج إبراهيم، والشخصان الآخران اللذان كانا يرافقانه في كل مكان، ومدير الخدمات الجامعية وما تبعه من طاقمه الإداري، من مدراء الإقامات الجامعية والمطعم المركزي ورؤساء المصالح والأجنحة للخدمات الجامعية، فلم يكونوا ليفوّتوا مثل هذه المناسبة أبداً، والتّواجد على مرأى وقرب من الرئيس.

وما هي إلا لحظات قليلة وبدأت الفرقة النّحاسية في عزف النشيد الوطني، وقد وقف الجميع في أبهة واحترام وإجلال، وبدأ مقدم الحفل

وهو رئيس الديوان الأستاذ المتقاعد حسن الذي أعاده صديقه الرئيس المدير العام للعمل بعد تقاعده منذ أكثر من خمس سنين، بموجب عقد داخلي أنشأ به هذا المنصب الدّخيل وسماه رئيس ديوان رئاسة الجامعة، حتى يجعل صديقه المقرب له عيناً تراقب تحركات الجميع، فهو لا يكاد يثق بأحد ما عدا سكريتراته الآنسة سناء ورئيس ديوانه هذا ورفيق دربه البروفيسور حسن، وقد أعطاه عديد الصلاحيات ليجعله ذا أهمية أكثر حتى من عديد المناصب الرسمية التي تلي الرئيس كنوابه المباشرين وعمداء الكليات والأمين العام للجامعة، وافتتح الحفل بالثناء والشكر والتقدير لرئيس الجامعة ونسب له الفضل في كل النجاحات والتقدم في مختلف الميادين، ورحب بالسيد الوالي وضيوف الجامعة من بقية المديريات الأخرى، ثم طلب من الرئيس إلقاء كلمة الافتتاح مباشرةً من مكانه، حيث تناول الميكروفون اللاسلكي الذي كان موضوعاً أمامه على الطاولة التي ملئت بأشهر أنواع الحلويات والمشروبات.

وقال؛ متنهداً وهو ينظر إلى الوالي بجانبه متبسمًا، دون أن يقف من مكانه أو حتى يكلّف نفسه عناء الالتفات للحضور، مساء الخير.. أودّ أولاً التّرحيب بالسيد الوالي على تلبيته دعوتنا الكريمة، وكذلك جميع المدراء المحليين لبقية القطاعات دون استثناء، وجميع زملائي

الأستاذة وإخوتي الإداريين وأبنائي الطلبة الأعزاء، وبهذه المناسبة المزدوجة أود أن أبارك للطلبة الفائزين بعضوية المنظمة الطلابية الحرة، وأهنيكم جميعا على نجاح هذه الانتخابات الحرة والنزهية، متمنيا لكم السداد والتوفيق في مهامكم لخدمة الطالب والجامعة، ودوت القاعة بالتصفيق الحار قبل أن يكمل الكلام.

ثم واصل قائلا بعد أن خف التصفيق: والآن أحيل الكلمة للسيد الوالي لإعطاء كلمة الافتتاح.

والذى لم يتكلم كثيرا، حيث اختصر كلمته في شكر رئيس الجامعة والثناء عليه، وأعطى مباشرة شارة الافتتاح.

ثم انطلق الحفل وتتنوع بين وصلات لأناشيد وطنية وطلابية، وتمثيليات مسرحية قصيرة وإلقاء بعض القصائد الشعرية، وتكريم بعض الشخصيات العلمية من الأستاذة وبعض الموظفين وعمال الخدمة والطلبة المتفوقين في النشاطات الرياضية والعلمية والثقافية التي أقيمت هذا العام، وقد كانت من بينهم كل من مدام نوال رئيسة مصلحة التدريس بكلية الحقوق، وخالتي صليحة عاملة النظافة بالمطعم المركزي، وفي آخر الحفل تم استدعاء جميع الطلبة الفائزين، وسلمت لهم اعتمادات العضوية في المنظمة الطلابية، وكانت ممضاة من الرئيس شخصيا، تحت تصفيقات حارة وتهليل من الحضور.

ولم يكن هذا الحفل الذي تزامن مع عيد العلم سوى احتفالية مزدوجة، تم من خلالها التكريم الرّمزي والتعريف بالفائزين والاحتفال بعيد العلم كما أذاعت عليه الجامعة كلّ عام.

وبعد أسبوعين استدعتهم الإدارة إلى اجتماع رسمي في القاعة الخاصة بالاجتماعات التي تقع في الديوان الرئاسي للجامعة، حيث وصل جميع أعضاء المنظمة باكرا، وقد وجدوا المدير الفرعي للأنشطة السيد عبد الكريم في استقبالهم، ليدخلوا إلى قاعة الاجتماعات الرئاسية، التي كانت عبارة عن صالة طويلة، تتوّسطها طاولة بيضاوية مستديرة صنعت من أجود أنواع الخشب، وصبغت بلون بني براق، وتحيط بها مجموعة من الكراسي الجلدية رمادية اللّون، وقد شرح لهم عبد الكريم البروتوكول الخاص بالاجتماعات الرسمية، وأجلسهم على جانب واحد متتابعين، وكان الجانب المقابل يحمل أسماء وصفات المسؤولين الذين سيحضرون للجتماع، أما الجانب المدبّب من الطاولة كان يحمل اسم الرئيس المدير العام للجامعة، وعلى جانبه الأيمن رئيس الديوان وعلى جانبه الأيسر الأمين العام للجامعة، وقد وضع إحدى العاملات، قطعاً من المرطبات وعبوات من العصائر والمياه المعدنية على الطاولة لكلّ الحضور.

وبعد مرور قرابة الساعة بقي خاللها الطلبة يتهمسون بصوت خافت في ما بينهم، بدأ المسؤولون يتواجدون على القاعة تباعاً، وكان أول الوافصلين رئيس نقابة الأساتذة، الدكتور بوعلام الذي قارب من العمر السبعين، لكنه يرفض أن يحال على التقاعد ويفضل مواصلة المشوار، وعي حمد رئيس نقابة الموظفين والعمال المهنئين، والذي لا يمر حدث أو اجتماع إلا وتتجده أول الحاضرين، وأينما حلّ رئيس الجامعة إلا وكان أول المستقبلين، وكلّما كانت مناسبة كان أول المهنئين، ودخل بعدهم مباشرة مدير الخدمات الجامعية السيد علي الذي عينه الرئيس حديثاً بعد إقالة المدير السابق، وبرفقة مدير إقامة الذكور السيد أيمن ومديرة إقامة الإناث مدام زكية التي كانت في وقت سابق سكرتيرة مدير الخدمات الجامعية السابق، ثم وصل عمداء الكليات دفعة واحدة والمدراء الفرعيون متتابعين، وتلاهم نواب الرئيس الثلاثة حيث دخلوا وهم يناقشون شيئاً ما، وألقوا السلام ثم جلسوا في أماكنهم بالقرب من مقعد رئيس الديوان، وواصلوا نقاشهم وكان هناك مسألة كبيرة يدور رحاحها بينهم، فكان بيدو على البروفيسور سليمان نائب الرئيس للتكوين العالي للطورين الأول والثاني والشهادات بعض الصمت والجيرة، فهو المعروف بحكمته ودهائه وحل كل المشكلات التي تتعرض طريقة في تسخير كل ما يخص

الدراسات الجامعية وما يتبعها ويعده أكبر التواب مركزا، وكانت النائبة الدكتورة أحلام المكلفة بما بعد التدرج والبحث العلمي وكلّ ما يخص الدكتوراه والتأهيل الجامعي، كأنها تشرح لهم الكثير من الكلام وهي المعروفة بأنها متحدة بارعة في النقاشات الصعبة، وبحنكتها ودهاءها، أما نائبه البروفيسور جلال الدين نائبه المكلف بالتعاون والعلاقات الخارجية، فكان ينصلب بانتباه كبير لكل ما تقوله الأستاذة أحلام، ولا يكاد يحول عينه عن النظر إليها.

وما هي إلا لحظات حتى وصل رئيس الديوان الدكتور حسن، والأمين العام للجامعة السيد نور الدين، وهو كبير الموظفين وأكثرهم تجربة وخبرة، وقد عينه هذا الرئيس بمجرد أن تسلم مهامه على رأس الجامعة، وكان السيد نور الدين معروفاً بانصياعه التام لكلّ أوامر الرئيس، حتى أنّ جل صلاحياته القانونية تذوب تحت وطأة أوامر رئيسه، وعرف عنه أنه لا يخالف أبدا كل ما يصدر عنه، وينفذ كل أوامره حرفيًا دون أي تأخير، ثم دخل من خلفهم الرئيس المدير العام في أبهته كالمعتاد، يرتدي نظارته الطبية ويحمل حقيبته السوداء التي لا تفارقها أينما حلّ وارتحل، والتي تشبه الحقائب التي يحملها أعضاء السلك الدبلوماسي عند تنقلاتهم بين عواصم العالم، وهو يرتدي بذلته الكلاسيكية السوداء.

فهب الجميع للوقوف من أماكنهم تعبيرا عن ال�يبة والتقدير والاحترام، كما سار به العرف والبروتوكول منذ قドومه، فألقى التحية ثم جلس وفتح كفه مشيرا لهم بالجلوس، وكالعادة كان رئيس الديوان الدكتور حسن من افتتح الكلام مبتدئا بإلقاء السلام ومرحبا بجميع الحضور و مباشرة أحوال الكلمة للسيد الرئيس المدير العام.

حيث اعتدل في مكانه ورفع رأسه قائلا؛ أعيد الترحيب بجميع الحاضرين، بداية بالسيد الأمين العام ورئيس الديوان، والساسة النواب والعمداء والمدراء، ورؤساء النقابات وأعضاء المكتب الطلابي، وأعيد تهنئتكم على الفوز من جديد كما أود أن أعلمكم أن المنظمة الطلابية رفقة النقابات تعد من الشركاء الاجتماعيين الذين يشاركوننا عملنا ويزكونون جميع ما نقوم به لخدمة الطالب والأستاذ والموظف والعامل والجامعة عموما، فأرجو أن تكونوا على قدر المسؤولية التي وضعت فيكم، وأن تكونوا عونا لنا في تهoin تأدية هذه المهمة النبيلة، ثم استدار نحو يساره وهو يشير بيده قائلا؛ والآن أترك الكلمة للسيد الأمين العام.

تململ هذا الأخير في مكانه، وهو يفتح مجموعة من الوثائق الإدارية المعّدة مسبقا أمامه، وهو يخطف نظرة شاملة على أعضاء المنظمة، وقال؛ الآن ستقومون بينكم بالتصويت لاختيار رئيس المنظمة، من بين

الذين تحصلوا على أكبر عدد من الأصوات وهما محمد وجمال وذلك برفع الأيدي.

وكان رئيس الديوان الأستاذ حسن، كعادته يسجل كلّ صغيرة وكبيرة.

ثم أكمل الأمين العام السيد نور الدين كلامه سائلا طلبة المنظمة: من يصوت لحسين؟ رفع الأعضاء السابقين دلال وياسين وخالد وحسين أيديهم، ليحصل حسين على أربعة أصوات من تسعه، فسجل رئيس الديوان ذلك ثم أكمل: ومن يصوت لمحمد؟ رفع محمد وأمين وزهيره ونورة وعضو آخر يدعى نذير، من قائمة أخرى تحالفت مع هذا الفريق الثاني أيديهم، فحصل محمد على خمسة أصوات من تسعه، فنظر إليهم الأمين العام نظرة شاملة وكأنه يريد أن يتأكّد من جديد، ثم أكمل الكتابة وهو يقول: إذن محمد هو رئيس المنظمة وحسين نائبه، وتواصلت عملية التصويت على ذلك المنوال، لتفوز نورة بنائبة مكلفة بشؤون الطالبات، وقسمت اللجان بين بقية الأعضاء ليحصل أمين على رئاسة اللجنة الاجتماعية وتحصل زهيره على مساعدة ممثلة الطالبات، وتحصل دلال على رئاسة اللجنة الثقافية ويحصل ياسين على رئاسة اللجنة الرياضية والنشاطات العلمية.

وقد دُونَ رئيس الديوان كل المجريات في محضر اجتماع رسمي سلمه للأمين العام، حيث ستتصدر منه عدة نسخ وترسل إحداها للوزارة الوصية، وفي نفس الوقت سلمت مفاتيح المكتب والأختام وجميع المهام الخاصة بالمنظمة لـ محمد بصفته الرئيس الجديد الذي سيبقى على رأس المنظمة لثلاث سنوات كاملة، وقد هنأه جميع من حضروا الاجتماع من مسؤولين، ثم دعاهم رئيس الجامعة لمأدبة غداء في القاعة المجاورة الخاصة بالإطعام لضيف الشرف وكبار المسؤولين الذين يحضرون عادة المناسبات واللقاءات الدورية والاجتماعات، وغادر أغلب المسؤولين بعد المأدبة مباشرة، فالوقت ضيق بالنسبة لهم ووراءهم الكثير من الأعمال والانشغالات، وبعدهم أعضاء المكتب أيضا إلى غرفهم.

بمجرد عودة محمد وأمين إلى غرفهما وجدا صلاح وسليم والبعض من مؤيديهم في الغرفة ينتظرون قدومهم، وما أن وطئت أقدامهم الغرفة حتى انطلقت الأغانى والأهازيج والأفراح، وحملوا محمد وأمين على أكتافهم مهليين وفرحين، ودامت السهرة حتى الصباح، وكانوا يسألونهم عن كل صغيرة وكبيرة تمت خلال مراسم اجتماع التنصيب، وتخللها الكثير من الرقص والغناء والتهريج، وبعد أن انفض الجمع من الغرفة، ارتموا في أسرتهم وغاصوا في نوم عميق، جراء ما أنهكهم من

التعب طيلة هذا الأسبوع المليء بالأحداث المهمة والمكتظة التي مرت بسرعة، وهكذا كان الحال أيضا في غرفة زهيرة ونورة في إقامة الطالبات.

وفي صباح الغد اتجهوا للدراسة، وكان أغلب الطلبة الذين يلتقيون بهم ويغتصبون في الطريق يستوقفونهم ومهنثونهم بالقبل والأحسان، ويباركون لهم واصفين محمد بالزعيم، والمفاجأة الأكبر حينما دخلوا لدرج المحاضرات، حيث وجدوا الأستاذة حفيظة قد أعدّت للطلبة الفائزين حفل تكريم صغير، في أول نصف ساعة قبل بداية إلقاها المحاضرة العلمية، ودعى إليها أيضا الأستاذ عز الدين، ورئيسة مصلحة التدريس مدام نوال، وزميلها أنور ووليد وبعض الأساتذة الآخرين، وكان من بين الحاضرين أيضا زميلهم الحاج إبراهيم، الذي كلف نفسه جلب مجموعة من العلب المغلفة، التي احتوت على هدايا على حسابه الخاص، تكريما لزملائه كما يقول، وقد طلب من الأستاذة أن تسمح له بشرف تسليم هدية الرئيس بنفسه لمحمد، وهذا ما حدث فعلا، حيث أن الحاج إبراهيم يريد التقرب من محمد والأعضاء التابعين له بصفتهم أصبحوا المسيطرین على المنظمة ولهم الأغلبية، وأنثناء هذا الحفل ألقى محمد كلمة على زملائه، بحيث شكرهم على التصويت له

ولفريقه، وفي نفس الوقت طلب من زملائه الأعضاء أن يكون أول اجتماع لهم يوم الأحد القادم لمباشرة العمل الرسمي والفعلي.

وقد ابتهج جميع الأعضاء الفائزين، بهذه المبادرة الجميلة من أساتذتهم وزملائهم، وألقى كلّ منهم كلمة قصيرة بعد محمد، تضمنت الشكر والثناء والامتنان لمن صوتوا لهم، واعدين زملائهم ببذل كل الجهود للارتقاء بالعمل النقابي الطالبي إلى أعلى المراتب، وتحقيق أكبر المطالب، وإصلاح ما يمكن إصلاحه قدر المستطاع، والدفاع عن مكتسبات وحقوق الطالب مهما كانت واختلفت، سواء على مستوى الدراسة، أو الخدمات الأخرى كالإقامة والإطعام والنقل والمنح والتوصيات الدراسية.

ومع نهاية عطلة الأسبوع ركن الجميع للراحة كعادتهم، فهناك من الطلبة من يعود لقضاءها رفقة العائلة، ومنهم من يبقى بالإقامة لحل الواجبات وإنجاز البحث، أو للخلود للنوم والركون للراحة، للتخلص من تعب وضغط الدروس، وهذا ما فعله محمد وأمين وصلاح وسليم وكذلك زهيره ونوره، حيث قرّروا جمِيعاً قضاء يومي عطلة آخر الأسبوع في الإقامة للراحة.

لا زال العديد من الطلبة يدقون باب غرفة محمد مهنيين ومباركين، وكان الأولاد يستقبلونهم بصدر رحب مرحبين بهم ومستمعين

لمقرراتهم، التي كثيرة ما يذكرونها في مجلمل حديثهم، وهم ينتقدون الأوضاع في الجامعة برمته.

وفي مساء يوم الأحد بعد الانتهاء من الساعات الدراسية، التقى كل الأعضاء في مكتب المنظمة بالساحة المركزية، كان مكتباً ضيقاً ولا يتسع للجميع، وكان يحوي مكتبين خشبيين أحدهما متوسط الحجم والثاني صغير، وكرسيين جلديين ذوي حواف مهترئة وممزقة خرج على جانبيها إسفنج مصفر يتفتت كلما لامسته الأيدي، وأربعة كرامي مصنوعة من أرجل حديدية وطاولتين خشبيتين مقشرتين.

جلس محمد على مكتب الرئيس، ووقف على جانبه الأيمن حسين فهو من يعرف أسرار المكتب أكثر من الجميع، وتركب بقية الكراسي للفتيات، بينما وقف البقية متکئين على الجدران.

بادر محمد بافتتاح الكلمة كعادته مرحباً بزملائه الأعضاء، قائلاً؛  
اليوم سنتفق على الخطوط العريضة لعملنا مستقبلاً بإذن الله،  
وأكمل وهو يهزّ رأسه وينظر تارة إلى حسين الرئيس السابق الذي كان  
واقفاً إلى جانبه، ويبعث تارة أخرى بنظرات متقطعة ويوزعها على بقية  
الحضور.

إن الشيء الجميل هو تمازج أعضاء مكتبنا، بخلط من مجموعة من قدماء الأعضاء السابقين ذوي الخبرة الذين سنستفيد كثيراً من توجهاتهم وتجاربهم، ومن مجموعة أخرى جديدة مليئة بالطموح وترنو لتحقيق المزيد، والشيء الأكيد أنه سيكون هناك مزيج بين البرامج التي التزمنا بها جمعينا للطلبة، وسنقسم عملنا على ثلاثة مراحل، المرحلة الأولى ستكون إعادة هيكلة وتنظيم المنظمة، والثانية العمل على تحقيق المكاسب والوعود التي التزمنا بها، والثالثة ستكون تقييم للنتائج المحصل عليها ومقارنتها بما خطّ له ورسم سابقاً، هذا رأي مجمل لكم الكلمة لإثراء الموضوع واقتراح الأفكار.

أخذ حسين مباشرة الكلمة، وهو يشمل الجميع بنظراته وكثيراً ما يحرك رأسه بين اليمين والشمال قائلاً: نشكر رئيس المنظمة الجديد الزميل محمد على هذه الكلمة المختصرة والملمحة والمجملة، ومن خلال تدحلي هنا وتجربتي الطويلة في الميدان، أود أن أعلمكم أن العمل النقابي الطلابي ليس سهلاً كما يعتقد الكثيرون، وأن التعامل مع الإدارة والطلبة والأساتذة في نفس الوقت ليس بالأمر الهين أبداً، ويحتاج للكثير من الصبر والحكمة والرزانة والحنكة والدهاء في إدارة الأمور، والتعامل مع شئ المواقف العادلة والطارئة أيضاً، لذلك أتمنى أن تكون مطالباتنا معقولة حتى تلبى، وأن نتجنب طلب المستحيل لأنه

لن يتحقق، وأن نركز على التعاون والتكامل مع الجميع، وأن نبتعد  
قدر المستطاع عن الصدامات التي تؤدي دوما إلى طريق مسدود،  
وأحيل الكلمة لمن يريد التدخل.

قفزت دلال مباشرة من مكانها دون سابق إنذار، وبدأت تتكلم في  
الموضوع، وهي تتمايل وتثنى رأسها وترمي بحدقات عينيها يميناً وشمالاً  
قائلة؛ أود أن أثني على عمل المكتب السابق والفاخر بإنجازاته، وتجاوزه  
عديد المواقف الصعبة التي اعترضت طريقه والقفز بعمل المنظمة  
لإنجاز بدلاً من الركون وراء الجدران، وأتمنى مواصلة المشوار، ثم  
جلست وسكتت مباشرة.

وتدخل أمين بعدها وهو يقول؛ ما فات ومضى قد ذهب بإيجابياته  
وسلبياته، وما نريد التركيز عليه من الآن فصاعدا هو الإصلاح والعمل  
على تحقيق المزيد والارتقاء بالعمل النقابي الطلابي، ليكون موازياً  
لنقابات الأساتذة والموظفين والعمال، وسنرسم خطة من عدة نقاط  
سنعمل على تحقيقها، منها تنشيط العمل الثقافي والرياضي، بتنظيم  
المسابقات والرحلات وتغطية شتى المناسبات الوطنية والدينية، وهذا  
الترفيه يكسر الروتين والملل على الطلبة خاصة المقيمين، وفي نفس  
الوقت سنتعامل مع الظروف التي تحدث كما هي.

ومقاطعه محمد من جديد أكيد أن ما قلته في أجندة العمل والمخططات المرسومة، لكن ما أود أن نعطيه الأولوية القصوى هو إصلاح الجانب الدراسي، ورفع الظلم عن الطالب وكسر الحواجز والجمود بينه وبين الأستاذ والإدارة، وهو ما أراه الأساس، ثم تأتي النقطة الثانية الأكثر أهمية أيضاً، وهو العمل على تحسين محيط الطالب، من الإقامة برمتها ووجبات الإطعام وكل الحياة الاجتماعية للطالب، ثم تأتي النقطة التي ذكرتها إليها الزميل.. الجانب الترفيهي والثقافي والرياضي للطالب.

وتدخلت نورة قائلة؛ ومؤيدة لمحمد في نفس الوقت، نعم هذه النقاط الثلاث هي الأساس، وتبقى هناك تفرعات أخرى وأحداث يمكن أن تقع بين الحين والآخر، وستتعامل معها حسب واقعها، كمشاكل الطلبة المتعددة، والتي تتطلب المعاملة الآنية، ونحن الفتيات سنركز على ما يحدث داخل إقامة الطالبات التي لا تنتهي مشاكلها، وإذا تطلب الأمر أن نطلب عونكم سيكون ذلك في الحالات المستعصية فقط.

وكانت زهيرة تومني برأسها مؤيدة لما تقوله نورة، وب مجرد أن صمتت نورة أكملت هي كلامها وكأنهما متفتتان قائلة؛ أن التعامل مع الطالبات له صعوبة بالغة، ويطلب الصبر والاتزان والعقلانية، فأغلب

مشاكلهن تنتج عن شجارات يومية تحدث بينهن، على حوادث تافهة لا تستحق كل تلك المشاحنات والعناد والعناء.

تقريباً أبدى جميع الأعضاء أراءهم وأثروا النقاش بذكر العديد من النقاط، وفي نفس الوقت قام حسين رئيس المنظمة السابق بإعطاء لمحه شاملة، للرئيس الجديد محمد وبقية الأعضاء عن الملفات والمستندات والوثائق التي يحتوهما المكتب، والتي تستعمل في العمل النقابي طيلة الأوقات، وسجل كاتب الجلسة نذير حيثيات الاجتماع في محضر رسمي، حيث دون فيه تقسيم العمل وإسناد اللجان المختلفة للأعضاء، وكيفية تنظيم عمل كل لجنة وتشكيل أعضائها والنقاط الأساسية التي سيعملون عليها.

مرت الأيام والأسابيع وكانوا خلالها يزاولون دراستهم بصفة عادية، ويعيشون روتينهم اليومي بين الإقامة والمطعم والمكتوب بمكتب المنظمة في أوقات فراغهم، وكانوا يعقدون اجتماعات كثيرة ويؤثرون أن يعقدوا هذه الاجتماعات مساء يوم كلّ خميس آخر أيام الأسبوع، إنهم شباب يفيضون نضارة ويعجبون العمل، وقد دارت الأحاديث بينهم حول الحاضر والمستقبل، والعلوم والأدب والسياسة والثقافة والرياضة، وكانت أحاديثهم جميلة تمتاز بالكثير من الصراحة والبساطة، زادت من صلتهم وارتباطهم مع بعضهم، وتتكلّموا في كلّ ما يقود إلى التقدم

ويؤدي إلى تحسين متطلبات الطالب، وناقشوا بعض مشكلات الساعة الامتحانات والعقوبات والإصلاحات ومشاكل الإقامة والإطعام والنقل وغيرهم، وكانوا بالخصوص يتدارسون بعض ما يصلهم من شكاوى للطلبة، حيث كانت أغليها تتعلق بالظلم الذي يتعرض له البعض منهم، ويخص الحصول على نقاط ضعيفة لا ترضيهم، أو بعض المضايقات التي يتعرضون لها من بعض الأساتذة والموظفين، أو حتى المشاحنات والمشاجرات التي تحدث بين الطلبة أنفسهم، وكان المكتب الطلابي للمنظمة يقف مواقف مشرفة، وكثيراً ما كان يحلّ الأمور بصفة ودية ترضي الجميع، وكان يدافع عن حقوق الطلبة دون أن يقع في صراع مع الإدارة أو الأساتذة قد تؤدي بهم إلى الوصول إلى طريق مسدود، وهم لا يزالون في بداية الطريق.

وكانوا ينظمون العديد من الملتقىات والندوات العلمية، ويعطّون مختلف المناسبات الوطنية بتظاهرات ثقافية تخفّف من وطأة الروتين اليومي الذي يعيشه الطالب الجامعي، وقد انظم العديد من الطلبة أصحاب الهوايات المختلفة للجان المختلفة للمنظمة، فقد انظم صلاح للجنة الرياضية، ونظموا مؤخراً دورة في كرة القدم بين مختلف الفرق الرياضية التي تمثل مختلف الأقسام، وكانت ناجحة لأقصى الحدود

وابعها أغلب طلبة الجامعة، حتى أنها لقيت الكثير من التشجيع والاهتمام من الإدارة نفسها.

وانظم سليم للجنة الثقافية حيث غطت مناسبة عيد العمال بظاهرة ثقافية لثلاثة أيام كاملة، أقيم خلالها معرض شاركت فيه قطاعات أخرى، منها مديرية الصناعة والمناجم ومديرية التجارة ومديرية البيئة وكذلك الحماية المدنية ومديرية الصحة ومديرية التربية والتعليم ومديرية الشباب والرياضة وقطاع البريد والاتصالات ومديرية النقل والمواصلات وكذلك مديرية الأمن الوطني، وخصص لكل منهم جناح عرضوا خلاله معداتهم المستعملة في أعمالهم، وشرحوا للزوار الكثير من تخصصاتهم، واختتمت هذه الظاهرة بحفل ختامي كبير أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى، حضره كالعادة الرئيس شخصياً وجميع نوابه ورئيس الديوان والأمين العام والوالى ومدراء مختلف القطاعات والعمداء، والمدراء الفرعيين وكبار الإداريين، وقد كان حفلاً بهيجاً كرم من خلاله الكثير من الأساتذة والموظفين وعمال الخدمة للجامعة، وبعض القطاعات الأخرى الحاضرة والمشاركة في هذه الظاهرة.

أعجب رئيس الجامعة بهذه النشاطات المتتالية التي كانت تقوم بها المنظمة بين الفينة والأخرى، حتى أنه قرر أن يستدعي أعضاء المنظمة

إلى مكتبه الشخصي ليوجه لهم الشكر، ويستدي لهم بعض النصائح كما اعتاد دائمًا أن يفعل مع أعضاء المنظمة السابقين، ويفعل كذلك مع نوابه ومختلف المدراء الفرعيين لقطاعه، حتى لا يحيدون عن المسار الذي رسمه بنفسه، ليسير عليه مختلف الأساتذة والإداريين والطلبة والعمال المهنيين، وقد وجهت لهم دعوة من الرئيس المدير العام شخصيا يوم الخميس القادم، قبل بداية الامتحانات الفصلية لآخر السنة التي ستنطلق الأسبوع الذي يليه.

وصلت الدعوة إلى محمد وبقية أعضاء المنظمة، وكانت دعوة عامة حملت أسماء الجميع، وفي يوم الخميس تهيئوا والتلقوا في مكتب المنظمة بعد منتصف النهار وتوجهوا إلى رئاسة الجامعة، وفي المدخل الرئيسي استقبلهم عثمان رئيس مصلحة الأمن الداخلي والحراسة والذي كثيرا ما كان يظهر فقط عند خرجات الرئيس حيث يمئي له الأجواء ويفسح له الطريق، وبعدما رحب بهم وأجلسهم في مكتب الاستقبال، حمل الهاتف الذي على مكتبه وأجرى مكالمة قصيرة وهو يسأل: هل يسمح لهم بالتوجه نحو مكتب الرئيس؟ ثم قطع الاتصال بسرعة وأمرهم بأن يتبعوه وأخرج من جيبيه مفتاحا صغيرا وفتح المصعد الذي يبدو أنه لا يسمح باستعماله إلا للرئيس وكبار المسؤولين وبعض الأشخاص المهمين، أما بقية الموظفين والأساتذة فيستعملون

السلام العادية، كان المصعد واسعاً وفسيحاً يستطيع حمل عشرات الأفراد، فصعدوا جميعاً وأغلق الباب، وما هي إلا بعض الثنائي حتى فتح باب المصعد على الديوان الرئاسي للمدير العام للجامعة، وانهerà الجميع من الوهلة الأولى بمجرد أن وطأت أقدامهم هذا المكان الذي لا يسمح لأيّ كان أن يدخل إليه إلا بموافقة الرئيس نفسه، وقد دخلوا قاعة فسيحة مفروشة بالرخام وجميع نوافذها مغطاة بستائر بنية مطرزة بخيوط ذهبية اللون كأنها ملكية، وفي آخر القاعة ثلاثة مكاتب للسكرتارية، اثنان منها على الجانبين وكان مساعديه للكاتبة المديريّة الرئيسية، أو السكرتارية العامة المعروفة بالأنسة سناء التي كان مكتبهما يتتوسطهما، وعلى الجانبين مجموعة من الكراسي المقابلة أُسندت على الجدران خصّصت للاستقبال.

أمرهم عثمان منسق الأمن الداخلي بالجلوس، ثم طرق الباب مرتين بهدوء ودخل مكتب السكرتيرية العامة، وأغلق الباب وراءه، وبعد حوالي ربع ساعة خرج وأمرهم بالدخول وانصرف بعدها.

دخلوا مصطفيّين وراء بعضهم فنهضت الأنسة سناء هذه الفتاة التي قاربت الخامسة والثلاثين من عمرها ذات القوام الطويل شقراء الشعر، ذات العينين الزرقاء الواسعتين، والتي تضع الكثير من الماكياج والكحل وعطرها يفوح على بعد عشرات الأمتار، حتى أن أغلب

الموظفين يعرفون أنها قادمة وهي في مكان بعيد، من ريح عطرها الذي يسبق قد미ها بعشرات الأمتار، كانت ترتدي ملابس كلاسيكية أنيقة تظهر تميزها وتفوقها على نظيراتها، كيف لا وهي السكرتيرة العامة للسيد الرئيس، وتحمل دوما زرمة مفاتيح وبعض الأختام في يدها، وقد أشبع بين الجميع أن لها مكانة كبرى لدى الرئيس، وأنه واقع تحت سيطرتها ويعلم الله أي صنف من النساء هذه المرأة، وأنه يطيعها مثل طفل صغير، ويستشيرها ويأخذ برأيها في الكثير من الأمور، فهي تدلله وتنتزهه، حتى أنها أضافت معها سكريتيرتين صغيرتين عمداً يسرن تحت أمرها ولا يرفضن لها طلباً، وذلك بغية تدليل الرئيس، وكانت كل صغيرة وكبيرة تمر عبر مكتها، وناقشت خفية الكثير من الأساتذة والموظفين والعمال خاصة السيدات سر هذه العلاقة الغير مفهومة بين الرئيس وسكرتيرته الرئيسية.

رحبت الآنسة سناء السكرتيرة العامة للرئيس بجميع المدعوين من ممثلي الطلبة وهي تبتسم، ثم فتحت لهم باب مكتب الرئيس، دخلوا متتابعين إلى هذا المكتب الفخم الذي كانت أرضيته مصنوعة من الرخام المزین ببعض الفسيفساء المستوحاة من التاريخ الروماني القديم للمدينة، وجدرانه مكسوة بورق مزخرف محكم اللّصق، وأثنائه ملكي يبعث على الفخامة والأبهة ويغلب عليه اللون البني الخشبي، وفي

آخره مدفأة تقليدية من فوقها ساعة حائط كبيرة بنفس الألوان، ويفقابلها مباشرةً مرآة يعلوها تمثال قوس النصر الروماني العظيم، الذي يرمز لتاريخ المدينة واتّخذ رمزاً في أعلى كلّ الوثائق الرسمية والإدارية للجامعة، وعلى الجهة اليسرى صالون مصنوع من الجلد الإيطالي الفاخر، يتّسع لعشرة أشخاص وتتوسّطه منضدة مدورة عليها سنية من نحاس أبيض تقليدي، وفي منتصفها مزهرية بألوان الطيف حوت وروداً تبدوا أنها وضعت حديثاً، وأمام مكتبه الخشبي الفخم طاولة طويلة من نفس اللون البني، ويقابل فيها عشرة كراسٍ من نفس اللون أيضاً، وتحت كلّ ذلك فرشت بعض الزرابي الملونة والمزخرفة حسب التراث التقليدي.

طلبت الانسة سناء منهم الجلوس في ذلك الصالون، ثم دخلت وراءها مباشرةً إحدى معاوناتها، وهي فتاة جميلة ورشيقـة في بداية العـشرينـات من عمرها، وطلبت منهاـنـ نوع المشروبات التي يفضلـونـ شـربـهاـ، أما الانـسـنةـ سنـاءـ فقدـ أـخـبـرـتـهمـ أنـ الرـئـيـسـ سيـتأـخـرـ قـليـلاـ وـسـتـبـقـىـ بـرـفـقـتـهمـ لـغاـيـةـ وـصـولـهـ، وـبـعـدـ لـحظـاتـ مـلـأـتـ تلكـ الفتـاةـ الرـشـيقـةـ والـفتـاةـ الأـخـرىـ الـتـيـ بـرـفـقـتـهاـ وـتـبـدوـ أـكـثـرـ أـنـاقـةـ تلكـ الطـاـوـلـةـ بـفـنـاجـينـ مـنـ القـهـوةـ وـالـشـايـ وـعـلـبـ مـنـ الكـعـكـ وـهـنـ يـبـتـسـمـ.

مكثوا لأكثر من ساعة صامتين، ما عدا بعض الوشوشة الخفيفة التي كانت تنبغ أحياناً من بين الفتيات، وأخيراً وصل السيد الرئيس المدير العام، ودخل فجأة وهو يحمل حقيبته السوداء التي تشبه حقائب дипломاسيين، وكان يرتدي نظارته الطبية التي لا تفارقه أينما حل وبذلته الكلاسيكية السوداء.

ألقى عليهم السلام وجال بنظره فيما حوله ووقف أمامهم مباشرة، لينهض حسين العضو السابق ويقفز أمامه فجأة، ويصافحه بفرح شديد ثم تبعته دلال أيضاً وياسين وخالد الأعضاء السابقين، فقد سبق لهم التعامل وجهاً لوجه مع هذا الرئيس ويعرفون طباعه، وفي نفس الوقت هبّت الآنسة سناء وقامت بحمل حقيبته ووضعتها على مكتبه، ثم هبّ بقية الأعضاء حيث وقفوا مصطفين، ويتقدّمون متابعين ويصافحون الرئيس مرحّبين، ثم أشار لهم بيده بالجلوس قائلاً: مرحباً بكم تفضّلوا، وجلس على الأريكة الوسطى التي كانت أعلى بقليل من بقية الكراسي، وما إن وضع جسده على الأريكة حتى جاءت السكرتيرة طويلة القوام وهي بأبهى زينتها تحمل فنجان قهوة وهي تبتسم ملء جفونها، ووضعته أمام الرئيس قائلة؛ هذه قهوتك سيدتي كما تجّهـا حلوة قليلاً، تناول فنجانه وارتشف منه وهو يقول: أعيد الترحيب بكم أبنائي ممثلي الطلبة، أتعرفون لماذا استدعـيتكم اليـوم؟

صمت الجميع لكن دلال تحرّكت في مكانها قليلاً ثم أجبت  
قائلة: أكيد لبداية العمل فأنت لا تؤخر عمل اليوم للغد سيدى  
الرئيس.

بانت ابتسامة عريضة على وجهه تنم عن الكثير من الرضا بهذا  
المديح وقال: إنّ بداية العمل الحقيقي ستكون مع بداية السنة  
القادمة، فنحن على أبواب اختتام السنة الجامعية ولم يتبقّ عن  
العطلة الصيفية إلا أيامًا معدودات، لقد دعوتمكم أولاً لأنّا نأعرّف على  
الأعضاء الجدد، وثانياً لشكركم على العمل المميز الذي قمتم به في  
فتره وجيزة، وثالثاً للتّكلم في بعض النقاط التي سنركز على العمل عليها  
مستقبلاً، ثم نظر إليهم قائلاً: مشيراً بيده اليمنى إلى الأعضاء القدامى  
أعرف من المجموعة، حسين وياسين ودلال وخالد الأعضاء السّابقين،  
فهل للبقيّة أن يعرّفوني بأنفسهم؟

بدأ محمد بالكلام قائلاً: صباح الخير سيدى أنا محمد سنة أولى  
حقوق ورئيس المنظمة الجديد، ثم تلاه البقية أمين ونورة وزهرة  
والعضو الآخر المدعو نذير.

تبسم الرئيس ضاحكاً وهو يقول: تشرفت بكم جميعاً فقد وصلتني  
الأخبار عنكم، خاصة محمد وعن العمل الدّؤوب الذي تقومون به  
لخدمة الطلبة والأسرة الجامعية، وأجدّ شكري وامتناني لكم جميعاً

دون استثناء كلّ باسمه، وزملاؤكم السابقون يستطيعون أن يمدّوكم بخبرتهم العملية، وكيفية القيام بواجبكم اتجاه الإدارة ومساعدتها في تسيير عملها، فالوزارة الوصية تفرض علينا تزكية الأعمال الإدارية، خاصة المتعلقة بالأمور المالية من طرف الشركاء الاجتماعيين، من نقابات وممثلي الطلبة، فكما سبق لزملائكم العمل به معنا، فالمنظمة الطلابية أو نقل ممثلي الطلبة تعتبرون رفقة نقابة الأساتذة ونقابة العمال بمثابة الشريك الاجتماعي الذي أوجبت علينا الهيئة العليا التشاور معهم والأخذ بآرائهم عند إنجاز المشاريع الكبرى ومنح الصفقات العمومية المختلفة التي تتم على مستوى الجامعة، وقطاع الخدمات الجامعية التابع لها أيضاً، لأنّ الجامعة برمتها جعلت لخدمة الطالب الجامعي أولاً، كما أنّ لممثلي الطلبة أيضاً الحق في الاطلاع على كلّ الإصلاحات التي تخصّ الطالب، سواء الدراسية أو الخدماتية أيضاً، فأتمنى أن يكون هناك تكامل بيننا حتى يدوم الاستمرار في العمل لتحقيق الرقي والتقدم والازدهار المنشودين دائمًا.

واستمرت هذه الجلسة لأكثر من ساعتين كاملتين، وكالعادة شرح خلالها الرئيس الكثير من نقاط العمل التي يتوجّب على ممثلي الطلبة الإلمام بها ومعرفتها والتقييد بها، وكان هناك حوار متداول طرحوه عليه

من خلاله العديد من الأسئلة والاستفسارات، وكان خلالها الرئيس يجيبهم برحابة صدر.

وبعد انتهاء الاجتماع قام بإرسالهم لتناول وجبة الغداء في الصالة الخاصة بالإطعام التابعة لديوان رئاسة الجامعة، بينما غادر هو مباشرة للالتحاق بموعده مع السيد الوالي.

بعد تناول وجبة الغداء الفاخر والنزول من ديوان رئاسة الجامعة، عادوا مباشرة إلى مكتب المنظمة، حيث كان جل حوارهم حول ما دار في جلستهم رفقة الرئيس، وكان أعضاء المنظمة القدامى يشرحون تلك النقاط لزملائهم، وهم يمدحون الرئيس ويحاولون تفسير كل ما كان يقصده على أنه لخدمة الطالب والجامعة برمتها، وأن كل ما يقوم به هو عين الصواب والحكمة، بينما رأت المجموعة الجديدة أن هناك العديد من النقاط الغامضة التي لن تفهم إلا عند دراستها جيداً مع الوقت، خاصة ما تعلق بالصفقات العمومية الكبرى، ومسألة تقديم الخدمات للطالب، وكذلك بعض المسائل المتعلقة بالدراسة والتي لا تتوافق تطلعات الطلبة، وأكد محمد أنه يجب ترك هذه المسائل لوقتها وعدم التسرع في اتخاذ القرارات بالنسبة لها حتى يتم دراستها والتعمق فيها جيداً، وفيها فقط تتخذ القرارات إما بتركيتها أو المطالبة بتعديل بعض بنودها أو رفضها تماماً، ويبدو أن هذا التعارض جعل النقاش

يرتفع والجدال يحتمد بين المجموعتين، والذي لم ينتهي بأي نتيجة سوى أنه كان يبدو كعلامة أولى لصراع وانشقاق قادمين قد يحدثان داخل مجموعة ممثلي الطلبة منذ بداية المشوار، بين المجموعة القديمة الموالية والمناصرة تماما مع قرارات الرئيس والإدارة، والمجموعة الثانية التي تريد الإصلاحات الشاملة، وتعترض على العديد من النقاط التي تراها لا تخدم الطالب والجامعة.

اكتظَّ وقت محمد كثيرا حيث لم يعد هناك متسع من الوقت كما كان سابقا، فالدراسة اليومية والتوجه لمكتب الطلبة لإتمام بعض الأعمال، وشكاوى الطلبة التي تصل المكتب باستمرار، وتنظيم بعض النشاطات المختلفة التي دأب مكتب الطلبة على القيام بها، وببداية امتحانات الفصل الثاني جعلته يفتقد الكثير من الراحة ولا ينام إلا قليلا.

لقد وعد محمد نفسه بأن لا يكلم زهيرة أبدا في أمرهما، بالرغم أنها كانت دوما إلى جانبه، سواء في مقاعد الدراسة أو في مكتب الطلبة، أو حتى في أوقات المراجعة مع المجموعة في المكتبة، وقد بدا أنه يتتجاهل الموضوع تماما، ويعاملها بصفة عادية كما يعامل نوره وبقية زميلاته في الدراسة، على عكس أمين ونور اللذين تطورت علاقتهما كثيرا وأصبحا يلتقيان على انفراد باستمرار ويتسکعن سويا في ساحة الجامعة،

وأحيانا يخرجان معا في جولة بوسط المدينة، أما زهيرة كانت خالل كل هذه الفترة تراقب محمد كثيرا في صمت دون أن تثير انتباذه، وأصبح يؤثر فيها يوما بعد يوم بشخصيته القوية، وهي ترى وتلمس على الأرض ما ثرها، وتكشف تنظيم عمله واجتهاده وصدقه وأمانته وتفانيه في العمل، وموافقه الرجلية التي تتم عن شخص واعٍ ومكتمل، والاحترام الكبير الذي يكنه له الجميع، وبدا أنها بدأت تتعلق به تدريجيا، وظهر ذلك جليا في عدة مواقف، حين يتعامل فيها محمد مع زميلاته في الفصل، أو حتى في معاملاته المتأدية مع بعض الطالبات اللواتي يزرن مكتب الطلبة لحل بعض مشاكلهن، ومن دلال التي تبدي الكثير من الزينة، وتكثر من الدلع والحركات الأنوثية الزائدة، حيث يبدو الانزعاج على زهيرة إذا قامت دلال بمثل هذه الحركات في تعاملاتها مع محمد.

مررت تلك الأيام بسرعة رهيبة، فعادة ما تكون أيام آخر السنة مثل البرق من شدة ازدحامها بالأعمال، حيث جرت الاختبارات الفصلية وأيضا الامتحانات الاستدراكية في موعدها، وأقيم بعدها حفل اختتام السنة الجامعية كالعادة، حيث كرم فيه المتفوقون وأصحاب المراتب الثلاث الأولى عن كل دفعه تخرج، وسلمت لهم شهادات تكريمية في الحفل، وكان حفلا رائعا تكلم عنه الجميع بعد ذلك، وقد حضره الرئيس وبقية السلطات المحلية للولاية وبعض المدعون وأيضا أولياء

وأهالي الطلبة المتفوّقين، وصدرت أيضًا نتائج الـطلبة للسنوات الأخرى ما قبل التّخرج، وبذات العطلة الصيفية التي ستدوم قرابة الثلاثة أشهر وستكون العودة بداية الخريف القادم.

و في مساء آخر يوم من الأسبوع وبداية العطلة الصيفية التقى محمد وأمين مع زهيرة ونورة بعدهما جمعوا حقائبهم وأمتعتهم وتوجّهوا معاً إلى محطة الحافلات، كما اعتادوا فعله عند عودتهم إلى البلدة أيام العطل الأسبوعية والفصليّة، وخلال مرورهم بوسط المدينة. قال أمين وهو يهرب بالدخول لأحد محلات الألعاب والمهدّايات: أريد شراء تذكار لوالدي وأخر لك نورة، تعالى لتخاري ما يعجبك.

دخلت نورة برفقته وهي تنظر لمختلف الدببة والألعاب والمجسمات التذكاريّة التي رتبت في مختلف زوايا المحل، وكانت هناك طاولة من زجاج وضع عليها أنواع مختلفة من القلادات والخواتم النحاسية وحتى الفضيّة، وعلى جانبيها خزانة معدنيّة طويلة اصطفت فيها أحجام وأنواع مختلفة من العطور الفواحة، وما لبث أن لاحقهما محمد بعدما ترددت زهيرة في بادئ الأمر ثم وافقت على قبول هدية من محمد.

وردّت نورة وهي تبتسم: هل تشتري لأمك وتنسى رفيقة دربك؟

أمين وهو يتفحص بعض القلادات الفضية: ومن ينسى رفيقة دربه؟  
الأم ورفيقة الدرب شيثان لا ينفصلان.

حملت نورة إحدى الخواتم الفضية التي نقش فيها حرفان لاتينيان صغيران لأول اسمهما على رأسه المدبب، أ زائد ن، وقالت: أنا ساختار هذه، وساختار لحماتي قارورة عطر زكية الرائحة.

أمين: أنت بارعة في اختيار الهدايا، نحن الرجال نختار ونتووه في مثل هذه الحالات، ثم طلب من صاحب المحل تغليف ما اختارتة رفيقته في علب الهدايا وسددها، والفرحة تغمر عينيه.

بينما اختار محمد قلادة فضية تحمل الحرفين الأولين من اسمهما، م زائد ز، باللغة اللاتينية أيضا وأهداها لزهيرة التي أمسكتها ووجهها يكاد ينفجر من الحمرة من شدة الحباء، ثم شقوا طريقهم مباشرة لمحطة الحافلات القرية من وسط المدينة.

اتخذوا لهم مكانا في آخر الحافلة، وأثناء الطريق قالت نورة متسائلة: لا أعرف لماذا يفوز طلبة لا علاقة لهم بالاجتهد بالراتب الأولى؟ ويكونون على رأس الدفعات كل سنة، بينما يأتي المجتمعدون الحقيقيون في مرتب بعدهم، أليس هذا جورا وظلما يجب أن يتوقف؟

تململ محمد في مكانه والتفت إليّها وهو ينحني نحوها بكمال جسده  
قائلاً: أنت تعرفي أنّنا اكتشفنا ذلك منذ امتحانات الفصل الأول،  
وتعريفي أيضاً أنّ الجميع متواطئ في ذلك بداية بأساتذة يمنحون  
العلامات بالمحاباة والمصالح وحق بالرشاوي، وإدارة تقدّم امتيازات  
حسب مكانة الطلبة الاجتماعية، وطلبة أيضاً مشترين بالسكتوت عما  
يحدث والرضا بهذا الظلم، وماذا عسانا أن نفعل إذن؟

فردّ أمين في حماسة: علينا أن نتحرّك في السنة القادمة، لكن يجب  
أن نحذر وبالخصوص من حسين ودلال وياسين وخالد الأعضاء  
السابقين، ثم هزّ برأسه متسائلاً وهو يفتح عينيه ويقطب جبينه، ألم  
تروا كيف يمدحون الرئيس ويوافقون على كلّ صغيرة وكبيرة تقوم بها  
الإدارة؟ ألم تلاحظوا ذلك خاصة في اجتماعنا الأخير؟

وقاطعته زهرة وهي تمسك بحقيقة يدها على ركبتيها وتضمّها بقوّة  
إلى صدرها وتهمس في هدوء: لا تنسوا أيضاً أن الحاج إبراهيم الذي توج  
أول دفعتنا هذا العام، وصديقه أيضاً دعموا المجموعة السابقة، بكلّ  
ما أوتوا من قوّة، حتى أنّ أغلب الهدايا التي قدمت في الحفل بمناسبة  
نجاح انتخابات ممثلي الطلبة كانت على حسابه الخاص، ولم يعترض  
أحد على ذلك، حتى أنه كرم أيضاً عدّيد الأساتذة والإداريين المتواطئين  
والخاضعين لرغباته.

تبسم محمد عندما انتهت من حديثها ثم قال: إنك على حق في بعض الناس أشرار لا يهمهم غير قضاء مصالحهم الدونية، حتى لو داسوا على جثث غيرهم للوصول إليها، فلا شيء يهمهم غير تحقيق مآربهم، ولنذهب بقية العالم إلى الجحيم.

وكف عن الكلام لبرهة وكأنه يستمع إلى صوت في داخله، ثم أضاف في عذوبة وتروّ: تلك هي الحقيقة المرة، لكنني حين عرفت أن في هذا العالم شيء من العدالة يمكن تحقيقه، بدا لي أن في الناس من يعترض على ذلك أيضًا، لكن خوفهم وجبنهم جعلهم يسكتون، وحينها اكتسبت الشجاعة الكافية لأن أبدأ العمل تدريجيا، وفي هدوء من أجل تغيير ولو جزء بسيط من هذه الأوضاع الظالمة.

أمين كعادته متھمساً: هذا الخوف والجبن هو دمارنا، والذين يقودوننا يستغلون هذا الخوف ويضاعفون في ذعرنا، وبذلك يسطون سلطتهم علينا ويفعلون ما يريدون، ويقتلون طموحنا ويغتالون أحلامنا ويضيعون مستقبلنا ويفسدون حياتنا.

وعقبت نورة على كلامه قائلة: لم نعش في هذه الجامعة سوى سنة أو أقل واكتشفنا جميع هذه العيوب، وأظن أننا في السنوات القادمة سنقف على الكثير من العيوب الخفية، وسنواجه الكثير من المصاعب إذا حاولنا حلها.

وصمت قليلا ثم تهدت بعمق وأضافت قائلة وأسوأ ما يخيفني  
الجواسيس الذين بينما من الأعضاء السابقين، وأظنهم سيحاولون  
إفشال كل مساعينا لإصلاح الأوضاع، لقد كونوا أجيالا من المنبطحين  
 أصحاب المصالح الضيقة على حساب الجميع، سواء من الطلبة وحتى  
الأساتذة والإداريين الطماعين، أما أغلب عمال الخدمة فمستواهم  
ومركزهم الضعيف يجعلهم يتسبّبون بكل قشة من الوشاية ونقل  
الأخبار للمسؤولين، ظنّاً منهم أنها ستنتقدنهم في أوقات الغرق، أو  
تضمن لهم الرفعة والمكانة وسط الزحام.

ثم سكت الجميع وساد هدوء كبير غفي خلاله الكثير من الركاب  
نائمين مسافة الطريق.

و قبل وصول الحافلة استدار أمين لنورة وهو يهمس في أذنها خفية،  
سألتاك إليك كثيرا لكن لا تقلقي سأتأتي أحيانا لحيكم حتى أراك كما  
اعتعدنا من بعيد.

وردت عليه مبتسمة: لا تنس أن اليوم الذي أخرج فيه هو الجمعة  
صباحا للذهاب لحمام الحي.

فردٌ علّمها وهو يدنو ويقترب منها أكثر ويمسك بيدها بشدة: أعرف ذلك لا تقلي وأحياناً سأحضر معي محمد أثناء الطريق لرؤيه زهيره لعلّ قلّمها يلين.

وحينها استفاقت زهيره وكأنّها سمعت ما دار بينهما من حوار وهي تمسك ضحكتها قائلاً ماذا كنتم توشوشون؟ نورة: لا شيء سأخبرك فيما بعد.

واستفاق محمد أيضاً وهو يتثاءب ويتساءل قائلاً: هل وصلنا؟ زهيره وهي تنظر مباشرة في عينيه: إننا على مشارف المدينة، ثم تبادلا النظرات لبرهة في صمت دون أن ينبسّا بكلمة أخرى.

وصلت الحافلة أخيراً إلى محطّتها، وعند النزول ابتعد محمد وأمين عن الفتيات حتى لا يكتشف أمرهم من طرف أهاليهم، أو يلاحظهم أحد الوشاة.

وقد وجدوا والد أمين سي الشريف بسيارته منتظراً، فأقلَّ ابنه ومحمد أيضاً في طريقهما كما جرت عليه العادة دائماً، أما زهيره فقد وصل أخوها للتو في سيارةأجرة ونزل مسرعاً ليحمل أمتعتها وصديقتها أيضاً نورة.

كان محمد يقضي أيام العطلة في النوم أغلب ساعات النهار، ويتجوّه مساءً إلى مقهى النجمة بوسط المدينة حيث يلتقي بأمين وصلاح وسليم وبعض أصدقائه وزملائه من الطلبة الجامعيين الذين يتذمرون هذا المقهى مكاناً للتلاقي والتسامر ولعب الورق والدومينو، حيث يستذكرون مختلف الأحداث التي مرّت بهم خلال السنة الماضية، وأحياناً ينظّمون مباراة كرة قدم يوم الجمعة بالملعب الترابي الذي يقع بالحي السكني لإطارات منجم الفوسفات أين يقطن أمين.

كما كان محمد وأمين لا يكادان يفترقان إلا حينما يذهبان للنوم، وكانا لا يفوتان الفرصة بين الحين والآخر، للمرور أمام منزل صديقتهمما زهيره ونوره،

اللتان كانتا تسكنان في نفس الشارع بعي العمارات الذي يقع بمدخل المدينة الغربي، في عمارتين متلاصقتين، وكان محمد وأمين كثيراً ما يجلسان في آخر المساء بعد العودة من المقهى قبالة شبابيك شقتهمما، اللتان تطلان على نفس الساحة التي تتوسط مجموعة العمارة المصطفة والمقابلة، حيث يبقيان تحت شجرة الصفصاف التي تقابل العمارتين مباشرة، علهمما يظفران بطلة من وراء الشبابيك، أما يوم الجمعة فكانتا يبگران للمكوث بنفس المكان طمعاً بالفوز

بنظرات وابتسamas حين تذهبان لحمام الـي صباها، أو عند ذهابهن للتسوق وشراء بعض الحاجيات في بعض الأحيان الأخرى.

هكذا كان طلبة البلدة يقضون أغلب عطلهم الصيفية الطويلة التي تدوم لثلاثة أشهر كاملة، كما كان البعض منهم يذهبون في آخر الصيف إلى أحد الولايات الساحلية، لقضاء بعض الأيام في البحر والاستجمام هناك، فالبعض منهم يذهب مع الجمعيات الخيرية والمنظمات الوطنية التي تنظم بعض الرحلات السياحية لتقليل التكاليف، ومنهم من يذهب برفقة العائلة من ميسوري الحال، وهناك من يذهب منفرداً أو سوياً في مجموعات من الأصدقاء ويقتسمون مصاريف الرحلة والإقامة.

كان أمين يذهب رفقة والده وأمه وأخته في رحلة مدة عشرة أيام كل صيف، وكانوا كل سنة يختارون مدينة ساحلية جديدة، فوالداته ميسورة الحال ويخصصان ميزانية خاصة للعطل الصيفية، على عكس محمد الذي كان لا يجد حلاً في مثل هذه المواقف سوى أن يتدارس أمر مصاريفه بنفسه، ويقضي بعض الأيام لدى أحد أقارب والده، الذي هاجر إلى مدينة ساحلية تقع على بعد مائة ميل تقريباً، منذ أكثر من عشرين عاماً، فالعائلة كثيرة العدد والوالدان ععي العربي وخالي فاطمة لا يهتمان بهذه الأمور، مما يفكرا فيه هو كيفية إطعام أفراد

العائلة لا غير، فيضطر أفرادها للذهاب منفردين لأقاربهم الذين يقطنون بالمدن الساحلية، وهناك حتى من لا يذهب أصلاً لعدم قدرته على تغطية مصاريف الرحلة، ويبقى بالبلدة تلفحه حرارة الصيف القاسية.

رغم طول العطلة الصيفية إلا أنها انتهت أخيراً، وتنفس الصعداء أغلب شباب البلدة الذين يزاولون دراستهم الجامعية، بالرغم من تجحيم وتذمرهم الدائم، أيام يكونون في مقاعد الدراسة بأئمهم ملوا الإقامة بعيداً عن منازلهم، ويستكون طول الوقت من سوء الإطعام، ورداءة الخدمات الجامعية برمتها، إلا أنهم في الحقيقة لا يريدون العودة للمدينة والمكوث فيها طويلاً، وما يظهرونه للعيان سوى نوع من الكلام، وتغطية للعجز والحرمان الذي يعيشه أغلبهم في القرية، والحقيقة عكس ذلك تماماً، فالدراسة الجامعية بعيداً عن البلدة تبعدهم عن الروتين القاتل، الذي يعيشونه في تلك القرية المنسية، ويسمح لهم بتغيير الأجواء وعيش حياة شبابية تملؤها المغامرات العاطفية، وتسمح لهم بالاختلاط المباشر بالجنس الآخر الذي يحرم عليهم مجرد الاقتراب منه في البلدة، وتكوين صداقات جديدة مع زملاء قادمين من مدن أخرى، يجعلهم يتخلصون من الروتين اليومي والرتابة.

القاتلة، ويجدون الكثير من المن والسلوى والأنس الذي يفتقدونه تماماً في القرية.

كانت العودة لمقاعد الدراسة كالعادة، وكما يحدث كل بداية سنة جامعية، باستثناء أن الطلبة الأقدم كانوا يتسلّمون مفاتيح نفس غرفهم مباشرة، دون الحاجة لأي إجراءات إدارية جديدة بخلاف المسجلين أول مرة.

وقد عاد محمد وأمين سوياً وأوصلهما سي الشريف والد أمين إلى الإقامة مباشرة بسيارته الجميلة، وعادت زهيرة ونوره سوياً أيضاً وسلامي وصلاح أيضاً معًا.

وفي اليوم الثالث التقوا في مكتب الطلبة بعدما التحق الجميع، بمن فيهم حسين ودلال وياسين وخالد وندير، وقد كان محمد أول الوافدين حيث فتح المكتب وجلس ثم انغمس بتفحص بعض الدفاتر القديمة التي كانت موضوعة على المكتب.

وبعد لحظات التحق أمين فسأله محمد قائلاً: هل ترغب في أن تذهب لإحضار كوبين من القهوة؟

ردّ أمين وهو يهزّ بكتفيه: لا ستنظر التحاق البقية.  
وهمس محمد في نفسه بحرارة: يا ليت زهيرة كانت أول الوافدين.

ثم علا من جديد وقع أقدام على مدخل المكتب، وانفتح الباب ببطء شديد، لقد دخلت زهيرة التي لم يرها عن قرب منذ ثلاثة أشهر تقريباً، كانت في أبهى حلتها، ووجهها المستدير البيضاوي يتلألأً مثل حبة ياقوت، وبابتسامتها الهادئة سلمت وهي تقول مساء الخير.

رد محمد بعد أن رفع رأسه وهو لم ينزل عينيه من النظر إليها، لشدة ما كانت دهشته شديدة، قائلاً: عمت مساء

ثم دخلت نورة من ورائها مباشرة مسلمة، واتجهت إلى أمين والتصقت بجانبه وهي تكاد تطير فرحاً، فاستدار إليها وأمسك بكلتي يديها قائلاً: اشتقت إليك، فغرست عينها في الأرض حياءً وهي تقول وأنا أيضاً.

ثم انفتح الباب من جديد على آخره، ودخل حسين ومعه دلال ممسكة بيده، فهي كظله ولا تكاد تفارقه طوال اليوم إلا عند الدخول للإقامة للنوم، ثم تبعهم كل من ياسين وخالد وألقوا السلام بصوت واحد ومتزامن، واتخذوا أماكن لهم.

وبعد برهة التحق نذير العضو الجديد أيضاً، الذي ترشح بمفرده ورجح صوته فوز محمد بالرئاسة على حساب حسين، والذي كان مشهوراً في الجامعة بجفوته عن الناس وانعزاليه عنهم، وكثيراً ما كانوا

يسخرون منه جراء ذلك، وألقى السلام بخفة كالبقيمة قائلاً؛ مساء الخير أيها الرفاق واتخذ له مكاناً في الزاوية.

ثم ما لبث أن بدأ محمد الكلام بالترحيب بزملائه كما اعتاد قائلاً؛ مساء الخير أيها الرفاق وعودة ميمونة لمقاعد الدراسة، وما أود قوله أن بداية هذه السنة سيكون بمثابة الانطلاقـة الحقيقية لعملنا، وتجسيـد برنامـجنا، والدرجـ نحو تـحقيق مـخطـطـاتـنا، وـذلك لا يـتـائـي إـلا بالاجـهـادـ والصـبرـ والتفـانـيـ فـيـ الـعـمـلـ، لإـحداثـ التـغـيـرـ المـنشـودـ، وـتحـقـيقـ الأـهـدـافـ الـمـسـطـرـةـ وـالـوـعـودـ الـتـيـ قـطـعـنـاـهاـ عـلـىـ أـنـفـسـنـاـ وـمـنـحـنـاـهاـ لـلـطـلـابـ، وـهـذـاـ لـيـسـ بـالـأـمـرـ الـهـيـنـ وـيـتـطـلـبـ الـكـثـيرـ مـنـ الـاجـهـادـ، ثـمـ رـفعـ كـفـهـ مـشـيـراـ إـلـىـ حـسـينـ وـمـنـ سـبـقـونـاـ فـيـ الـعـمـلـ يـدـرـكـونـ هـذـاـ جـيدـاـ وـنـعـولـ عـلـيـهـمـ، لـيـنـيـرـواـ لـنـاـ الـطـرـيـقـ حـتـىـ نـتـجـنـبـ الـعـثـرـاتـ الـتـيـ قـدـ تـؤـديـ لـفـشـلـنـاـ، ثـمـ سـكـتـ وـهـوـ يـحـدـقـ فـيـ عـيـنـ حـسـينـ مـباـشـرـةـ مـنـظـرـاـ مـنـهـ التـعـقـيـبـ عـنـ كـلـامـهـ.

وقد فهم حسين ذلك واسترسل في الحديث مباشرة، بعدهما وقف من مكانه واتجه صوب مدخل المكتب بقرب الباب، ثم استدار وهو يوزع نظراته على الجميع، بحسب تجربتي السابقة، إنه ينتظـرـنا عمل شـاقـ رـفـقـةـ الإـدـارـةـ هـذـهـ السـنـةـ، فـأـغـلـبـ الـاستـشـارـاتـ الـقـانـونـيـةـ الـخـاصـةـ بالـصـفـقـاتـ الـعـمـومـيـةـ الـمـخـلـفـةـ تـتـمـ فـيـ بـدـاـيـةـ كـلـ سـنـةـ حيثـ تـتـنـافـسـ

عديد الشركات والمؤسسات على الفوز بها، ثم وضع سباقته في اتجاه صدره، ونحن ممثلي الطلبة ونقابات الأساتذة والعمال باعتبارنا شركاء اجتماعيين، فإنهم يستدعوننا لحضور أغلب تلك المراحل التي تقوم بها الإدارة، بداية من الإعلان عنها إلى غاية منح الصفقات، ويحتم القانون الداخلي للجامعة تزكيتها من طرفنا أو رفضها وتدوين أسباب ذلك، وهي مسؤولية كبرى وأعتبرها العمل الأصعب الذي ينتظرنـا، مع بعض المشاكل الأخرى التي تخص الطالب، وحسب رأيـي كلما كـنا على وفاق مع الإدارـة كلما كان العمل أسهل.

وقطـعتـه نورـة قائلـة: يكون التفـاهم والتـكامل بـینـنـا وـبـینـ الإـدـارـةـ، إـذـاـ كانـ عـمـلـهـاـ صـحـيـحاـ وـلاـ تـشـوـبـهـ شـائـبـةـ، وـلـيـسـ فـيـهـ لـبـسـ، ثـمـ أـخـذـتـ تـهـزـ برـأـسـهـاـ وـتـلـتـفـتـ إـلـىـ الـجـمـيعـ وـكـائـنـهـاـ تـجـمـعـ التـأـيـيدـ وـهـيـ تـسـأـلـ؛ـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ

وعـلـاـ صـوتـ أـمـيـنـ وـلـحـقـهـ الـبـقـيـةـ قـائـلـيـنـ؛ـ بـصـوتـ وـاحـدـ نـعـمـ نـعـمـ إـذـاـ كانـ صـحـيـحاـ؟ـ وـإـلـاـ لـنـ يـأـخـذـوـ مـنـاـ التـأـيـيدـ؟ـ

ثـمـ نـطـقـتـ دـلـالـ مـنـ هـنـاكـ وـهـيـ تـمـضـغـ العـلـكـ وـتـحـرـكـ رـأـسـهـاـ هـنـاـ وـهـنـاكـ،ـ إـلـادـرـةـ إـذـاـ أـرـادـتـ أـنـ تـمـرـرـ عـمـلـهـاـ سـتـفـعـلـ ذـلـكـ سـوـاءـ مـنـحـنـاـهـاـ التـأـيـيدـ وـالـتـزـكـيـةـ أـوـ لـمـ نـفـعـلـ ذـلـكـ.

ثم وقف محمد فجأة مستعيناً الكلمة من جديد، على الأقل نقول كلمتنا ورأينا بصدق، ولا نؤيد وننزي ما ليس في مصلحة الطالب والجامعة، ولا تنسوا أن هناك عديد المشاكل العويصة الأخرى التي يجب أن نجد لها حلاً عاجلاً، فرداًء وجبات الإطعام ومشاكل الإقامة لا تنتهي، والأهم من كل ذلك ما يحدث في الدراسة من محاباة وتفضيل لطلبة على آخرين، وجميعكم تعلمون ذلك والأسباب المختلفة التي تساهم في هذا التسيب في الجامعة، وكيف تهضم حقوق الطلبة النجباء، ثم صمت فجأة وهو يرى الجميع يتطلعون إليه بثبات، ونظر إلى أمين قائلاً: أليس كذلك؟

والذى رد بسرعة: نعم نعم هذا ما جئنا من أجله وليس لخدمة الإداره.

فضحكت زهيرة وابتسم نذير وهتفت نورة في عجلة صحيح .  
ويبدو أن هذا الكلام لم يعجب الأعضاء السابقين، فتدخل ياسين صاحب اللحية الطويلة قائلاً؛ وهو يبتسم بسخرية واستهزاء: سنجرب ذلك.

وهتف خالد معقباً على كلام محمد: أنا لا أوفقك على هذا.

وبع ذلك نقاش حامي الوطيس واتقدت فيه الكلمات كألسنة النيران الملتهبة.

ونطق نورة من هناك بصوت عالٍ: انتظروا لحظة أيها الرفاق، فخيّم الصمت على الجميع وراحوا يتطلعون إليها متسمرين، من يقول منكم أَنَّه من واجبنا مجازاة الإدارة هو على حق، فيجب أن نجازيهم ظاهرياً فقط حتى نكشف الحقيقة، ونكشف كل المحتان وأن نعمل بعد ذلك على التغيير تدريجياً، لأن المواجهة من الوجهة الأولى ستجعلنا نخسر الكثير وسيغفلون في وجوهنا كل الأبواب ولن نصل إلى شيء.

كان أمين يصغي وهو يهز رأسه في توافق مع كلماتها، أما حسين وياسين وخالد ودلال فقد شكلوا فريقاً معارضًا، ولسبب ما استاء محمد منهم.

عندما انتهت نورة من الكلام نهض محمد وقال في هدوء تام وهو ينظر إلى الأربعه معا:

هل جئنا للجامعة فقط من أجل أن نملأ بطوننا وننام ونعود لمنازلنا  
بشهادات ورقية؟ أبداً، لا شيء من هذا القبيل.. يجب أن نبين لأولئك  
الذين يستغبونا ويضعون العصابة على عيوننا ليركبوا على ظهورنا  
أننا نرى كل شيء، نحن لسنا أغبياء، يجب أن نبين لهم أننا على قدر

الثقة التي منحها لنا زملاؤنا الطلبة، وعلى قدر المسؤولية الملقاة على عاتقنا أتنا لا نقاد مثل القطيع، حسب أهوائهم وطمعاً منا في الامتيازات التي يخصصوها لنا دون غيرنا، إن نحن خضعنا لأهوائهم.

كان الشعور بالاعتزاز والفخر يجتاح صدر زهيرة وهي تستمع إلى هذه الكلمات حقاً، ما أجمل حديثه!

لم ينتهِ هذا الاجتماع إلا قبل المغرب بقليل، سبق حسين وباسين ودلال وخالد الباقين في مغادرة المكتب.

وسألت زهيرة محمد: هل تصحبني إلى باب الإقامة؟

محمد وعيناه مشدوهتان ولا يكاد يصدق ما يسمع وهو بهم بالهبوط من مكانه مرکزاً نظراً حاداً مباشراً في عينيهما: أكيد وهل يترك القمر يعود وحيداً والظلمام يشتدي في الانتشار.

فنظرت إليه زهيرة من خلال أهدافها نظرة استحياء تنم عن كثير من الإعجاب والامتنان، وقد احمررت وجنتها.

أحس خلالها محمد ببعض الارتباك فأسرع يضييف بهدوء، يجب أن تغفر لي بعض حماقاتي السابقة، لكنني الآن قلت ذلك من أعماق قلبي.

فأجابت زهيرة في هدوء مماثل، وقد أمسكت بيديه وهي تضغط عليهما بقوّة: يا لك من صديق طيب.

وقال محمد وهو ينظر في عينيه الجميلتين: أتمنى أن يأتي يوم وتكوينين لي للأبد.

ابتسمت وهي تسحب كلتا يديها وتخرج من الباب قائلة هيا، أمين ونورة سبقانا وهمما واقفان أمام الشجرة بانتظارنا.

ثم قال محمد وهو يعبر وراءها الباب، ويقوم بإغلاقه في الوقت ذاته نعم لقد تأخرنا قليلا، لكن لا عليك فممثلي الطلبة يتمتعون بحصانة خاصة، وتستطيعان الدخول للإقامة في أي وقت وتخرجان متى دعت الضرورة لذلك.

بدأت الدراسة متأخرة ككل عام بعد تسجيل السنوات الأولى من الطلبة الجدد، وإعادة تسجيل طلبة السنوات الموالية، وقد تخلل هذا العام بعض المشاكل في تسلیم الطلبة لشهاداتهم المدرسية، وكشفوا النقاط للناجحين بعد الاستدراك والراسبين، مما صعب على الطلبة الذين أرادوا تغيير اختصاصهم والتحويل الداخلي، أو التحويل الخارجي لجامعات أخرى، وقد تدخل أعضاء المكتب لحل الكثير من الإشكالات والصدامات، التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى بين

الطلبة ورؤساء الأقسام من جهة، ورؤساء المصالح الإدارية وأعوانهم من جهة أخرى، وقد حدث الكثير من التذمر والاحتكان واللغط في أوساط الطلبة، وما زاد الطين بله، عند صدور قوائم التوجيهات من السنوات الأولى إلى السنوات الثانية المتخصصة، وتوزيع الطلبة على تلك الأقسام، وهو كما زعمت الإدارة يكون حسب ترتيب المعدلات، حيث تمنح الاختصاصات الأكثر طلباً ل أصحاب المعدلات الأعلى، والذين كانت أول اختياراتهم، وهكذا يتم توزيع الطلبة على بقية التخصصات.

لكن في الواقعاكتشف الطلبة أن هناك الكثير من الاختلال والتجاوزات، وأن ما ادعته الإدارة وصرح به نائب الرئيس المكلف بالتكوين العالي للطورين الأول والثاني والشهادات في أكثر من مناسبة، لم ينطبق على البعض الآخر، الذين أضيفوا في قوائم الاختصاصات الأكثر طلباً، ومعدلاتهم لا تسمح لهم سوى بالالتحاق باختصاصات متوسطة أو دنيا، بينما حرم منها آخرون معدلاتهم كانت أعلى، وهذا ليس بغريب فهو يحدث تقريباً في كل سنة دراسية.

كما أشيع أن هؤلاء الطلبة أصحاب نفوذ، وأوليائهم من المسؤولين ورجال الأعمال النافذين، حتى أن الحاج إبراهيم تدخل في عدة مرات،

لتغيير تخصص بعض الطلبة المقربين منه بسهولة تامة، فالرئيس ونوابه والأمين العام لا يرفضون له طلبا.

بدأ الغضب والاحتقان يشتد يوما بعد يوم، وكان أغلب الطلبة يتذمرون من الوضع السائد في الوسط الجامعي، وبعد فضائح آخر السنة الماضية بتتصدر طلبة لم يكونوا في الحسبان قوائم الناجحين، بأعلى المعدلات وفي مختلف الاختصاصات، والحالة المزرية التي يعيش فيها الطلبة داخل الإقامة، سواء من اكتظاظ الغرف التي تصل أحيانا لست طلبة في غرفة صغيرة لا تتعدي الأربعة أمتار، أو من ناحية الإطعام والوجبات الرديئة التي تقدم لهم على مدار الأيام، أو حتى النقل الجامعي الذي يفتقر للعدد الكافي من الحافلات، ولا يغطي جميع الخطوط وقد أضيف لها بداية هذا العام مشكلة أخرى وهي توزيع طلبة السنوات الأولى للجذع المشترك على مختلف الاختصاصات بالسنوات الثانية، والتي كانت أيضا فيها العديد من التجاوزات.

وقد تجمع العديد من الطلبة الذين مستهم هذه المشكلات، أمام مكتب ممثلهم وطالبوه أعضاء المكتب بالتدخل لدى المسؤولين لإنصافهم، ومنهم حتى الذين ابدوا رغبتهم في شن إضراب عن الدراسة، وتنظيم وقفات احتجاجية أمام رئاسة الجامعة، والأمانة العامة ونيابة المديرية للتكونين العالي والشهادات، إلا أن محمد استطاع بحنكته

ودهائه وهدوئه أن يمتص غضبهم، مؤكدا لهم أن الوقت لم يحن بعد مثل هذه الأمور، وبأنه سيسعى جاهدا لإصلاح ما يمكن إصلاحه، وبالفعل فقد تدخل أعضاء المكتب في أكثر من مناسبة لحل هذه المشكلات، وكذلك مشكلة محاباة الكثير من الأساتذة وفضيلهم طلبة على حساب آخرين في منح العلامات وابتعادهم عن العدل والإنصاف، وأصدر مكتب المنظمة العديد من البيانات الاستنكارية، وبعثوا الكثير من المراسلات الكتابية لشئ المسؤولين، إلا أن أغلب محاولاتهم باءت بالفشل، رغم اجتماعهم بنائب الرئيس الدكتور سليمان بأمر من الرئيس نفسه، والذي لم يكن له الوقت لدراسة الموضوع فأوكل ذلك لنائبه، والذي أكد لهم في أكثر من مرة أن كل شيء على ما يرام، وأن ما يتتكلمون عنه مجرد كلام يتكرر كل عام، ولا أساس له من الصحة، وأن بعض الطلبة الذين حولوا اختصاصهم فيما بعد كان للضرورة القصوى، وهي ميزة تمنحها الوزارة للبعض دون الآخر، والشيء الوحيد الذي يستطيع أن يقدمه لهم، أن يمكن لهم بعض المقاعد في الاختصاصات الأكثر طلبا، لتكون من نصيب أعضاء المكتب أو من يتتوسطون لهم.

رفض محمد وزملاؤه المؤيدین له ذلك رفضا قاطعا، على عكس حسين وجماعته الذين استغلوا الفرصة، وتتوسطوا لبعض أصدقائهم

ومعارفهم، واحتدم الجدال بين المجموعتين على طريقة تسيير المكتب، لكن أغلب ذلك كان ينتهي بالوصول لوقف وسط.

تعاقبت الأيام والأسابيع والشهور، وكان يجتمع الأعضاء في المكتب مساء كل خميس، وكل اجتماع كان يمثل درجة جديدة في السلم الطويل الصاعد، الذي يرتفع عليه محمد ومجموعته ببطء نحو تحقيق هدف أسمى وبعيد.

وانضم طلبة آخرون إلى المنظمة كمتطوعين، حتى ضاق بهم المكتب، واختنق بهم غرفة محمد حيث كانوا أحياناً يجتمعون ليلاً، وكان في كل مرة يحتمل النقاش بين مجموعة محمد، وجماعة حسين أثناء اجتماعاتهم ومهب محمد ناهضاً، ويقف هناك يتراجع إلى الآباء والخلف وهو يتفوه بنبرات رنانة عميقة بكلمات لطيفة بسيطة، سرعان ما تسurg الهدوء والسكينة والجد على الجميع، فهو بطبيعة الحال رئيس المكتب ويحترمه الجميع ويستمعون لكلامه.

وكان حسين متوجهـما دائماً، ويحث الآخرين على إثبات هذا الأمر أو ذلك، وكان يتجه دائماً إلى الرأي بمسايرة الإدارة وجلب أكبر المكاسب وتجنب الدخول معها في أي صدامات، وكان يبدأ هو وأمين الذي يعارضه طوال الوقت أغلب المجادلات، والذي يأخذ برأي محمد دائماً

وأنه على الطلبة أن يستجتمعوا قواهم ويتوحدوا ليقفوا وقفه رجل واحد، ضد هذا الظلم والفساد المستشري في الجامعة.

ولم تكن الفتيات تتدخلن إلا قليلاً، فزهيرة ونورة كانتا توافقان محمد وأمين وتدعمان مقترناتهما دون تفكير، بينما كانت دلال تحذو حذو حسين وياسين وخالد، أما نذير كان قليل الكلام ولا يظهر موقفاً صريحاً من كل ما يدور من نقاش وجداول، ولا يبرز رأيه لا مع هذا ولا مع ذلك.

ولحسن الحظ أن محمد وأمين وزهيرة قد وجهوا للاختصاص الذي اختاروه وهو القانون الإداري، واجتاز صلاح وسلمي السنة أيضاً ولم يرسباً، ونجح بقية أعضاء المكتب دون عنا، وكانوا يقضون أيامهم بين الذهاب للدراسة والمكتب، حيث كانت شكاوى الطلبة التي تصلكملاً تتوقف، سواء بسبب المشاكل التي تحدث مع أساتذتهم أو مع بعض الإداريين، أو حتى بعض النزاعات بينهم، وروتين الإقامة حيث كانوا يخرجون من المطعم بعد تناول وجبة العشاء، ويجلسون لبعض الوقت في الساحة المقابلة لإقامةطالبات كعادتهم التي دأبوا عليها منذ أن وطأت أقدامهم الحرم الجامعي، قبل انتهاء الوقت المسموح به لدخولطالبات للإقامة، والمحدد بعد المغرب بنصف ساعة على أكثر تقدير، وكان المرح يسود تلك الجلسات حيث يحاولون نسيان

ضفوط يومهم بالترفيه عن أنفسهم، وفي الكثير من الأحيان ينزو ويأمين مع نورة تحت إحدى الأشجار وهما يشبان أيديهما ويتبادلان المجاملات وأجمل عبارات الغرام، ويغادر صلاح وسلمى إلى نادي الطلبة حتى لا تفوتهم جلسة الدومينو، ويبقى محمد وزهيرة منفردين مما يتبع لمحمد التعبير عن مكنوناته وكسب ودها وجعلها تألفه أكثر فأكثر، فهي لم يسبق لها الاقتراب من غرباء قبل هذا، وهي كالفرس البرية التي تحتاج وقتا طويلا لتألف فارسها، وكان محمد يحضر لها بعض الأشرطة الموسيقية لفنانة المفضل، ملك الأغنية العاطفية الشاب حسني، بينما كانت هي تقدم له أشرطة شرقية لأم كلثوم وعبد الحليم، وكانت هذه الجلسات الحميمة تنتهي بسرعة، ثم يصلون الفتيات إلى باب الإقامة ويتوجهون مباشرة لغرفهم، ويضعون الأشرطة التي حصلوا عليها من صديقاتهم في المسجل للاستماع إليها، ويخيل لهم أن كل كلمة فيها تقصدهم، وما أكثر ما كانوا يتجمعون في شرفة الغرفة وينغون، فينشدون بأصوات عالية سعيدة تلك الأغاني البسيطة التي يعرفها الطلبة أجمعون، وكانوا ينشدون أحياناً أغاني جديدة غرامية وجدية في تناسق جميل، لكن بلحن غير معهود، وكانوا ينشدونها بأصوات عالية ليسمعوا الفتيات اللواتي كن بدورهن يتجمعن في مختلف الشرفات المطلة على إقامة الذكور، وكان محمد

أحياناً يقوم بفتح المسجل في شرفة الغرفة على أعلى صوت، وهو يضع أحد الأغاني التي كانت تؤثر في زهيرة بصورة خاصة، فهي لم تكن تفصح كثيراً عن الآلام الموجعة التي تحسها، ولا عن ذلك الأنين الذي بداخلها، وكثيراً ما كانت تظهر ذلك من خلال هذه الأغنية التي تقول بأنها تعبّر عنها، وكانت بمجرد أن يصل صداها إلى غرفتها تخرج سريعاً إلى الشرفة، مشيرة إلى محمد بوشاحها الأحمر الذي يتراوّه من بعيد، وكان محمد يطير فرحاً ويبقى لساعات ساهراً في الشرفة، وأحياناً تظهر نورة وبقية الفتيات اللواتي تسکان معهما الغرفة أيضاً سلمى وسعاد ويأتي أمين ويرفع كلتا يديه لنورة التي ترد بالزغاريد، على عكس صلاح وسليم اللذين يعودان من نادي الطلبة متأخرين.

وفي أحد الليالي استيقظت زهيرة مع منتصف الليل، وتقلبت في سريرها عدة مرات، كان قد أصابها أرق وأحسّت بالوحدة فتوجهت إلى الشرفة ومدت نظرها إلى الخارج، كان كلّ شيء في الإقامة ساكناً غير واضح المعالم، وكانت بعض ريح نهاية الخريف تنفس أوراق الأشجار المتطايرة على بنيات الإقامة القديمة، وتصطدم بالجدران ثم تنحدر على الأرض، لتثير عاصفة من التراب والأوراق الجافة تماماً الساحة، ثم خيّل لها أنها ترى بعض الأشباح تتحرّك في المدخل الرئيسي للإقامة، ثم أعادت النظر من جديد، فاتضح لها أنهنّ ثلاث طالبات تترنّحن وهن

دخلات من باب الإقامة، بينما يقف أعون الحراسة والأمن رفقة شخصين، وتراءى لها أيضا جزء من سيارة سوداء، والشخصين الذين أحضرا الفتيات، عبر فتحة الباب حيث يقف عوني الحراسة، ثم ما لبث أن اختفى الشخصان بسرعة وأغلق أعون الأمن والحراسة الباب، بينما تقدمت الطالبات وهن يتمايلن ويبدو من مشيتهن أنهن مخمورات، عادت زهيرة بسرعة إلى غرفتها وأيقظت نورة وزميلتها في الغرفة سلمى وسعاد وخرجن جميعهن للشرفه وهن يزحفن مختبئات بجدار الشرفة القصير، وكانت تلك الفتيات تتمايلن وتترنحن وهن يسرن متقدّمات حتى أن إحداهن سقطت على الأرض فهبت صديقتها لا يقاوها بصعوبة، وكأنّ يضحكن ويقهقهن ويدخن السجائر ويتكلمن بصوت خشن عالي، ومع تقدّمهن من باب الجناح المقابل همست نورة بصوت منخفض قائلة: يا إلهي إنها دلال ومعها صديقتها بالغرفة؟ ثم ما لبث أن اختفيت بين الأشجار الطويلة المقابلة على باب الجناح، ولم يسمع بعدها إلا بعض الأصوات والقهقّهات وضجيج فتح وغلق الأبواب، ثم زحفن ودخلن إلى الغرفة وأغلقن باب الشرفة وهن مصدومات من هول ما شاهدن.

قالت نورة وهي تهمس لزميلتها: يا إلهي إنها دلال لقد رأيتها بأم عيني، وبرفقتها زميلتها في الغرفة أسمهان وصورية، أين كنّ في منتصف الليل ومع من؟

زهيرة وهي تمسك رأسها بكلتي يديها... آه.. لم أكن أتوقع هذا من دلال.. يا الله .. أما زميلتها أسمهان وصورية، فهن معرفات في الأوساط الطلابية بفجورهن، ألا تتذكرن أننا عندما وطئت أقدامنا هذه الإقامة أول مرة، تلقينا التحذير من الطلبات القدامي من مخالطتهن وسمعنا عن طيشهن الكبير.

ثم تنهدت سلبي زميلتهن في الغرفة وهي تفتح عينها عن آخرهما.. قائلة: يا للعار أتصدر هذا من طلبات جامعيات، واللواتي يفترض بهن أن يكن قدوة لبقية المجتمع، فهن يمثلن الصفة المعلمة من الفتيات.

ثم قالت سعاد زميلتها الأخرى في الغرفة وهي مرتبكة، لن أكلمن أو أقترب منهن بعد الآن، فلو سمعت هذا من أفواه بقية الطلبة والطلاب ما كنت لأصدقه، أبداً.. أبداً.. وكنت سأعده مجرد غيبة وغيره وتشويه لصورتهن، لكنني رأيت هذا بأم عيني.

زهيرة: هلرأيتم ذلك، إنهم يدخن السجائر، ويترنح ويتمايلن  
أطئمن فاقدات لوعين ومغمورات.

نورة: نعم ويبدو أنهم كن يسهرن مع أصدقائهم في أحد الكباريات،  
وأعوان الأمن والحراسة متواطئون معهن أيضاً، ربما ينالون الرشاوى  
وبعض البقشيش حتى يسمحوا لهم بالدخول.

وكما سبق وسمعنا فإن الكثير من الأحداث المماثلة تحدث كل ليلة،  
وبالأخص في ليالي العطلة الأسبوعية، حين يعود الطلبة والطالبات  
لمنازلهم ويقل عدد الماكثين بالإقامات، وتكون السهرات أكثر فخامة.

وفي صباح الغد قصت زهيرة نورة كل ما حدث ليلة البارحة على  
محمد وأمين، حينما التقوا في المكتب مساءً، قبل أن يلتحق بقية  
أعضاء المكتب ما عدا حسين ودلال وهذا ما جعلهم يشكون بأنّ  
حسين أيضاً كان برفقهم البارحة.

وقد أخبرهم أمين أنّ السيارة الفخمة السوداء ربما تكون إحدى  
سيارات الحاج إبراهيم، فهو يمتلك عديد السيارات الفارهة وبمختلف  
الألوان.

وأخبرهم محمد أنه قد وصلته سابقاً عديد الشكاوى بخصوص هذا  
الموضوع، يتهمون فيها أعوان الأمن والحراسة بالتواطؤ في مثل هذه

الأحداث، لكنه لم يعرها أي اهتمام وظن أنها مجرد إشاعات وكلام لا أساس له من الصحة، لكنه تأكّد فعلاً هذه المرة، وقد أضيّفت مشكلة أخرى لما يعانيه الطلبة من المشاكل المختلفة، والتي يجب أن يجدوا لها حلاً، لكن الإشكالية في تواطؤ بعض الأعضاء من مكتب الطلبة أنفسهم في مثل هذه الحوادث، وهذا ما يصعب المأمورية أكثر، وسيشق المكتب إلى نصفين، وسيؤدي إلى إضعاف صوته في الوسط الطلابي، وفي مواجهة الإدارة، لذلك أرجأ محمد هذا الموضوع إلى وقت لاحق، وطلب منهم عدم إخبار البقية، وترك الأمر سراً بينهم، وطلب من زهيرة ونورة أن يخبرا زميليهما في الغرفة سلمى وسعاد بأن يكتما الأمر ولا يخبرا به أحداً إلى حين وقته.

مرّت بضع أيام ثم أسابيع وشاعت الأخبار كثيراً حول ما حدث، ويبدو أنه في تلك الليلة هناك من شاهد الحادثة أيضاً من الطلبة والطالبات، وأنّ الأمر لم يعد سراً، بل أصبح حديث الكثيرين، وهناك أيضاً من روى أحداث مماثلة قد شاهدها أو سمع عنها، وقيل أيضاً الكثير من اللغط والكلام عن علاقة مدام زكية مديرية الإقامة الجامعية للإناث، بكلٍّ من الرئيس ونوابه وال الحاج إبراهيم وعديد الشخصيات المعروفة الأخرى، وقد أشبع عنها أنها تحت حماية والي الولاية شخصياً، ولا أحد يستطيع زحزحتها من منصبه مما حصل،

وأنها تقدم لهؤلاء الشخصيات وأخرون من كبار التجار ورجال الأعمال، العديد من القرابين من الطالبات المقيمات الجميلات، سواء بإغرائهم بشتى الوسائل، أو باستغلال طيشهن و حاجتهم وعوز الكثيرات منهن، أو حتى بتهديدهن بعد إسقاطهن في مشاكل جمة داخل الحي، تصل عقوبها لحد الفصل من الدراسة، ثم تهديدهن وتعرض عليهن الرضوخ لأوامرها، بالقبول في الخروج لسهرات مجانية مع أغلب تلك الشخصيات، لتحصل هي على عديد الامتيازات والثناء والرضا والحماية.

وفي أحد ليالي الشتاء الباردة، بينما كان محمد وأمين في غرفتهما رفقة سليم وصلاح يتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث، دق الباب بخفة عدة مرات فتح صلاح الباب، إنه سمير ابن نفس مدينة الحاج إبراهيم وزميله في الفوج العام الماضي وهذا العام أيضا بنفس الاختصاص، فهو ثريثار ولا يتصف بالرزانة والاتزان ويحب إبداء رأيه في شتى المواضيع، ويحب مخالطة الناس وحشر أنفه في كل صغيرة وكبيرة، إلا أنه يتصف بطيبة القلب، دخل الغرفة مسلماً وجلس مباشرة على سرير قرب الباب، وهو يبتسم كعادته قائلاً: لقد أتيتكم بالخبر اليقين، والذي ربما سمعتم عنه لكنكم لا تعرفون تفاصيله، ثم تكاسل وهو يحك ظهره وأردف قائلاً: ألا تعرفون ما يحدث في الإقامة؟

رد الجميع بصوت واحد وهم ينظرون إليه مشدوهين: لا

قال في خفة: هناك مجموعات كثيرة متواطئة ومتورطة في مسألة  
خروج الطالبات للسهر ودخولهن آخر الليل.

لا بل هناك الكثير من الفتيات أصبحن يمتهنّ البغاء، وهناك من  
يشجعهنّ على ذلك من أعوان الأمن والحراسة والإداريين، ويستعملنّ  
لتحقيق مكاسب على حساب زملائهن الآخرين، وهناك حتى من يتصدّى  
لفتيات الصّغيرات اللواتي يدخلن الإقامة الجامعية لأول مرّة ويبتعدن  
عن حماية أهلهن، ويقوم بإغرائهم بشّى الوسائل، ويستعمل فتيات  
ذوات خبرة ومتعرّسات في الميدان لإسقاطهن في فخ الرذيلة، ويستغلّون  
أيضا حاجة وعزّ بعضهن، فيعرضن عليهم المال واللباس باهظ الثمن  
والذهب والجواهر أيضا، ويعدهن بستر أمرهن وحمايتهم، وإذا تمنّعت  
إحداهن، يلجاً معها للتهديد والوعيد وإسقاطها في أخطاء ثم يهددها  
بفضح أمرها إن لم تطأوه، وبالخصوص الفتيات الفائقات الجمال، ثم  
تهد وعكف ركبتيه إلى صدره ليجلس كالخنفسيّ فوق طرف السرير،  
ثم سألهن قائلًا: هل تتذكرون تلك الطالبة التي تدعى منال الفائقـة  
الجمال التي تدرس بقسم العلوم الاجتماعية؟ كيف التحقت بالجامعة  
أول سنة دراسية وكيف تحول شكلها وأخلاقها الآن؟

فقطاعه سليم وهو يجلس قبالته قائلاً: آه نعم نعم إنها تدرس بنفس قسمى، صحيح لقد وصلت للجامعة في أيامها الأولى محجبة، ويظهر على وجهها علامات البراءة، حتى إنها كانت لا ترفع رأسها وهي تمشي في الطريق، ولا تعير أحداً أي اهتمام، ولا ترد على كل من يتحرش بها أو يحاول التكلم معها.

صلاح وهو يتربع إلى جانبه في الطرف الثاني من السرير، ويفتح عينيه مقطعاً جبينه قائلاً: نعم نعم تذكرت، إنها نفس الفتاة التي نزعت الحجاب، وأصبحت حديث الجميع في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، والجميع يلهث وراءها، حتى الأستاذة يجاملونها بمنحها أعلى العلامات، وقيل عنها أيضاً أنها تتردد كثيراً على نائب الرئيس للدراسات الدكتور سليمان، وإنها كثيراً ما حلّت بعض المشاكل العالقة لبعض الطلاب المقربين منها.

سمير وقد ضم ساقيه أكثر إلى صدره وأمسك ركبتيه بكلتي يديه: نعم هي تلك الفتاة، إن قصتها حزينة فهي يتيمة الوالدين، وتعيش رفقة خالتها المتواضعة الحال، وحين قدومها أعجب بها الحاج إبراهيم، وقد حاول التقرب منها لكنها كانت تصده، حتى أنها في أحد المرات حينما أراد أن يكلمها عنوة قد أسمعته الكثير من الكلام على مرأى من الطلبة والطالبات، ونعتته بالشيخ الذي في مقام والدها، وأن يستحي

على نفسه، وهذا ما أُجج نار الحقد والانتقام في نفسه، كيف لفتاة أن ترفض الحاج إبراهيم الذي تركع عند قدميه أغلب الطالبات طلباً لرضاه، فقرر الانتقام منها وأن يجعلها تندم على ذلك مهما كان، فحاصرها من جميع الجهات، وأوزع للكثير من أساتذتها الذين كان يصحمهم للغداء، ومنهم حتى من أرسله في رحلة خارج البلاد على حساب الوكالة السياحية التي يمتلكها، ومن منحه إقامة مجانية في فندقه بأحد دول المشرق، وهناك من ساعدته في شراء سيارة بالتقسيط، عبر التوسط له مع مدير إحدى البنوك، أن يضيقوا عليها الطريق، كما كان يشتري الهدايا الثمينة لصديقاتها في الغرفة والمقربات منها في الدراسة، وحين لم تنصع له رغم كل الضغوط، اشترى حبيبها الذي كانت تثق به ليخونها، ويخلع عنها مقابل حفنة من الأموال، حيث رسموا لها خطة بعدها خرجت مع صديقها للتنزه، حيث أغراها بالذهب لرؤية الشقة التي اشتراها له والده، وكانت شقة يمتلكها الحاج إبراهيم نفسه، موهماً إياها أنها ستكون بيت الزوجية لهما بعد التخرج، وعند دخولهما حدث بينهما الكثير من الأحضان والقبلات كما يحدث بين سائر العشاق، وكانت الشقة مجهزة بكاميرات، حيث التقطرت لها عديد الصور في وضعيات حميمية رفقة صديقها الخائن، وقد قبض هذا الجبان ثمنها مسبقاً مبلغاً يعتبراً من

العملة الأجنبية وتأشيره وتذكرة للخارج، فحلمه كان الهجرة خارج البلاد، وبعد أيام تعمد الاختلاف معها وإحداث شجار، وانفصل عنها مدعيا عدم قدرته على المواصلة، واختفى وتوارى عن الأنظار منذ ذلك اليوم دون أن يظهر له أيّ أثر.

ثم سكت برهة ليلتقط أنفاسه وهو يضرب ركبتيه وأكمل كلامه؛ وبعد مدة من اختفاء صديقها، أرسل لها الحاج إبراهيم بعض تلك الصور، مع إحدى خادماته اللواتي يتصيدن ويحضرن له أجمل الفتيات، فدخلت في صدمة المسكينة ووجدت نفسها وحيدة، وفريسة لهذا الوحش بعدما تخلى عنها حبيها، بل باعها بأبخس الأثمان، فلم تجد حيلة إلا أن رضخت له، ومن يومها تغيرت حياتها وانقلبت رأسا على عقب، وأصبحت الطالبة الفاجرة التي يعرفها اليوم الجميع، هذه قصة فتاة واحدة والكثير من الفصص التي تحدث كل يوم للكثير من الطالبات.

ثم هز برأسه قليلاً والجميع ينظرون إليه وهم في حالة من الذهول، وقال: هذه الأشياء، يتورط فيها فئة قليلة كخليل من بعض الأساتذة والمسؤولين والإداريين والطلبة والطالبات الفاسدين، فكل منهم يقوم بدوره حسب مكانه ومنصبه.

ثم تقدم أمين وهو يضع يده على كتف سمير قائلاً؛ والله انه لحزن  
ما نرى ونسمع في هذا الوسط الجامعي، والأدبي والأمران الجميع يعلم  
ذلك ولا أحد يحرك ساكننا، وكان الجميع متواطئاً إما بالفعل أو حتى  
بالسکوت.

وأخذ محمد يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو يداعب خده، ثم قال؛  
في حزن عميق يملأ عينيه، نحن لسنا في حاجة لارتكاب مثل هذه  
الأمور، فقد من الله علينا بالصلاح وصحوة الضمير، ثم تحدث لهم  
طويلاً في لهجة هادئة ورزينة، تتم عن الكثير من الحزن والحسنة لما  
وصلت له حالة الوسط الجامعي.

كان سمير مقرباً جداً من الحاج إبراهيم بيد أنهما ينحدران من نفس  
القرية الحدودية، ويدرسان بنفس الاختصاص والفوج، لكنه لم يكن  
يستلطفه أبداً، وكان يظهر له الولاء والطاعة، وبأنه يقف مع ابن  
مدينته إلا أن الحقيقة كانت غير ذلك فقد كان يمقته ويكره أفعاله،  
لذلك كان يفضي جميع أسراره لكل من يحس أنه يعمل ضده.

وحينما أدرك أن محمد ومجموعته يريدون إصلاح الوضع،  
ويتحينون الفرصة المناسبة للوقوف ضد الفساد المستشري في  
الجامعة، من كل النواحي، قرر أن يقف بجانبهم ويزودهم بكل ما

يحتاجونه من معلومات وأخبار، حتى بالأدلة والبراهين التي تسقط بين يديه، عن ما يقوم به هذا البارون داخل الجامعة وخارجها.

وقد أخبرهم أيضاً بأن الحاج إبراهيم استطاع بماله الفاسد أن يسيطر على كل صغيرة وكبيرة في الجامعة برمتها، وقد اشتري الغالبية من المسؤولين والأساتذة والإداريين والطلبة بمال، فلا أحد يستطيع أن يرفض له طلب، أو يقف في طريقه، حتى أنه العام الماضي تسبب بطرد عميد كلية، بعدما رفض له طلب مساعدة طالبتي في اجتياز السنة دون وجه حق، وقد أوعز إلى رئيس الجامعة بأنه يعطل مصالحهما، ويقف لهما حجر عثرة في طريقهما، وبالفعل أنهيت مهمته آخر تلك السنة، وعين مكانه رئيس قسم كان مقرباً من الحاج إبراهيم، وينصاع لأوامره ويدين له بالولاء التام.

وكان سمير يصب عليهم وابلاً من الكلمات الجافة المتكسرة، دون أن يستريح ليتنفس أو يتلقى جواباً.

وأضاف قائلاً: إن الحاج إبراهيم مثل الإخطبوط، يملك العديد من المؤسسات الاقتصادية الخاصة، والشركات التجارية بفروعها وفي مختلف الاختصاصات، وتتوزع ملكيتها بينه وبين أبنائه وإخوته وحتى أصحابه، والعديد منها أبرمت اتفاقيات وعقود تموين لبعض الهيئات الإدارية في الجامعة.

ومن ضمنها وكالة سياحية متعاقدة مع الجامعة تحتكر إرسال الأساتذة والموظفين إلى الإقامات والتظاهرات والمؤتمرات وإجراء التricsات العلمية في الخارج، ويمتلك أحد أبنائه أيضاً شركة لاستيراد مختلف المواد الغذائية، وهي المون الحصري والوحيد للمطاعم الجامعية، وأحد إخوته هو الآخر يختص بتوريد التجهيزات المكتبية لمختلف القطاعات، ومن ضمنها التعليم العالي، ونادرًا ما تفوز مؤسسة أخرى منافسة بإحدى تلك الصفقات التي تكون مؤسسات الحاج إبراهيم أو شركة لأحد معارفه ومقربيه من رجال المال والأعمال طرفاً فيها، وهو يترك فقط بعض الفئات من الصفقات الصغيرة، حتى لا يثير الريبة والشك يبعد عن الرئيس شبهات التواطؤ والفساد، كما يتوسط لبعض المقاولين والحرفيين للفوز بصفقات لإعادة الترميم والتأهيل والإنجاز.

ثم قاطعه صلاح عنوة وهو في حيرة واستغراب! ما دهاء للدراسة في الجامعة رفقة طلبة في عمر أبنائه إذن؟

سكت سمير لحظة واسترسل في الكلام قائلاً: أما دراسته بالجامعة فهي ليرفع من مستوى التعليمي، حتى يستطيع الترشح للانتخابات البرلمانية القادمة، التي أصبح يشترط فيها المستوى الجامعي، ولتكتمل صورته أيضًا أمام الناخبيين، ويصبح صاحب المال والمستوى العالي

والجاه والنفوذ، والقصد من حصوله على مقعد في البرلمان هو كسب الحصانة البرلمانية التي تسهل له شتى الأعمال، وتجعله مقرباً من الطاقم الحكومي.

كان الجميع مشدوهون بين الحيرة والتعجب، مما يستمعون إليه، وبقوا إلى وقت متأخر من الليل يستمعون إلى ما يسرده سمير من القصص والأهوال التي حدثت وارتبطة بالحاج إبراهيم، ورئيس الجامعة ونوابه وبعض الإداريين.

توالت الأيام والأسابيع والشهور على تلك الحال، بل إن الوضع ازداد سوءاً أيضاً في الإطعام وزاد تذمر الطلبة، وكثير منهم اللغط والكلام عن سوء التسيير لقطاع الخدمات الجامعية، وفساد مديره ومسؤولي الإقامات والمطاعم والمخازن ولجان الصفقات العمومية، وقد تشاهدت الوجبات وانعدام فيها التنوع المطلوب لصحة الطالب الجامعي، وأصبح الكثير منهم يتضورون جوعاً خاصة الذين يتغذون ولا يتناولون الطعام الرديء.

وكثيراً ما يحدث عراك بين بعض الطلبة وعمال الطهي وتقديم الطعام، كان ينتهي بتدخل مدير المطعم ذلك الرجل السمين البطين، ذو الهدام الكلاسيكي الجميل، الرجل الأصلع ذو الوجه المنتفخ، وكان يأتي مسرعاً وهو يرفع نظارته عن أنفه المدور الذي يشبه المصباح،

وهو يبتسم بشهوانية معهودة ابتسامة باردة تنم عن كثير من الخبرت والخداع، وأحياناً يتبدل في لحظة ويكتشر تكشيرة الاستيء، يأتي متأخراً بعد أن تسوء الأحوال لهيئة الأوضاع، ويتفقد بنفسه سيرورة الأعمال، ومدى تنظيم إطعام الطلبة كما يفعل عادة، وليبرز أيضاً لمسؤوليه وعماله والطلبة أجمعين حرصه على مراقبة كل صغيرة وكبيرة، وأنه ينزل للميدان ويقوم بعمله في مراقبة جودة العمل والإطعام، ومدى التزام عماله بأداء مهامهم، ويأمر بتحسين الوجبات، وذلك ما يحدث ليوم واحد أو يومين على أكثر تقدير، ثم ما يلبث أن يختفي لشهر وتعود دار لقمان على حالها، خاصة إذا سكت الطلبة والتزموا الصمت لوقت طويل.

وكان يأتي أيضاً برفقته بائع التذاكر ذلك الفتى الصغير، الذي لم ينبع شاربه بعد، صاحب تسريحة الشعر الغريبة، وهو يبرز الخاتم الحديدي الذي كان يزين إصبعه، وكان يتدخل بصوته الهادئ ويقول للطلبة إني لكم ناصح أمين.

ويتقدم لتمثيل الطلبة المحتجين محمد وأمين وكانت منظمتهم تصدر البيانات الاحتجاجية في كل مرة، وتعقّبها إرساليات وشكاوى للرئيس، تدعى لدى سكرتيته الآنسة سناء، والتي يبدوا أنها لا تعبر أغلبيتها أي اهتمام، ما عدا البعض منها حيث تحولها لنائب للتكوين

العالى والشهادات الدكتور سليمان، بحجة أن الرئيس مشغول وليس لديه الوقت للنظر في مثل هذه المواضيع والإشكاليات، التي تراها تافهة ولا تستحق الاهتمام، وكثيراً ما تناصر الطلبة بالتخلي عنها لأن الرئيس سيغضب منهم، أما النائب الدكتور سليمان فكان يمتص غضبهم، ويسدي لهم الوعود التي سرعان ما تتبخر بعد أيام، عندما يهدأ من غضبهم ويجعلهم ينسون الموضوع، ونادراً جداً ما كان يعاقب المخطئين من العمال بصفة رمزية بتحويلهم من مكان عملهم على سبيل المثال من تقديم الطعام إلى غسل الأواني أو تنظيف البلاط.

لقد مرّ ثلاثي دراسي بأكمله، وحان دورات انعقاد مجلس الإدارة، بغية الإعلان عن الاستشارات القانونية، ودراسة العروض المقدمة من طرف مختلف المؤسسات والشركات، ومنح الصفقات التي يعاد فتحها كل سنة لأحسن واقل العروض المقدمة، وكان الرئيس قد أمر سابقاً بجعلها جميعاً تخرج من مجلس الإدارة المركزي، بدلاً عن ما كانت عليه سابقاً حيث كل هيئة تختص بصفقاتها، وقد أرسلت الدعوات لجميع أعضاء مجلس الإدارة، بمن فيهم الشركاء الاجتماعيين، من نقابة الأساتذة وممثلي المنظمات الطلابية، وقد وصلت أعضاء المكتب دعوائهم.

انعقد الاجتماع مساء يوم الخميس آخر أيام الأسبوع، كما هو معتاد طيلة حكم هذا الرئيس، وحضر باكرا رئيس الأمن والحراسة عثمان والمدير الفرعى لتنظيم النشاطات عبد الكريم كعادتهم، وهما يجريان في كل صوب وحدب، ويقفان على كل صغيرة وكبيرة، لتهيئة قاعة الاجتماعات بكل ما يلزم من الوسائل لراحة الرئيس، ثم بدأ المدعون يتواجدون تباعاً، فجاء ممثلو الطلبة من المنظمات الطلابية، فحضر أولاً حسين ورفيقته دلال وياسين وخالد وندير، ثم التحق بهم البقية محمد وأمين وزهيره ونوره واتخذوا لهم مكان في آخر القاعة، ووصل باكرا أيضاً رئيس نقابة الأساتذة الدكتور بوعلام شيخ الأساتذة كما يلقبونه، ورئيس نقابة الموظفين والعامل عي حمد، الذي لا يكاد يغيب عن حدث يذكر داخل الجامعة، وأينما حل الرئيس إلا وجده في استقباله، واتخذوا لهم مكان وسط القاعة، وتولى وصول المدعون فجاء أيضاً أعضاء مجلس الإدارة الآخرين، من مدير إقامة الجامعية للذكور السيد علي برفة طاقمه الإداري، من مدير إقامة الذكور السيد أيمن ومديرة إقامة الإناث مدام زكية، وبرفقتهم مدير المطعم المركزي ذو البطن المنتفخ السمين، وشكلوا كوكبة لا تتوقف عن الكلام، واتخذوا لهم مكان خلف الصنوف الأولى من القاعة، وبعد حوالي نصف ساعة وصل الأمين العام للجامعة وكبير الموظفين السيد

نور الدين، وهو يحمل بين يديه مجموعة من الملفات، مُرفق برئيس ديوان رئاسة الجامعة الدكتور حسن وهو يحمل محفظته السوداء المنتفخة، ويرفع نظارته الطبية تارة ويدنها تارة أخرى وهو يميل برأسه نحو الأسفل ويتفحص الحضور، وجلسوا على الجانب الأيسر من المكان حيث سيجلس فيه الرئيس، ثم تبعهم نواب الرئيس كل من الدكتور سليمان والدكتورة أحلام والدكتور جلال الدين وكانوا يتحاورون كعادتهم دائماً ولا يكفون عن النقاش، وجلسوا على الجانب الأيمن من مقعد الرئيس وبقي الجميع على تلك الحال لأكثر من ساعة.

وأخيراً حضر الرئيس في أبهته المعتادة، يرتدي نظارته الطبية وبدلته الكلاسيكية السوداء، وتبعه سكريتراته الآنسة سناء وهي تحمل مجموعة من الملفات وحقبته السوداء، ووضعتهما أمام الرئيس.

وهب الجميع للوقوف من أماكنهم كالعادة، تعبيراً عن اليبة والتقدير والاحترام، كما سارت به الأعراف والبروتوكولات منذ قدوم هذا الرئيس، وفتح ذراعيه مشيراً لهم بالجلوس.

ثم ألقى عليهم التحية قائلاً: أرجوكم جميعاً أعضاء مجلس الإدارة من السيد الأمين العام ورئيس الديوان والنواب والشركاء الاجتماعيين، وبقية أعضاء مجلس الإدارة من أساتذة وموظفيه، كل باسمه ومركزه، وأود أنأشكركم وأثنى على كل ما تقدمونه لخدمة الجامعة،

ثم استدار في مكانه وأخرج ورقة ليضعها أمامه وأكمل كلامه قائلاً: وهو ينظر للحضور تارة ويخطف نظرة لتلك الورقة تارة أخرى، إن هذا الاجتماع جاء لمناقشة نتائج دراسة لجان الصفقات وما يتبعها من لجان، لجنة الاستشارات القانونية، ولجنة فتح الأظرفة، ولجنة دراسة العروض، ولجنة الطعون، وغرس رأسه في تلك الورقة مكملاً: قد انتهت نتائج تلك اللجان جمِيعاً إلى منح الصفقات العمومية الكبرى للمؤسسات الآتية:

صفقة التموين بالتجهيزات المكتبية وجلب الكتب للمكتبة المركزية الجامعية، فازت بها مؤسسة الحكمة للتجهيزات المكتبية.

صفقة التموين بالمواد الغذائية المختلفة للمطاعم الجامعية فازت بها مؤسسة السنابل الذهبية للتمويل.

صفقة النظافة وإعادة تهيئة المساحات الخضراء فازت بها شركة غزال للتهيئة والتنظيف.

صفقة إعادة التهيئة والترميم فازت بها مقاولة إعمار للبناء والتعمير.

صفقة الرحلات والأسفار فازت بها وكالة الإسراء للسياحة والأسفار.

صفقة الطباعة وإنجاز اللوحات والأختام فازت بها مؤسسة رائد للطباعة والإشهار.

صفقة دعم الحراسة فازت بها شركة الأنفال للأمن والحراسة.

صفقة النقل الجامعي فازت بها مؤسسة الإسراء للسياحة والأسفار.

ثم رفع رأسه قائلاً: تقريراً هذه جل الصفقات العمومية الكبرى، وقد فازت بها أغلب المؤسسات التي اعتدنا على التعاقد معها كل سنة، وهذا ناتج عن الخبرة الكبيرة والثقة التي اكتسبوها في الميدان، ثم التفت إلى يمينه قائلاً: والآن أترك الكلمة للسيد الأمين العام للجامعة ليشرح لكم، فهو الملم أكثر بمثل هذه الأمور.

أخذ السيد نور الدين الأمين العام للجامعة وكبير الموظفين الكلمة قائلاً: أشكر السيد الرئيس على كل التوضيحات، وأثنى على اهتمامه الكبير والإلام بكل صغيرة وكبيرة في الجامعة، والإشراف بنفسه شخصياً على كل الأعمال، وحرصه الشديد على تحسين جودة الخدمات المقدمة داخل الجامعة، وبفضل مجهوداته ارتفعت جامعتنا إلى مصاف الكبار، واترك الكلمة للسيد رئيس الديوان البروفيسور حسن.

رفع رئيس الديوان نظارته كعادته وقال مباشرة دون أي مقدمات، إن النجاح الباهر للجامعة وما حققته من إنجازات كبيرة، وما تحققه يوماً بعد يوم يعود الفضل فيه للسيد الرئيس، بفضل حنكته وتسييره

العقلاني المتفوق على أقرانه من بقية الجامعات الأخرى، حتى أصبحنا قوة علمية يحسب لها ألف حساب، وبذلك أجدد شكري وامتناني للسيد الرئيس، وأقول له نحن خلفك، إلى الأمام، إلى الأمام ثم سكت دفعة واحدة.

واسترجم الأمين العام الكلمة قائلاً: والآن أحيل الكلمة للدكتور سليمان نائب الرئيس للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات.

كح هذا الأخير عدة كحات مبحوحة وقال: أجدد ترحبي بالسيد الرئيس والزملاء الأفاضل لمجلس إدارة الجامعة، وأود في مستهل كلمتي القصيرة هذه أن أذكر ببعض الإنجازات الرائعة، التي تحققت في عهد سيدي الرئيس المدير العام للجامعة، فقد أضيفت العديد من مسارات التكوين الأكاديمي، في ظرف وجيز في مختلف الكليات والتخصصات، وارتقت العديد من الأقسام إلى معاهد، والكثير من المعاهد إلى كليات، وانتزعنا عن جدارة ملحقة للطب، إضافة إلى ارتفاع نسب المترجين سنوياً في طوري الليسانس والماستر لمختلف الاختصاصات، فالشكر وكل الشكر للسيد الرئيس الذي كان وراء كل تلك الإنجازات، وكان يتابع كل صغيرة وكبيرة عن كثب، وأحيل الكلمة

للدكتورة أحلام نائبة الرئيس للتعاون وال العلاقات الخارجية والتنشيط  
العلمي والثقافي.

تبسمت كعادتها وقالت عمت مسامي جميعا، في مستهل حديثي أود  
أيضا أنأشكر السيد الرئيس، على كل الدعم والجهودات الجباره  
التي يبذلها في الارتقاء بالجامعة إلى مصاف الكبار، وبفضل حنكته  
أبرمنا عديد الاتفاقيات الدولية مع جامعات عالمية معروفة لا يسع  
المكان لذكرها، وأهمها اتفاقيات توأمة مع جامعات عالمية لتبادل  
الخبرات، واتفاقية سبعة زائد سبعة واتفاقية جنوب جنوب، كما  
استفاد ثمانين بالمائة من الأساتذة وأربعين بالمائة من الإداريين  
وعشرين بالمائة من الطلبة من ترقيات ميدانية قصيرة المدى بالخارج،  
وعقدنا عديد المؤتمرات الدولية والوطنية، وأقيمت أكثر من تظاهرة  
علمية وثقافية طيلة السنة، وكل هذه الإنجازات بفضل سيدي الرئيس  
وأجدد شكري وامتناني له.

وقد توالى التدخلات من بقية أعضاء مجلس الإدارة، وقد كانت  
جل تدخلاتهم شكرا وثناءً وتعدادا لإنجازات الرئيس المختلفة، والذي  
كان يضع قبضته المتشابكتين تحت ذفنه وينظر بصمت لكل  
المتدخلين، والبسمة تعلو شفتيه، حتى أن رؤساء نقابتي الأساتذة  
والعمال البروفيسور بوعلام شيخ الأساتذة كما يلقب، وعمي حمد

رئيس نقابة العمال والموظفين، أثنوا كثيرا على إنجازات الرئيس عددها وشكروه على ذلك.

دام الاجتماع حوالي ساعتين من الزمن، وانتهى كالعادة بمأدبة غداء فاخر على شرف أعضاء مجلس الإدارة جميا.

غادر بعدها أعضاء المكتب متوجهين مباشرة إلى مكتبهم، وقد ساد في البداية صمت رهيب.

وبعد دقائق قال محمد بصوت عال: لا أعرف لماذا الجميع يثنى ويبارك ويشرك الرئيس، والجامعة في كل موسم تهوي للحضيض، وفي تدهور مستمر وتنحدر إلى أسفل السافلين، لا أحد يطالب بالإصلاح أو يذكر المشاكل المتعددة التي تفرق فيها الجامعة في مختلف الميادين، ثم أمسك برأسه بكلتا يديه وأخذ يضرها بخفة، الجميع يبارك ويثنى لا أحد ينتقد أو يكشف الحقائق لا أحد لا أحد يجرؤ على ذلك.

ثم قاطعه ياسين وهو يسرح لحيته بيده السوداء الكبيرة، ويخلل أصابعه السوداء الغليظة بين شعيراتها، ويفركها إلى الأسفل مرات متتالية، وببرودته المعتادة التي تخفي الكثير من الخبرة والمكر، هذا مجرد اجتماع لمجلس الإدارة لكشف نتائج الاستشارات القانونية ومنح الصفقات العمومية لمختلف المتعاملين، ونحن والنقابات حضرنا

فقط بصفتنا مراقبين وشركاء اجتماعيين، وأردف قائلاً في لهجة واعظ هذه المرة: نحن ليس لنا الحق في الاعتراض أو التدخل، لذلك وجب أن نساير الأغلبية حتى نبقى على وفاق مع الجميع.

أمين وهو يقف من مكانه في حماسة، ويتقدم نحو ياسين محدقاً مباشرةً في عينيه، وهو يفتحهما إلى أقصى حد حتى ظهر بؤبؤ عينيه الأخضر أمام جفنيه، الجميع يثنى ويصفق لا شيء سوى لتدوم مصالحهم الشخصية، ويكسرون رضا الرئيس ويحافظون على مناصبهم وامتيازاتهم، ولا يهمهم الطلبة والأساتذة والموظفين والعمال والجامعة بأكملها.

وأكملت نورة كلامه عن أي إنجازات يتكلمون؟ هؤلاء جميعاً صمّ بكم عي عن ما يحدث في الجامعة من فساد وتدھور كبير.

وتدخل حسين قائلاً وهو يبتسم كعادته دائماً ابتسامة استهزاء وسخريةً أن هذه الحماسة الزائدة لن تفيينا في شيء، أسلوني أنا الخبرير في التعامل مع المسؤولين والإدارة لسنوات طويلة، سواء وافقتم أو عارضتم لن يجدي ذلك نفعاً، فما يقوله الرئيس ينفذ دون أدنى نقاش، لذلك فلا فائدة من أن ندخل أنفسنا في دوامة صراع، لن تنتهي سوى بخسارتنا.

وبمجرد أن أنهى الكلام قفزت دلال كعادتها من مكانها، في خفة منقطعة النظير لتقف بجانب حسين مؤيدة له، وهي تتبجح بالكلام دون أن تتوقف عن مضغ العلقة التي لا تنزعها على الدوام، نعم خبرتنا الطويلة أكسبتنا الحنكة للتعامل مع المسؤولين والإدارة بذكاء، لتحقيق أكبر قدر من المكاسب دون الاصطدام أو الدخول معهم في صراع وهذا أنساب طريق.

واختلسَت زهيرة النظر إلى دلال في امتعاض قائلة: وما فائدة أن نمثل الطلبة إذن؟ وأين الوعود التي قطعناها لهم؟ إذا كنا سترضي المسؤولين والإدارة ليرضوا عنا، ونحقق فقط مكاسب شخصية لنا ولحاشيتنا؟

وأخيرا تدخل نذير بصوت خافت بعدما هدأ الجميع لبرهة من الزمن قائلًا: يجب أن ننهي هذا الجدال العقيم والأيام وحدها كفيلة بكشف المستور.

وبعدها ساد صمت رهيب لمدة طويلة، تخللتها بعض الوشوشات هنا وهناك، ثم تفرقوا في ثلاثة مجموعات، نذير وحالد كانوا أول المغادرين، ثم تبعهم حسين ودلال وياسين، بينما بقي محمد رفقة أمين وزهيرة ونورة داخل المكتب لبعض الوقت، كما اعتادوا أن يخرجوا دائمًا متآخرين بعد مغادرة الأعضاء الآخرين.

قام محمد في هدوء وأخذ يسير ببطء، بين باب المكتب والشباك المقابل للباب جيئة وذهابا، ثم توقف فجأة في منتصفه وهو يرفع يده مشيرا بسبابته عدة مرات، إني أحذركم من أعضاء المكتب السابق، يبدو أنهم لن يخرجوا عن صف الطاعة والولاء ومن زريبة القطيع، فإذا كانت لدينا أي خطة للتحرك أو العمل يجب أن لا نعلمهم بذلك، وأن نبقي ذلك سرا فقد يوشون بنا لصالح الإدارة أو النواب أو الرئيس.

رفع أمين كرسيه بظهره إلى الخلف حتى لامس الجدار وهو يدفعه بقدميه وقال: نعم هذا ما أردت أن أقوله أنا أيضا، وأظن أنهم سيكونون عالة علينا، بدلا من إعانتنا في استعادة حقوق الطلبة المضومة، ونفض الغبار عن الجامعة وإنقاذها ممن يخطفونها منذ سنوات.

زهيرة صحيح هؤلاء سيعطلون لنا الكثير من العمل، وسيفسدون الكثير من الخطط، وأظن أن أمثالهم كثيرين وسيشقون صف وحدة الطلاب، بين مطالب بحقه ومدافع عن كرامته، وبين واش ذليل ملقط للفتات وراتع للغلف مع القطيع.

نورة ستكون مرحلة أولية فقط، ومع مرور الوقت وانكشاف الحقائق سيتخلصون الجميع، ويجب أن يكون أول عمل لنا هو

كشف خبئهم وعمالتهم أمام الجميع حتى يتخلى عنهم الطلبة ويجدون أنفسهم محشورين في الزاوية وحيدين.

محمد وهو بهم بالجلوس في مكانه من جديد، هلرأيتم كيف شتتوا أفكارنا؟ فبدلاً من مناقشة مخرجات هذا الاجتماع الذي حضرناه، والتكلم عن هذه الصفقات الكبرى، الممنوحة تحت الطاولة لمؤسسات تتحكم بذلك منذ سنوات، والطالب الجامعي والأستاذ والموظف في هم وغم كبير، أدخلونا في جدال عقيم وهم من كان يفترض بهم الوقوف معنا يداً واحدة للدفاع عن الجميع، ثم جلس وضرب المكتب بقبضة يده، مثل هؤلاء الانتهازيين الذين يعملون فقط لتحقيق مصالحهم الضيقة، باستعمال المناصب التي كان يفترض بهم أن يدافعوا بها عن من وثقوا بهم، فهم سبب التمكين للفاسدين والطغاة في الاستمرار والتغطية عليهم، وتخدير الطلبة ليبقوا في سبات عميق، ثم تنهى بعمق وأضاف، هلرأيتم أن الجميع يثنى ويشكّر ويتودّد للرئيس؟ كلهم يعدون الإنجازات التي لا يراها غيرهم ويجدون عمل الرئيس، حتى نقابات الأساتذة والموظفين والعمال التي كان يفترض بها، الدفاع عن حقوق منسيها، والتطرق للمشاكل العويصة والسلبيات الكثيرة التي يتخطّطون فيها، والمطالبة بإصلاحها واقتراح الحلول التدريجية لها بدلاً من ذلك يجدون الرئيس هم أيضاً، لا شيء سوى لبعض ما يحصلون

عليه من فتات ويروها إنجازات عظيمة، بينما تتبع أغلب حقوقهم  
وهم في غفلة لا يشعرون.

أمين وهو يهض من مكانه: يجب أن نتحرى عن ملكية أغلب تلك  
المؤسسات، من سمير إن كانت لها علاقة بالأخطبוט الحاج إبراهيم؟

زهيرة نعم يجب أن نعلم كل صغيرة وكبيرة عن هذه الصفقات، التي  
تتم كل سنة بماليين، والطلبة يعانون الأمرين في أدق تفاصيلهم  
اليومية، فالكثير من الطلبة أصبحوا يتضورون جوعاً، نتيجة لرداءة  
الوجبات المقدمة على الدوام.

نورة هذا صحيح ولا تنسوا عديد المشاكل الأخرى، التي تتبخر فيها  
الجامعة بسبب سوء التسيير، من معاناة الطلبة اليومية في انتظار  
حافلات النقل الجامعي، فقد أخبرتني إحدى الطالبات تصاحب سائق  
حافلة متذمراً من ضغط العمل، أنه أخبرها سراً مهما قائلة: أن مالك  
الحافلات يؤجر على الورق خمسين حافلة لنقل الطلبة، لكنه في  
الواقع لا يستعمل منها إلا عشرون حافلة فقط، وهذا ما يخلق  
الاكتظاظ الدائم للطلاب، ويضيّع عليهم الكثير من الوقت في انتظار  
قدوم حافلة بعد أخرى، وهذا طبعاً بتواطؤ مدير الخدمات الجامعية  
وربما حتى الرئيس نفسه.

أمين: هذا يشبه ما يحدث في مؤسسة الحراسة الخاصة التي تتعاقد مع الجامعة، فقد سمعت ذات مرة أحد مستخدميها وأنا على بعد بعض الأمتار من غرفة الحراسة، يصرخ في وجه زميله قائلاً: أن العمل جبار وهم يقومون مقام خمسة وستة حرّاس، وبأن صاحب الشركة يصرح على الورق أنه يشغل ألفي حارس بينما في الواقع لا يشغل سوى ربع ذلك العدد فقط، وأنه يحصل على مبلغ يساوي عشرة أضعاف من الأجرة الزهيدة التي يسددها للحرّاس، وأنه يستغل المطعم الجامعي بالتواطؤ مع مديره ذلك الرجل الأصلع السمين، ليدعهم يتناولون الوجبات رفقة الطلبة، بدلاً من إطعامهم على حساب المؤسسة الخاصة التي تشغله.

وأضاف محمد على كلام أمين وهو يهض من جديد، ويوزع على زملائه نظرات تملأها الحيرة والدهشة والحسرة، قائلاً: أن الفساد لا يقف عند هذا الحد، لقد علمت أيضاً من أحد محاسبى الجامعة المتذمرين الذين لم يحصلوا على عمارات ورشاوي كغيره، أن الصفقات تفوز بها هذه المؤسسات نفسها منذ قدوم هذا الرئيس، الذي أزاح مؤسسات سابقة كانت تحترك الصفقات أيضاً في عهد الرئيس السابق، وأنها تدفع الكثير من العملات والرشاوي موزعة بين المسؤولين كل حسب مركزه، بينما ترمي بعض الفتات للموظفين البسطاء أمثاله،

وفي كثير من الأحيان لا يحصلون على شيء سوى التعب والعمل المضني، كما أخبرني أيضاً أنهم يضخمون الكثير من الفواتير، ويزيدون في أسعار أغلى التجهيزات والمواد التي تدخل المخازن، هذا بحجة خلق التوازن، وعدم وقوع اختلالات في ميزان المدفوعات، وأن تلك المبالغ المضافة تذهب لتمويلات أخرى يقررها الرئيس، لكنها في الحقيقة تقسم بينهم حيث يأخذ نصفها المسؤولين، والنصف الآخر يعود لحساب المؤسسة التي ضخت الفواتير، وواعدنـي بأنه سيقدم لي بعض النسخ من الفواتير التي يمتلكها سرا، إن أردت التحرك رفقة الطلبة في يوم ما.

زهيرة بنبرتها الهدئة الرصينة، لقد بلغ الفساد أوجه، ولا تنعوا أيضاً الفساد الأخلاقي لأغلب طلبات الإقامة، وما حادثة عودة الطالبات مخمورات في منتصف الليل بعيدة، وهي تتكرر كل أيام الأسبوع، وفساد عصابات الإدارة الذين يستغلونـهم، والفساد الدراسي وتواطؤ الكثير من رؤساء الأقسام والأساتذة في منح العلامات، ثم تهدت قائلة أطنـ أن الفساد يحيط بـنا من كل الجهات وإن لم تتحرك في الأيام القادمة فإن الجامعة ستغرق وينتهي الجميع.

في تلك الليلة ذهب سليم وصلاح إلى غرفة سمير في الطابق السفلي بنفس الجناح، واقتاداه بمزحة القبض على قائد المخابرات إلى غرفة

محمد، حيث أعجبته المزحة وكان يرفع رأسه مبتسمًا، وكأنه زعيم مخابرات حقيقي ألقى عليه القبض من طرف قوات العدو، ولم يتواجد سوى محمد وأمين في الغرفة، وقد انظم إليهما مؤخرًا نذير وخالد بعدهما تخلوا عن الانصياع إلى حسين ودلال وياسين، واقتنعوا أخيراً بأفكار محمد والمجموعة، وأنه حان وقت العمل على تغيير الأوضاع السائدة منذ سنين.

دخل سمير إلى الغرفة كعادته، واسترسل مباشرة في الكلام، فهو مهتر الشخصية، كان ثريثاراً كعادته ولا يتصف بالهدوء والرزانة، ويبدي رأيه في كل المواضيع، ويحب مخالطة الناس أيضاً، ويحشر أنفه في كل صغيرة وكبيرة، قال بصوت عالٍ، أعرف أنكم اشتقتם إلى معلوماتي المخبراتية التي لا تخطئ الهدف، وقد سبقتموني قبل أن آتياكم بنفسي بالخبر اليقين، ثم تبسم ضاحكاً وهو يتکئ بمؤخرة رأسه على أحد الوسادات التي وضعت على جانب السرير، وقال: الحاج إبراهيم الأخطبوط له سيقان تلتف في كل مكان ثم صمت.

وفي هذه الأثناء اقترب منه محمد ودنا نحوه حتى كاد أنفه يلتصق بأنفه، وأمسكه من كلتا ذراعيه ورفعه حتى يعتدل في الجلوس، ثم قال له بصوت هادئ: وهذا ما نريد أن نعرفه بالضبط، سنسمي لك كل

المؤسسات التي فازت بالصفقات، وأنت ستخبرنا إن كانت لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالحاج إبراهيم وعائلته ورفاقه.

أخرج أمين أحد الأوراق من جيده قائلاً: تفضل هذه جميع المؤسسات والشركات الفائزة بأغلب الصفقات.

أمسك سمير الورقة وقربها من أنفه، وراح يقرأ ما كتب فيه بصوت هجائي، تسمع منه فقط بعض الأحرف والكلمات، والبعض الآخر كانه رنين صوت مذيع قديم، ثم أثني ركبتيه ليجلس جلسة الخنساء كما يفعل دائما وهو يرفع تلك الورقة فوق ركبتيه وقال: سجلوا كل ما تسمعونه، أولاً مؤسسة الحكمة للتجهيزات المكتبية هي فرع من مؤسسة الاستيراد والتصدیر التي تمتلكها عائلة الحاج إبراهيم وإخوته، وتسيرها زوجته الأولى وأم أولاده، ومؤسسة السنابل الذهبية للتمويل بالمواد الغذائية ملك أيضا لنفس العائلة، ويسيرها أخوه الأصغر وتعتبر هي المؤسسة الأم لبقية الشركات الأخرى المتفرعة منها، التي جاءت بعدها واختصت في مجالات أخرى، وكذلك وكالة الإسراء للسياحة والإسفار تابعة للعائلة نفسها ويسيرها ابن أخته الكبرى، الذي لا يحمل نفس اللقب العائلي، حتى لا يثير الريبة والشك، فلا أحد يعلم أنه ابن أخته إلا القليل من أبناء المدينة، وبذلك يكون الحاج إبراهيم وعائلته قد سيطروا على أغلب الصفقات الكبرى، أما مقاولة

إعمار للبناء والتعمير فهي ملك لأحد مرافقيه الذي يختص في هذا المجال، ومؤسسة رائد للطباعة والإشهار فهي ملك لمرافقه الثاني، ومن المؤكد أن بقية المؤسسات الفائزة بالصفقات الأخرى ولا أعرف مالكيها، منحت لأشخاص هو من توسط لهم لدى الرئيس، مقابل عمولات ورشاوي لمختلف القائمين على ذلك.

سليم يا للهول إنه حقا كما قلت أخطبوط فأذرعه الطويلة تلتف علىأغلب الصفقات، وحتى إذا لم تكن المؤسسات تابعة لمجموعته، فهي قد تكون ملكا لأحد أصدقائه أو معارفه، لذلك هو يسيطر على كل صغيرة وكبيرة داخل الجامعة، ولا أحد يستطيع الوقوف في طريقه.

صلاح سمعت أيضاً أن له علاقات ممتازة مع الوزير، وأنه هو من يقوم بحماية الرئيس ويوفر له الدعم داخل الوزارة، لذلك الرئيس لا يتزعزع من منصبه ولا أحد يستطيع أن يحاسبه.

أمين فإذا ما حصل على شهادات جامعية عليا، وفاز بمقعد بالبرلمان سيصير إمبراطورا، وستزداد أذرعه في التمدد أكثر والالتفاف على كل ما يعترض طريقه، وسيسعى جاهدا للحصول على منصب وزير أو ربما يعمل على التدرج ليصير رئيس حكومة.

بَهْتُ مُحَمَّدٌ لِحُظَةٍ وَتَجْمَدَ بَصْرَهُ فِي اِتِّجَاهٍ وَاحِدٍ، مَمْسَكًا بِذَقْنِهِ ثُمَّ  
قَالَ فِي حِيرَةٍ وَتَسْأَلًا: لَمْ أَكُنْ أَعْرَفَ أَبْدًا أَنَّهُ بِهَذِهِ الْقُوَّةِ وَالْجَبْرُوتِ؟  
حَقًا إِنَّ الْمَالَ يَصْنَعُ الْمَعْجَزَاتِ، وَيَرْفَعُ مِنْ كُلِّ وَضْبِيعٍ، وَالْفَقْرَ يَهْدِمُ كُلِّ  
ذَوْ هَمَةٍ شَرِيفٍ.

مَرَتْ بَعْضُ الْأَسْابِيعِ سَادَ خَلَالَهَا هَدْوَهُ رَهِيبٌ، كَانُوا يَنْهَبُونَ  
لِلْدِرَاسَةِ فِي أَوْقَاتِهِ وَيَمْرُونَ بِالْمَطْعَمِ أَثْنَاءَ وَقْتِ الْوِجَبَاتِ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى  
غَرْفَتِهِمْ، وَنَادِرًا مَا يَلْتَقَوْنَ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَعْضَاءِ دَاخِلَ الْمَكْتَبِ، وَكَانُوا  
يَتَجْنِبُونَ الْخَوْضَ مَعْهُمْ فِي أَيِّ نِقَاشَاتٍ تَخَصُّ الْجَامِعَةِ، أَوْ مَا تَغْرِقُ  
فِيهِ مِنْ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تَزَدَّادُ حَدَّةً يَوْمًا بَعْدَ آخَرٍ، وَيُزِيدُ مَعَهَا تَذَمُّرُ أَغْلَبِ  
الْطَّلَبَةِ وَالْخَنَاقِيمِ وَانْقَادَتِهِمْ لِلْوَضْعِ الْمُتَعَفِّنِ السَّائِدِ فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ،  
لَكُنْهُمْ كَانُوا يَلْتَقَوْنَ سَرًا فِي غَرْفَةِ مُحَمَّدٍ بِالنَّسْبَةِ لِلْطَّلَبَةِ وَفِي غَرْفَةِ زَهِيرَةٍ  
بِالنَّسْبَةِ لِلْطَّالِبَاتِ، حِيثُ كَانَتْ زَهِيرَةٌ وَنُورَةٌ تَعْلَمَانِهِمَا بِكُلِّ الْمُسْتَجَدَاتِ  
وَالْتَّوْصِيَاتِ، الَّتِي تَلْقَاهَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَمِينٍ عِنْدَمَا يَنْفَرِدُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ  
دَاخِلَ مَدْرَجَاتِ وَقَاعَاتِ الْدِرَاسَةِ، وَعِنْدَمَا يَلْتَقَوْنَ أَيْضًا فِي مَكَانِهِمْ  
الْمُعْتَادِ فِي السَّاحَةِ الْمُقَابِلَةِ لِإِقَامَةِ الطَّالِبَاتِ.

وَأَخْدُوا يَعْقُدُونَ اجْتِمَاعَاتٍ سَرِيَّةً كَثِيرَةً فِي الغَرْفَةِ لِيَلَاءِ، وَيُؤْثِرُونَ أَنَّ  
يَعْقُدُوا هَذِهِ الْاجْتِمَاعَاتِ لِلْيَلَةِ الْخَمِيسِ آخرَ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ، إِنَّهُمْ طَلَبَةٌ  
شَابٌ يَفِيضُونَ نَضَارَةً وَيُحِبُّونَ الإِنْسَانِيَّةَ حَبًا حَارًا، وَقَدْ دَارَتْ بَيْنَهُمْ

عدة أحاديث حول الحاضر والمستقبل، والعلوم والأدب، والتسيير الإداري والعلمي، والإطعام والنقل والصفقات العمومية، والامتحانات ونتائجها الكارثية، ويتكلمون عامة عن كل ما يقود للتقدم ويؤدي إلى تحسين متطلبات الطالب، ويناقشون بعض مشكلات الساعة، ويتحدثون عن الإصلاحات الواجبة لتصحيح المسار العام للجامعة، ويحللون المشكلات لإيجاد الحلول المناسبة لها، ويتحدثون أيضاً عن النضالات الطلابية في الجامعات الأخرى، وقضايا النضال الطلابي التي لا تنتهي من أجل الحرية، وكان الطلبة الذين بدأوا ينضمون إليهم تدريجياً ويزدادون أكثر كل يوم يصغون إلى تلك النقاشات الساخنة في سكون، وكانت رغبتهم في التحرر من هذه المشاكل والزيانية الفاسدة التي تسيطر على حكم الجامعة، تزداد أمام أعينهم وضوها، وتصبح أقرب منازلاً من مداركهم وفهمهم يوماً بعد يوم.

ظل الوضع على حاله وكأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، إلى أن علقت النتائج الفصلية للساداسي الأول، وكانت تلك النتائج بمثابة الفتيل الذي بدأ يشعل بعض الاحتجاجات الفردية، وحتى الجماعية في بعض الأقسام والكليات، من الطلبة الذين قالوا أن النتائج المعلقة لا تعبر عن الحقيقة المطلقة، فالكثير من أوائل الدفعات لا يستحقون ذلك، والعلامات تمنع حسب مكانة الطالب ومدى قربه من الأستاذ

ورئيس القسم، فالحاج إبراهيم ومرافقيه الاثنين يأتون دائمًا في مقدمة دفعة قسم العلوم القانونية لكلية الحقوق والعلوم السياسية، وهناك من الطلبة من هو أجدر منهم ليكون في مقدمة الدفعة، فمحمد يأتي دائمًا ثانياً بعد الحاج إبراهيم رغم أنه يتتفوق عليه كثيراً في الالتزام بالحضور والذكاء وإنجاز البحوث، ونورة وأمين وزهيرة أيضًا الذين يأتون في مراتب متباينة ضمن قائمة العشرين الأوائل، ويجيئون أيضًا خلف الحاج إبراهيم ومرافقيه الآخرين، وهناك أيضًا ابنة أخي الأمين العام التي لا تحضر إلا نادراً، لكنها تأتي في المراتب الثلاثة الأولى لقسم العلوم الاجتماعية والإنسانية دومًا دون نقاش، وقد اشتكي بعض الطلبة النجاء من ذلك عدة مرات، وأودعوا عدة طعون في نتائج العلامات على مستوى أمانات الأقسام ومصالح التدريس، لكنهم لم يتلقوا أي ردود تذكر، ما عدا بعض الوعود الكاذبة بالنظر في ذلك، من طرف نائب المدير المكلف بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات الدكتور سليمان، الذي يستقبل وفوداً منهم ويختص غضبهم بمراؤغاته ووعوده الكاذبة تارة وبالتهديد والوعيد على إ حالة المحتجين منهم إلى مجالس التأديب تارة أخرى.

وعندما أغلقت كل السبل في طريق هؤلاء الطلبة، التجأوا إلى ممثليهم عبر مكتب منظمة الطلبة الأحرار، وأودعوا عديد الشكاوى

مطالبين من ممثلهم التحرك القانوني الفوري، لرفع هذا الظلم عنهم واستعادة حقوقهم، وفي هذه المرة قرر محمد وأعضاء المكتب أن يكتبوا بيان احتجاج للرئيس وترسل منه نسخ لنوابه والأمين العام، يشكون فيها في مدى مصداقية النتائج الفصلية، والتمييز الذي يتعرض له الطلبة داخل الحرم الجامعي، من طرف بعض الأساتذة ورؤساء الأقسام والمصالح الإدارية، ومحذرا من مغبة استمرار هذا الفعل والذي سيؤدي حتما إلى تزايد الاحتجاجات الطلابية، التي تطالب بأكثر شفافية للنتائج الدراسية، وعلقت نسخ من هذا البيان على لوحات الإعلانات وعلى جدران مكتب المنظمة، وفي مدخل المطعم وعلى باب الخروج.

وقد بدأ صدى مكتب المنظمة ينتشر بين الطلبة كالنار في الهشيم، وببدأ الطلبة يتحدثون عن هؤلاء المناضلين الذين يوزعون المنشورات وبتصدرهن البيانات المتالية، التي تنتقد بشدة وعنف إدارة الجامعة والطريقة التي تسير بها، واللاعدالة والإجحاف والظلم الذي يتعرض له أغلب الطلبة، بينما تستفيد القلة الخاصة من مزايا كثيرة لا تستحقها، وتتحدث عن وقفات احتجاجية وإضرابات قادمة، وتدعوا الطلبة إلى الاتحاد والالتفاف حول المنظمة الشرعية التي تمثلهم وتدافع عن حقوقهم.

واستشاط غضب بعض رؤساء الأقسام والمصالح الإدارية، وشرعوا يقولون أنهم مشاغبون، وحملوا تلك البيانات والمنشورات إلى رؤسائهم.

أما ثلة من الطلبة المؤيدن لمحمد والمتذمرين من الوضع السائد، فقرأوها في حماسة وقالوا أنهم يقولون الحقيقة، وأخذوا يتجمعون في بعض الغرف ليلاً، وجل حديثهم يدور عن كيفية مساعدة أعضاء المكتب، وتنظيم وقفات احتجاجية وإضرابات طلابية قانونية لاسترداد الحقوق.

لكن العديد من الطلبة الآخرين لم يبدوا الحماسة نفسها لتلك البيانات والمنشورات، وكانت الدراسة والحياة الجامعية المنكهة قد أرهقتهم وامتصت قواهم، وقالوا في نبرة لا مبالغة لن يجدي ذلك نفعا، فهل يمكن أن تنقذنا مثل هذه الأشياء.

ومع ذلك أحدثت البيانات والمنشورات اضطراباً وهيجاناً عظيمين، لبعض رؤساء الأقسام والمصالح الإدارية، ومن يسير في فلكهم، لكنها لم تحدث أي ردة فعل تذكر من بقية المسؤولين، واعتبروها طيش شباب ما فتئ أن يزول، أما الرئيس يبدو أنه لا يعرف عن الأمر شيء وأنه لا يهتم بمثل هذه الأمور، التي ألّفها من أعضاء المنظمة السابقين، وأنهم سرعان ما ينسون الأمور وتعود الحياة الجامعية لطبيعتها.

ازدحمت الغرفة وفاحت بقوة من أرجاءها، وببدأت تلفت الأنظار وتثير الفضول، وأخذت عشرات من أعين أعوان الأمن والحراسة والعمال والطلبة الواشين، الظانين ظن السوء تتفحص جدرانها بعناية كبيرة، وأجنحة الشائعات تحوم في اضطراب حولها والأعون والحراس يسعون جاهدين لاكتشاف ذلك الأمر الخفي، الذي أحسوه مختبئاً وراء جدران تلك الغرفة، وأن شيئاً ما يطبخ على نار هادئة، قد تفيف به القدر بين لحظة وأخرى، وفي بعض الأحيان يتلخصون ليلاً من تحت النوافذ وفي أروقة الأجنحة، ويسترقون السمع على غرف وتجمعات الطلاب، عليهم يحصلون على بعض المعلومات التي يطيرون بها على جناح السرعة إلى مسؤول الأمن والحراسة السيد عثمان، والذي لا يدخل رأي جهد في أن يوصلها على حين غرة لبقية المسؤولين، محذراً إياهم من مغبة احتجاجات وإضرابات طلابية قادمة قد تشن حركة الجامعة.

وفي إحدى الليالي بينما كان محمد وأمين وصلاح وسليم وخالد وندير مجتمعين، في الغرفة رفقة بعض الطلاب المؤيدین والداعمین لهم، طرق باب الغرفة بقوة عدة مرات، ظن الجميع أن أعوان الأمن والحراسة جاءوا ليتفقدوا الغرف، كما اعتادوا أن يفعلوا ذلك في دوريات رفقة مسؤول الجناح عمي بلقاسم، وأحياناً نادرة يأتي برفقتهم

مدير إقامة الطلبة السيد أيمن بنفسه، فتح سليم الباب حيث كان يقف، وقابلة طالبا أحمر الوجه منتفخ الوجنتين يتصلب عرقا، ثم قال بلهجة متقطعة لا تكاد تفهم من شدة أنفاسه المحتالية وهو يلهث، العديد من الطلبة أصيروا بالغشيان والدوار والقيء وهم في العيادة منبطحين ولا نعرف ما الذي أصابهم.

هب محمد من مكانه مفزوعا وهو في حيرة وتعجب، وقال ماذا تقول هل هذا صحيح؟ وأمسكه من يده وخرجما معا مسرعين، وسار خلفهم أيمن وبقية الطلبة الآخرين الذين كانوا معهم في الغرفة، وهم في طريقهم سمعوا صوت سيارات الإسعاف آتية من الطريق المحاذي للحرم الجامعي، نزلوا السالالم مسرعين يتتابعون مباشرة إلى عيادة الإقامة، التي كانت تقع أسفل الجناح أ، وكان في الباب تجمعاً لعدد كبير من الطلبة، اندفع محمد وبقية أعضاء المنظمة الطلابية وسط الحشد يشقونه، وقد أفسح لهم الطريق ليصلوا إلى غرفة العلاج، حيث كان عشرات الطلبة منبطحين في وسط الغرفة، التي امتلأت عن آخرها وتمدد آخرون في غرفة الانتظار، وأخرون استندوا إلى الحائط في الرواق، وكان الطبيب والممرض واقفين في حيرة من أمرهما لا يعرفان ماذا يفعلان.

اتجه محمد صوبهما قائلاً: ماذا أصابهما أيهما الطبيب؟

الطيب لقد كشفت عن أغلمهم وهم جميعا مصابون بنفس الأعراض: آلام في البطن والقيء والغثيان ودوار شديد، و هي أعراض تسمم غذائي بكل تأكيد، وبما أن العيادة لا تتوفر على الأدوية الازمة، والعدد الكافي من الأسرة والمستخدمين لتغطية هذا العدد الكبير من الطلبة، فإني أرسلت برقية إلى جهاز الحماية المدنية لتوفير سيارات إسعاف على جناح السرعة لنقلهم جميعا لمستشفى المدينة، وقد منحتم بعضا من الأقراص المهدئة في انتظار وصول سيارات الإسعاف.

محمد أصوات سيارات الإسعاف تقترب وأكيد ستصل عن قريب، لكن الشيء المخيف أن يصل الطلبة المصابين لعدد كبير؟

الطيب لحد الساعة وصل العدد لثلاثة وعشرين طالبا، وحسب تشخيصنا الأولى أنهم أصيبوا بتسوس غذائي جراء تناول طبق معكرونة، الذي طبخ لهم خصيصا بعد نفاذ طبق العدس في الوجبة الأساسية، بسبب تأخرهم في الذهاب للمطعم فهم جميعا من فريق كرة القدم الذي يخوض دورة كروية محلية خارج الجامعة وطيلة هذه الأيام يصلون دوما متأخرین.

وأخيرا وصلت سيارات الإسعاف ونزل منها أعوان الحماية المدنية بسرعة، وكان يرافقهم مجموعة من أعوان الأمن والحراسة ويتقدمهم المنسق العام السيد عثمان، كما وصل للتو أيضا مدير الإقامة

الجامعة نفسه برفقة رئيس الجناح عمي بلقاسم ومدير المطعم ذلك الرجل الأصلع السمين، وحمل المصابون تباعا في مجموعات إلى سيارات الإسعاف، وقد اضطروا لحمل كل أربعة مصابين في سيارة واحدة، وبالرغم من قدوم ثلاثة سيارات إسعاف كاملة، إلا أنها لم تكفي لحمل جميع المصابين دفعة واحدة، وحمل البقية في السيارات خاصة إلى المستشفى الواقع بوسط المدينة.

اكتظ المستشفى على غير العادة بعشرات الطلبة، الذين نقلوا على جناح السرعة في حالة يرثى لها، وبعد معاينتهم تقرر إجراء غسيل للمعدة على أقصى سرعة، ثم حقنوا بأدوية مضادة للتسمم ومسكنة للألام، وتقرر مبيتهم جميعا في المستشفى حتى تخف عنهم الأعراض نهائيا.

ولحق بهم عديد الطلبة الفضوليين بالإضافة إلى بعض المسؤولين، وبات المستشفى يغلي بمجموعات الطلبة المتواجدين بسبب هذه الحادثة التي نادرا جدا ما تحدث.

ومع نسمات الصباح الباكر تعافي الجميع وقرر الأطباء مغادرتهم المستشفى، وأن التقارير الطبية المفصلة بخصوص الحادثة سترسل بعد صدور جميع التحاليل إلى إدارة الجامعة.

وفي مساء ذلك اليوم تجمهر مئات الطلبة أمام مكتب المنظمة، مطالبين من ممثليهم التدخل لكشف نتائج التقارير الطبية والتحاليل للرأي العام في الحرم الجامعي، حال صدورها مباشرة ومحاسبة المتسببين في هذه الحادثة، التي لولا لطف الله لتحولت إلى كارثة، ومشوا في مجموعات يحثون الخطى في ضجيج خلال ساحات الحرم الجامعي، وكان جمهور أيضا من الطالبات يتضاهرن عند بوابة مدخل إقامة الطالبات، ثم تقدمن وانضممن لتلك المجموعات الأخرى من الطلاب إلى أن وصلوا إلى الساحة الرئيسية حيث تقع رئاسة الجامعة، ونياباتها والأمانة العامة، ثم احتشدوا على جانبها الأيمن أمام مكتب المنظمة الطلابية الحرة، وعند بلوغ الخبر أسماع أعضاء المكتب، بعد عودتهم من المستشفى، اتجه محمد وأمين ونذير وخالد وخمسة آخرون صوبهم مسرعين، وما إن وصلوا ذلك الحشد، حتى تسلاوا بينهم إلى أن وجدوا أنفسهم على عتبة باب المكتب، وفي مقدمة الجميع، فتح أمين باب المكتب وأحضر كرسيا خشبيا، وصعد محمد فوقه وصاح بصوت عال وقد اتجهت سائر الأنظار إليه، أيها الرفاق، أيها الرفاق وما فتئ أن تعللت أصوات من أماكن مختلفة هدوء؟ فانخفض الضجيج وساد صمت رهيب، والكل يتربّص ما سيقوله ممثليهم ورئيس المنظمة الطلابية الحرة، ثم كرر ذلك للمرة الثالثة وهو يقف على

أصابع قدميه على ذلك الكرسي الخشبي، أيمها الرفاق نحن نعلم ما الذي أتى بكماليوم ونحس بما تتأملون من أجله، ونحن لسنا نناضل من أجل حل مشكلة الإطعام وتحسين الوجبات فحسب، بل في سبيل العدالة للجميع داخل هذا الحرم الجامعي، تلك هي القضية الأساسية التي نعمل عليها بالتدريج، وليس مشكلة واحدة أو اثنتين، بل عديد المشاكل التي تتخطى فيها الجامعة، في مختلف الميادين، الميدان الاجتماعي والتعليمي الدراسي وحتى الثقافي والأخلاقي التربوي، ونحن منذ أن انتخبتمونا على رأس هذه المنظمة لتمثيلكم، ونحن نعمل بصمت على جمع الأدلة والبراهين التي تدين المذنبين، وكنا ننتظر اللحظة المناسبة لإسقاط هذا الظلم وإصلاح الأوضاع، فما عليكم إلا الوقوف بجانبنا والاستمرار في هذه الوقفات الاحتجاجية، في انتظار صدور نتائج التحقيقات بخصوص حادثة التسمم، وفي الوقت المناسب أيضا سنكشف عن القضايا الأكثر فسادا.

سقطت كلماته في قلب الحشد الذي تلقفها بلهفة فأثارت بينه هتافات حادة.

أنت على حق... أنت على حق...

قول حسن أيمها القائد... هو ذا محمد... هو ذا محمد...

واختلطت الأصوات بهتافات في إعصار من الضجيج، وما هي إلا لحظات حتى تجمع أعون الحراسة والأمن حول الساحة لكن عددهم كان ضئيلا مقارنة بالحشد الطلابي الذي أخذ يتزايد شيئا فشيئا.

وشق منسق الأمن السيد عثمان وعوني أمن وثلاثة حزّاس آخرون طريقهم، وسط الحشد متوجهين صوب محمد، وما إن وصل حتى خاطب محمد قائلا: أنت تعرف أنه يمنع التجمعات داخل الحرم الجامعي إلا بإذن من الإدارة.

محمد نحن نعرف ذلك جيدا، وهل تعرف أنت أيضا أنه من حقنا التجمع السلمي والاحتجاج والتنديد بما آلت إليه أوضاع الجامعة من فساد؟ ونحن من نمثل الطلبة ونعمل على تهدئة الأوضاع، حتى لا تتطور الأمور وتخرج عن مسارها السلمي المسموح به.

عثمان أكيد نحن نعول عليكم لتكونوا سندنا لنا في تهدئة الأوضاع، وعدم خروج الأمور عن السيطرة.

ثم تعالت هتافات من بين الحشد غادر واتركنا لحالنا، واشتدت تلك الأصوات حتى أصبح الحشد بكماله يرددوا بصوت واحد، فنظر إليه محمد قائلا: هيا غادر وسأهدا الأوضاع، ثم انسحب عثمان

منسق الأمن والحراسة وأعوانه وابتعدوا عن الحشد ووقفوا يراقبون  
من بعيد.

وترافق الطلاّبة من كل حدب وصوب وهم يلوحون بأذرعهم،  
ويحرضون بعضهم بعضاً بكلمات حادة وقاسية، حيث كان الاستياء  
والضغينة والتذمر كامناً في تلك الصدور المتعبة.

وعاود محمد الظهور فوق الكرسي الخشبي من جديد مخاطباً  
الحشد، أيها الرفاقاليوم سنعود جميعاً إلى غرفنا، وسننتظر صدور  
التحاليل والتقارير الطبية، وغداً صباحاً سنصدر بياناً بخصوص  
تطور الأحداث، وسنكمّل تجمّهرنا وتجمّعاتنا واحتتجاجاتنا لغاية  
محاسبة المتسبيّن، وإذا اضطربنا سنلجأ للإضراب العام غير آبهين،  
و سنطالب بالإصلاح الشامل.

كانت زهيرة نورة تقودان حشد الطالبات اللواتي وقفن على الجانب  
الأيسر من حشد الطلاب، ولحت زهيرة شجوباً شديداً في وجه محمد  
فتحرّكت إلى الإمام دون وعي، تشق لنفسها طريقاً خلال الازدحام  
الشديد، وتبعتها نورة ولم تقل عزيّمتها بل استمرت تشق طريقها  
بكتمها ومرفقها وهي تقترب ببطء تحذوها الرغبة الشديدة للوقوف  
بجانبه.

عندما أفرغ محمد ما في صدره من كلمات، ذات المعنى الكبير والمغزى الخطير، التي عرج ولخص فيها كل مشاكل الجامعة، طالباً من رفاقه التربث لغاية حصوله على بعض الأدلة الملموسة، حينها امتلكته رغبة جامحة في إلقاء قلبه إلى هؤلاء الطلبة، هذا القلب الممتلئ بأحلام العدالة.

ثم قال بصوت عال مبحوح، أيهما الرفاق عودوا إلى غرفكم وموعدنا غداً صباحاً في نفس هذا المكان، ثم نزل من على كرسيه ودخل مكتبه رفقة الأعضاء الآخرين، وطلب منهم عقد اجتماع مستعجل في الحين، بينما بدأ الحشد في التفرق ومغادرة الساحة المركزية.

التحق حسين ودلال وياسين ببقية أعضاء المنظمة الطلابية الحرة ودخلوا المكتب وعلى وجوههم نوع من الهلع والخوف، حيث قال حسين مخاطباً محمد مباشرة، ما الذي تفعلونه؟ ما هذا الهراء؟ هل تريدون إدخالنا في متاهة ليس لها نهاية؟

نظر إليه محمد نظرة حادة تنم على شدة من الغضب والازدراء، ورد عليه قائلاً: وهل جئتم لتقفوا معنا وتساندونا؟ أو لتكونوا محامين للإدارة والمذنبين؟

ثم التفت إليه أمين مخاطبا إياه وأين كنتم طيلة هذه الأيام؟  
الكوارث تتواли على الطلبة وأنتم في سبات عظيم؟ ظهرتم فقط حينما  
أراد الطلبة التحرك لاستعادة حقوقهم، وحماية أنفسهم وإنهاء هذه  
المعاناة التي دامت سنين؟

كشر حسين عن أبياته مبتسما راضيا عن دهائه وخبته، وقال: لا  
أنا لست ضد تحرك الطلبة؟ لكن ضد التصعيد والاحتجاج بهذه  
الطريقة؟

ثم خطف منه زميله ياسين الكلمة وهو يمشط لحيته بأصابعه  
السوداء الغليظة قائلاً: نحن فقط أردنا أن تكون مساعدينا سلمية  
كالعادة وأن نتجنب الصدامات مع الإدارة.

وقف نذير وهو ينظر إلى حسين ومن معه نظرة استغراب قائلاً:  
لقد تجاوزنا هذه المرحلة ودخلنا في طريق مسدود وسنواصل  
احتتجاجاتنا، ولا رجعة لنا حتى تحقيق كل الأهداف وإنها معاناة  
الطلبة في مختلف المجالات.

ثم تدخلت زهيرة ونوره معا في نفس الوقت هيا بحسب أن نعقد  
اجتماعاً، وتصدر بيان الإضراب الشامل والاعتصام الكامل بداية من  
الغد، وتلخيص المطالب الأساسية في عدة نقاط.

أمين نعم ليس هناك من الوقت الكثير يجب أن نسن البيان الآن، وأن نكتب الإشعار بالإضراب، وأن نلقي البيانات في كل مكان ونرسل نسخا للإدارة في أول الصباح.

خالد الوقت ضيق فلنبدأ اجتماعنا وصياغة البيان وإصدار الإشعار بالإضراب.

نورة نعم الوقت ضيق فلنبدأ سريعا.

دام الاجتماع قرابة الساعة صيغ خلاله بيان يطالب فيه ممثلو الطلبة بأربع نقاط أساسية.

أولا إصلاح المنظومة الدراسية برمتها وجعلها أكثر شفافية.

ثانيا إصلاح المنظومة الاجتماعية بتحسين الإطعام والإسكان والنقل للطلبة، وكشف حقيقة التسمم الغذائي ومعاقبة المتسببين فيه.

ثالثا تطبيق قوانين منح الصفقات العمومية ومعالجة الأخطاء السابقة، ومنح الصفقات للمؤسسات التي تخدم مصلحة الجامعة.

رابعا إصلاح المنظومة الأمنية الداخلية والحرص على مراعاة الأخلاق المجتمعية ومحاربة الفساد.

كما أصدروا إشعارا بالإضراب المفتوح والاعتصام في الساحة المركزية أمام مكتب المنظمة ورئاسة الجامعة لغاية تلبية جميع المطالب.

وفي صباح الغد اطلع طلبة الجامعة على البيان والإشعار بالإضراب اللذان علقا في أغلب الأماكن، وتفاجأت الإدارة أيضا بما يحدث، لكنها لم ترد ولم يصدر عنها أي بيانات رسمية، فالرئيس في مهمة رسمية في إحدى الجامعات الأجنبية خارج الوطن، وفي رحلة علاج أيضا فهو يداوي منذ زمن على مرض مزمن ألم بكليته في أحد أرقى المستشفيات بالخارج، ولم يصدر أيضا الدكتور سليمان نائبه للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات المكلف بخلافته مؤقتا أي ردود تذكر، وسط هذا الغليان الطلابي الذي يزداد يوما بعد يوم، ما عدا اجتماع طاري للأمين العام ونواب المدير ورئيس الديوان لرئاسة الجامعة ومنسق الأمن والحراسة كان سوريا للغاية ولم يصدر عنه أي قرارات رسمية.

ويبدو أن مناشير جديدة ظهرت في كل أرجاء الحرم الجامعي، فشرع الطلاب وحتى العمال والأساتذة يتهمون ويلغطون وكثرت الإشاعات، وأصبح حديث الساعة ما يحصل في الجامعة، من احتقان وتدمير واعتصامات، وظهر في المحيط الجامعي البعض من أعوان الأمن

والحراسة الذين لم يكونوا معروفيين من قبل، ويبدو أنهم من مناوي الليل، وقد انتشروا في عديد النقاط الحساسة وزوايا وأركان الجامعة، وكانوا لا ينفكون يراقبون ما يجري حولهم، ويطرحون الأسئلة على الطلاب، ويدسون أنوفهم في أمور الجميع على حد سواء، فيلفتون الأنظار إليهم إما بحدتهم الشديدة أو بفرض أنفسهم على الجميع.

بدأ الطلبة في التجمع منذ الصباح الباكر في الساحة المركزية، أين تقع رئاسة الجامعة والأمانة العامة وبقية النيابات، ومكتب المنظمة الطلابية الحرة أيضاً، وتعالت الأصوات بينهم وكان جلهم يطالب بالاعتصام المفتوح، بداية من اليوم وشن إضراب عام، وعدم مغادرة الساحة لغاية إيجاد حلول لجميع المطالب المعلنة في البيان، وقد حضر أمين والبقية باكرا أيضاً، لكن محمد تأخر ولم يأتي بعد، فقد توجه إلى موعد خارج أسوار الجامعة، بغية ملاقة شخصين اتصل به سابقاً، وأرسلا إليه خطاباً يخبرانه فيه أنهما سيسلمانه أشياء مهمة وسرية للغاية.

اتجه محمد بسرعة إلى وسط المدينة، إلى مقهى يقع بأحد الأزقة الضيقة العتيقة ومكث في أحد الزوايا، كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف صباحاً، ومرت ساعة من الزمن كانت دقائقها وثوانها تمر كأنها شهور، تخيل ورسم فيها عديد القصص والحوادث، فقد تخيل

أن من استدعاءه جماعة تابعة للإدارة، بغية تهديده وإخافته للتراجع عن ما يقوم به، وقد تخيل أيضاً جماعة أخرى تابعة للحاج إبراهيم ومؤسساته ت يريد إغرائه بالمال، وازدحم عقله بالتخيلات، وفي حدود التاسعة والنصف ظهر أخيراً الشخصان المجهولان اللذان كان ينتظرهما على أحمر من الجمر، وتنفس الصعداء وعادت الروح إلى وجهه الشاحب، أنهما المحاسب الذي أخبره سابقاً بكل التفاصيل عن الصفقات والاختلاسات، والممرض المساعد لطبيب العي الجامعي، وقد دخلا بسرعة، وقال المحاسب بسرعة البرق وهو يهب بالجلوس، لقد أحضرت لك كل الدلائل والبراهين التي تحتاجها، وأخرج من تحت معطفه ظرفاً أصفرَ كبيراً، وسحب منه مجموعة من الوثائق وأخذ يقسمها ويدها ترتعشان، ويمدها إلى محمد قائلاً: هذه نسخ من فواتير حقيقية مضخمة، وهذه الوثائق المحاسبية والمحزنة وهذه أيضاً تقارير عن كيفية إقصاء عديد المؤسسات المنافسة بطرق تعسفية، وكيفية منح الصفقات لنفس المؤسسات دون الالتزام بتطبيق القوانين الخاصة بالصفقات العمومية.

وفي نفس الوقت أخرج ذلك المرض ظرفاً آخر أبيض اللون من محفظته وسلمه لـ محمد قائلاً: وهذه نسخة من التحاليل الطبية لحالات التسمم الأخيرة، وكذلك نسخ من التقرير الطبي الرسمي كاملاً،

فأرجو أن لا يعلم أحد عن مصدر وصولها إليك، فقد يتسبب ذلك في طردنا من وظائفنا.

نظر محمد إليهم وارتسمت على محياه مزية من الابتسامة المبطنة بالحيرة والخوف والأمل، ثم قال أنا ممتن لكم على هذه المساعدة والخدمة، التي هي خدمة عظيمة لصالح الوطن، ولن يعرف أحد أبداً ما قدمتماه لنا من خدمة جليلة، ثم قام من مكانه وعائق كلاهما، وقال: الآن سأترككم لأن الزملاء بدأوا للتو الاعتصام والإضراب المفتوح بساحة الجامعة المركزية وعلى الالتحاق بهم بسرعة، أجدد شكري وامتناني لكم، ثم خرج مسرعاً وهو يقول سنتلقي بإذن الله.

عاد محمد مسرعاً وفي طريق عودته التقى بالأستاذ عز الدين والأستاذة حفيظة اللزان أحضرا له نسخاً متباعدة من محاضر مداولات آخر السنة الماضية، إحداها صدرت من طرف الأساتذة المداولين وهي الصحيحة، والثانية نسخاً من المداولات التي عدلتها الإدارة بعد ذلك ونشرت على أساسها النتائج النهائية، واتجه مباشرة إلى غرفته وخباً بأحكام تلك الأطرف، بعدها اطلع عليها في طريق عودته ونسخ عنها نسخاً أخرى، وذهب يسعى مباشرة إلى الساحة حيث فوجى بامتلائها عن آخرها بالمعتصمين، ويبدو أن دعوتهم للإضراب قد بلغت أسماع الجميع، وأنها لقت صدى كبير لدى الغالبية العظمى من

الطلبة، وشق طريقه وسطهم إلى أن وصل للمقدمة أمام باب مكتب المنظمة الطلابية، وصعد فوق ذلك الكرسي الخشبي أمام الباب، ثم صاح بأعلى صوته قائلاً: السلام عليكم أهلاً الرفاق.

رد الجميع بصوت واحد وعليكم السلام.

وأكمل قائلاً: مرحباً بكم أهلاً الزملاء، وأجدد شكري وامتناني لكم على حضوركم الكبير، في سبيل استعادة حرية الطالب وكرامته المهدورة، وما أردت أن أخبركم به وأدخل السعادة على قلوبكم، هو أنني تحصلت من مصدر خفي على نسخة من التحاليل والتقارير الطبية للتسمم، وكذلك حصلت أيضاً على نسخ من مختلف الفواتير، والعديد من الوثائق المحاسبية والمخزنية، وكذلك على تقارير عن كيفية إعداد الصفقات، وكيف منحت الصفقات لنفس المؤسسات دون الالتزام بتطبيق القوانين الخاصة بالصفقات العمومية، وأيضاً على محاضر للمداولات أولية وأخرى مزورة تلتها ضخمت فيها الكثير من علامات بعض الطلبة دون الآخرين، وكل هذه الأدلة القاطعة تدين العديد من التجاربين والمعتدين على حقوق الطالب، ولن نتراجع إلا بمحاسبتهم واسترجاع كرامته وحقوق الطلبة وإصلاح كل هذه المفاسد والاختلالات.

وتعالت الهمات وسط الحشود محمد... محمد... محمد... نحن  
معك... وراحت الهمات الحماسية تعاد من جديد... وتكررت كثيراً قبل  
أن يأخذ محمد الكلمة من جديد قائلاً: أهلاً الرفاق وكرر تلك الكلمة  
بحيوية واندفاع إننا نحن الطلبة الشباب، عماد هذه الأمة وحاضرها  
ومستقبلها، بفضلنا نحن تبني المدارس والجامعات، وتشيد المصانع  
والمستشفيات، وجل ما تقوم عليه ركائز البلاد، إننا القوة المطلقة التي  
تصنع للناس الخبز وتنشر العلم، وتنير الطرق وتهب لهم الملذات.  
وهتف طالب من وسط الحشود أصبت... وتعالت الهمات من  
جديد وخرج من بينها أصوات لن نتراجع... لن نتراجع...

ويبدو أن الطالبات تجمعن أيضاً في الساحة المقابلة لإقامة  
الطالبات، كانت الطالبات يصرخن ويتقدمن في موجة واحدة، متوجهين  
إلى الساحة المركزية حيث احتشد الطلاب منذ الصباح الباكر،  
وشققن طريقهن نحو الجدار الجانبي لمكتب المنظمة حيث يقف محمد  
وبقية أعضاء المكتب.

وكانت زهيرة ونورة من تقدّم كوكبة الطالبات، ولاحظت زهيرة أن  
وجه محمد ممتع وشفتيه ترتعسان، فراحت تشقد لها طريقاً عبر  
الجماهير حتى تكون قربه كما فعلت بالأمس.

شعر محمد عندما رأها بفرحة كبيرة فرحة النضال، وأحس بالرغبة في أن يلقي بقلبه إلى الطلبة المحتشدين جميرا.

وراحت الشمس ترتفع في قبعة السماء، وتبعد الدفء في النفوس التي كانت تظللها الغبطة بهذا اليوم الموعود، الذي كان الجميع يتمنى حدوثه ليخرج ما في جعبته من الألم وحسرة وعذاب، ويعبر عن ما في نفسه من تطلعات وأمال، وتعالت أصوات الطلبة التي كانت طيلة سنين طي الكتمان، وليس لها صدى أو مكان، وغدا لها رنين قوي يصدع في كل الآذان.

لم ينقض ذلك اليوم والليلة التي أعقبته، إلا بعد طول سهراد لا ينتهي، وحل اليوم التالي وهو يجر أذياله أكثر من سابقه، وكانت الجامعة برمتها تفور باضطراب شديد، والطلبة يتكتلون في جماعات صغيرة وهم يتمامسون ويلغطون ثم يتوجهون مباشرة إلى الساحة المركزية، لمواصلة الاعتصام والإضراب، وأعوان الأمن والحراسة يتنقلون في اضطراب شديد من مكان إلى آخر وهم يراقبونهم من بعيد، والشتائم ترتفع من هنا وهناك ترافقها بعض الشعارات الطلابية المتناولة وتندس بين طياتها بعض الاستهزاء والضحكات الخبيثة.

وفي مساء ذلك اليوم عاد الرئيس من سفره بالخارج، والذي دام أسبوعين كاملين، وقد أشيع في الأوساط الإدارية وبين مجموعة من

الأستاذة أنه كان في رحلة استجمام، أهديت له من مجمع الحاج إبراهيم للمؤسسات الاقتصادية، وانتشر الخبر في أوساط الطلبة كالنار في الهشيم، وأصبح حديث الساعة، وهذا ما زاد من الاحتقان والتذمر في الوسط الجامعي برمته، وبمجرد أن علم الرئيس بالإضراب والشلل العام الذي أصاب الجامعة، دعى مباشرة إلى اجتماع طارئ لمجلس الإدارة ذلك المساء، حضره نوابه والأمين العام ورئيس الديوان والدكتور بوعلام رئيس نقابة الأستاذة وعيي حمد رئيس نقابة الموظفين والعمال والمنسق العام للأمن والحراسة ومدير الخدمات الجامعية ومديرى إقامتى الذكور والإإناث.

أما محمد وبقية أعضاء المنظمة الطلابية الحرة فقد رفضوا المشاركة في المجتمع، إلى غاية تلبية جميع المطالب المرفوعة في البيان الأول، لكن الأعضاء السابقين حسين ودلال وياسين خالفوا زملاؤهم والتحقوا بالمجتمع.

وقد صدر بيان من رئاسة الجامعة، علق في كل الأماكن وأرسلت منه نسخاً إلى جميع الشركاء الاجتماعيين، حيث كشف في عدة نقاط عن نتائج التحقيق بخصوص التسمم الغذائي الأخير، حيث أدينت فيه خالتي صليحة المعروفة والمحبوبة في الوسط الطلابي ومعها عاملين بالمطعم، واتهموا بالقصير في عملية تنظيف مجموعة من أطباقي حمل

الطعام، وصدر قرار بتوقيفهم عن العمل إلى غاية مثولهم أمام مجلس التأديب، كما صدر أمر أيضاً بإقالة مدير المطعم ذلك الرجل الأصلع البدين، واتهم أيضاً بالقصیر في أداء مهامه كمسؤول، وعين خلفاً له ذلك الفقى الذي لم تنبت لحيته بعد، وكان مسؤولاً عن بيع التذاكر، كما أمهد المتظاهرين مدة ثلاثة أيام لإنهاء الإضراب العام، وفض الاعتصامات والجلوس لطاولة الحوار والعودة مقاعد الدراسة فوراً.

وقد جلب حسين ودلال وياسين نسخة من البيان، بعد مغادرتهم اجتماع مجلس الإدارة وعودتهم إلى مكتب المنظمة حيث يعتصم زملاؤهم ويحشد الطالب، وطلبو اجتماعاً طارئاً للمنظمة حالاً، وخلال ذلك الاجتماع وقعت مشاحنات كثيرة وجداولات بين محمد وأمين وزهرة ونورة وندير وخالد المعارضين لقرارات الإدارة من جهة، وحسين ودلال وياسين المؤيدین لها من جهة أخرى، وطلبت خلالها المجموعة التي حضرت الاجتماع مجلس الإدارة والمؤيدة لقراراتها من زملائهم الانصياع لأوامر الإدارة، وفض الاعتصامات وإنهاء الإضراب وإصدار بيان بذلك، لكن محمد ومجموعته رفضوا ذلك، وأكد أن كل التقارير الواردة من مجلس الإدارة والمثبتقة عن الاجتماع الأخير مزورة، وأنه يملك نسخ من التقارير الرسمية الصحيحة وسيقدمها في الوقت المناسب، وأنه يرفض نتائج التحقيق التي تهم زوراً خالي

صليحة رفقة عاملين آخرين بالمطعم بالتسبيب في التسمم الأخير، واتهموا ثلاثة بالتواطؤ مع الإدارة، وخيانة المواثيق والمبادئ التي بنيت عليها المنظمة الطلابية الحرة للدفاع عن حقوق الطالب بأمانة وشرف، وأنهم يبحثون فقط عن إرضاء الرئيس والإدارة، بحثاً عن مصالحهم الشخصية فقط، والدوس على المصلحة العامة للطلبة والجامعة، وقام بطردهم فوراً وإصدار بيان بالإجماع على سحب الثقة من نائبه حسين والعضوين الآخرين دلال وياسين، وعلق البيان فوراً بعد نهاية الاجتماع في كل مكان، ووزعت منشورات جديدة تتحدث عن كل ما حصل في هذا الاجتماع ومخرجاته.

خرج محمد من جديد أمام باب المكتب، وصعد على ذلك الكروسي الخشبي، وصرخ بصوت عالي، أيها الرفاق والزملاء أود أن أخبركم بأخر المستجدات التي وصلتنا في بيان صادر عن مجلس الإدارة ثم رفع أمامه نسخة من ذلك البيان، وأخذ يقرأ محتواها وبعدما أتمها، هز رأسه وهو يشمل تلك الحشود بنظراته قائلاً: هلرأيتم مدى الظلم والجور الذي يحكم هذه الجامعة؟ إنهم يريدون تلقيق لهم خطيرة لحالتي صليحة وعاملان آخران في المطعم وهم بريءون من ذلك، وأنتم جمیعاً تعلمون أنی أحوز على نسخ من التقارير الرسمية الصحيحة التي تفند قطعاً ما يزعمون.

وصاح طالب طويل أشقر ومجعد الشعر، إنهم لم يجدوا مخرجا  
سوى إلصاق التهم بالضعفاء، لن نسكت على هذا.

وارتفع صوت آخر من بين أولى الصفوف يقول: خالي صليحة  
بريئة... خالي صليحة بريئة، وارتفعت أصوات أخرى من الحشود تردد  
نفس العبارة، خالي صليحة... بريئة... خالي صليحة بريئة... ثم  
اجتمعت الأصوات جمِيعاً وأصبح صوتاً واحداً يزلزل أركان الجامعة.

وما إن خفت تلك الصيحات حتى عاد محمد لإكمال الخطاب، أيها  
الرفاق والزملاء أخبركم أيضاً بأننا سحبنا الثقة من بعض الأعضاء  
المتواطئين ضدنا، فلا تسيروا خلفهم ولا تسمعوا لهم نداء، حسين  
ودلال وياسين.

ثم ارتفع ذلك الصوت من جديد، وأعقبه تتبع أصوات أخرى من  
بين الحشود، يا حسين يا دلال يا ياسين الخائنين، ودوى صداتها من  
جديد.

أما حسين ودلال وياسين فقد تسللوا خارج أسوار الجامعة، والتقووا  
سرا مع الحاج إبراهيم، واستدعوا أيضاً الدكتور بوعلام رئيس نقابة  
الأساتذة، وعمي حمد رئيس نقابة الموظفين والعمال المهنيين، وعقدوا  
اجتماعاً سرياً في الفندق الجديد، الذي بني على أطراف المدينة، والذي

يمتلكه الحاج إبراهيم نفسه، وكان محور الاجتماع تكسير الإضراب وفض الاعتصامات بأي طريقة كانت ومهما كان الثمن، والتخلص من نسخ نتائج التحاليل والتقارير الطبية المتساوية في التسمم، وأيضاً من نسخ الفواتير الحقيقية المضخمة، وكل الوثائق المحاسبية والمخزنة وتقارير منح الصدقات للمؤسسات، وأيضاً محاضر المداولات الأولية والنهائية المزورة التي ضخت فيها علامات بعض الطلبة دون الآخرين، وكل الأدلة القاطعة والملموسة التي تدين الإدارة وبعض المؤسسات، التي بحوزة محمد وبعد أخذ وجذب خلص الجميع أنه لا سبييل لذلك، سوى بإغراء محمد ومن معه بأي طريقة للرجوع عن ما أقدموا عليه، والتستر عن ما يملكونه من دلائل وبراهين تدين الإدارة وكل المتواطئين.

بحث الحاج إبراهيم عن شخص مناسب ليرسله إلى محمد، فلم يجد سوى سمير ابن بلدته والذي يعرف أن له علاقة جيدة تربطه بمحمد وبقية أعضاء المنظمة، أرسل في طلبه من داخل الحشود المعتصمة في الساحة المركزية بواسطة أحد الطلاب، وبمجرد وصوله إلى الفندق وجد الحاج إبراهيم في انتظاره، حيث دعاه لتناول عشاء فاخر برفقته، ثم فاتحة بال موضوع وحمله رسالة شفوية إلى محمد، قائلاً: أخبره أنه إذا أوقف الإضراب فوراً، ودعا الطلبة لغض

الاعتصامات وجلس لطاولة الحوار مع الإدارة، سيحصل على سيارة فاخرة، وتأشيرية لاستكمال الدراسة في طور الماستر في أي بلد أجنبي يختاره، وسيستفيد زملاؤه أيضاً من نفس الامتياز، وله جائزة أخرى ستبقى مفاجأة بيسي وبينه، كما وعد سمير بأنه في حالة إقناع محمد بالعدول عن ما أقدم عليه وقبول هذا العرض، مع إحضار نسخ التقارير والفوایر التي يمتلكها سيحصل على نفس الجائزة أيضاً.

خرج سمير مسرعاً واتجه مباشرة صوب مكتب المنظمة، ليجد الحشود كما هي بل ازدادت اتساعاً لتشمل الطرق المؤدية للساحة المركزية أيضاً، وأغلقت أبواب المطعم والقاعات الدراسية والمدرجات أيضاً، والباب الرئيسي لرئاسة الجامعة حيث اضطرب الموظفون للدخول والمغادرة من الباب الخلفي، شق طريقه وسط تلك الحشود، وبمجرد وصوله طلب من محمد أن يتكلما على انفراد، دخلا الاثنين إلى المكتب، نظر سمير إلى محمد نظرة ممزوجة بالخوف ثم نطق قائلاً: أتعرف أين كنت؟

محمد لقد عبّرتك معنا في مقدمة الحشود، ثم اختفيت فجأة ولم ألاحظك؟

سمير نعم كنت كذلك لكن منذ ساعتين أرسل الحاج إبراهيم في طليبي، وذهبت لمقابلته في فندقه الجديد، وقد تكلمنا كثيراً لكنه أصر على أن أوصل إليك هذه الرسالة الشفوية والتي مفادها ما يلي:

إذا أوقفتم الإضراب فوراً ودعوتم الطلبة لفض الاعتصامات، وجلستم لطاولة الحوار مع الإدارة، ستحصلون جميعاً على سيارة فاخرة لكل عضو منكم، وتأشيرية لاستكمال الدراسة في طور الماستر في أي بلد أجنبي تختارونه، ولكل جائزة أخرى ستبقى مفاجأة بينك وبينه، إذا سلمته النسخ والتقارير والفوایر التي بحوزتك، ولم ترك أحداً يطلع عليها كما قال.

محمد وهو يقفز من مكانه ويختنق سمير من رقبته بقميصه، وبصرخ في وجهه بكل قوة، ماذا تقول؟ هذا الملعون يريد رشوة، آه... يريد أن يشتريني بالمال؟ أنا لا أبيع قضيتي قضية هؤلاء الحشود من الطلبة الذين يقفون خلفي، ثم أفلته واستدار بسرعة وضرب الطاولة التي كان يقف أمامها بقبضة يده اليمنى، أنا حر لا أشتري بالمال، أنا ابن مجاهد ضحي بالنفس والنفيس، من أجل كل ذرة تراب على هذه الأرض، وفي سبيل رقي وازدهار هذه البلاد، ثم استدار إليه مرة أخرى، وأخذ نفساً عميقاً وقال: عذر ليه أهيا الزميل وأخبره أنني وزملائي لسنا للبيع.

خرج سمير مسرعا دون أن ينبع ببنت شفه، وانطلق مباشرة إلى الحاج إبراهيم الذي كان ينتظره في فندقه الجديد.

دخل سمير مكتبه ووجهه تعلوه الحشمة والحياء مطأطئا رأسه، ثم قال دون أن ينظر مباشرة في عينيه، أنا آسف يا حاج إنه يرفض أي مساومة، وكل ما اقترحته عليه من مساعدات، كما أخبرني أنه لن يتراجع أبدا، عن مواصلة الإضراب والاحتجاجات والاعتصامات.

استشاط الحاج إبراهيم غضبا وقام من مكانه، وهو يضغط بكلتا قبضتيه على المكتب الخشبي الفاخر الذي كان يجلس عليه، ثم سأل سمير بغلظة وماذا يريد إذن؟ هل يريد أن يدمر الجامعة ويفسد كل ما بني خلال سنوات؟

سمير إنه يرفض أي حوار ويؤكد أنه لن يتراجع حتى توفد الوزارة لجنة تحقيق.

الحاج إبراهيم وهو يضحك بسخرية، ماذا يعرف هذا الفرج الصغير عن الوزارة ولجان التحقيق؟

ثم جلس في مكانه من جديد وحمل سماعة هاتفه وهو يقول سيندم ندما شديدا.

لقد اتصل بالرئيس وأخبره أنه قادم إليه في الحال، وأنه يحمل بعض الأخبار السيئة، ثم خرج بسرعة وأقل سمير في طريقه إلى الإقامة، ومر بسرعة لمكتب الرئيس الذي كان بانتظاره، رفقة الأمين العام ورئيس الديوان ونوابه جميعاً ومنسق الأمن وبقية أعضاء مجلس الإدارة، حيث دخل متخفياً من الباب الخلفي لرئاسة الجامعة.

عُقدَ اجتماعٌ طارئ احتدم فيه الكثير من النقاش والجدال كيف يمكن فض الاعتصامات، وإنهاء الإضراب بأي طريقة ممكنة وفي أسرع وقت.

وانتهى هذا الاجتماع المستعجل بإصدار بيان شديد اللهجة، يأمر الطلبة بالعودة إلى مقاعد الدراسة فوراً، ويتوعد المخالفين بالعقاب الشديد، كما أعطيت الأوامر لأعوان الأمن والحراسة للتدخل وفض الاعتصامات بالقوة بعد أربعة وعشرين ساعة من صدور هذا البيان، في حال لم ينصاع الطلبة المعتصمون والمضربون للأوامر الصادرة من مجلس الإدارة وفض الاعتصام.

أما محمد فصعد على الكرمي الخشبي كما اعتاد طيلة أيام الإضراب، ليعلوا الحشد وصاح قائلاً: أيها الرفاق والزملاء، أود أن أخبركم أن الاعتصامات ستستمر، والإضراب سيمتد ويطول دون رجعة، وغداً صباحاً سنصدر بياناً آخر، وسنرسل رسالة مطولة

ومفصلة ومدعومة البراهين والدلائل القاطعة والحجج الدامغة والتقارير الرسمية التي بحوزتنا، إلى الوزارة لإيفاد لجنة تحقيق، ولا عودة للدراسة حتى تتحقق مطالبنا.

وبعد صدور البيان من رئاسة الجامعة، أمر منسق الأمن والحراسة السيد عثمان بإيفاد الدعم من أعوان الأمن الحراسة من بقية الكليات إلى رئاسة الجامعة حيث الاعتصام، وقد أحاطوا بالحشد من كل مكان وحاصروه من كل الجهات، في انتظار نهاية المهلة المحددة بأربع وعشرين ساعة قبل تنفيذ فض الاعتصام بالقوة.

وفي صباح الغد تسلل أمين من بين تلك الحشود، وهو يحمل الرسالة الموجهة إلى الوزارة الوصية، والتي أرفقت بنسخ من جميع التقارير والبيانات التي أصدرت عن المنظمة الطلابية الحرة، خلال فترة الإضراب وأيام الاعتصامات، واتجه مسرعاً لمركز البريد ليودعه بالبريد السريع المضمون، ويعود متخفياً دون أن يلاحظه أعوان الأمن والحراسة.

وقبل انتهاء المهلة المحددة لفض الاعتصامات بالقوة وتفريق الحشود بسويعات، التقى سراً نائب الرئيس المكلف بالطوريين الأول والثاني والشهادات الدكتور سليمان، ونائب الرئيس لما بعد التدرج في الطور الثالث والتأهيل الجامعي البروفيسور جلال الدين، ونائبة

الرئيس للتعاون وال العلاقات الخارجية الدكتورة أحلام، ومنسق الأمن والحراسة السيد عثمان، في مكتب مدير الخدمات الجامعية السيد علي، حيث تسللوا الواحد تلو الآخر خفية، وفي غفلة أمر من الجميع ليعقدون اجتماعا سريا للغاية.

استهل الكلمة السيد عثمان منسق الأمن والحراسة قائلا: أود أن أخبركم أنها الزملاء أن المسألة خطيرة، وأنها تجاوزت الجميع وأننا لن نستطيع فعل شيء، ولن نستطيع إيقاف الإضراب، أو فض الاعتصامات المتواصلة بالقوة، كما أود أن أعلمكم أنه بلغني من مصدر سري موثوق، أن المنظمة الطلابية الحرة قد بعثت برسالة إلى الوزارة، محملة بكل الدلائل والبراهين القاطعة على تورط الرئيس وبعض المسؤولين الآخرين، ومجمع الحاج إبراهيم وبعض المؤسسات الأخرى في كل ما جرى، لذلك وجب أن ننأ أنفسنا عما حدث ويحدث، وأن نبراً ذمنا أمام الجميع، فيما ستصل لجان التحقيق على جناح السرعة.

وأيده الدكتور سليمان قائلا: نعم جميعنا نعرف ما حدث ويحدث، وقد أكرهنا على السكوت طيلة هذه المدة، ولم تكن لدينا القدرة على فعل شيء، فقد كان الرئيس إمبراطورا حقيقيا ومحميا من كل الجهات، بواسطة جاه وجبروت الحاج إبراهيم وسلطته الكبيرة، أما

اليوم وقد انكشفت كل الأعiemم، واتحد الطلبة في الوقوف ضدهم،  
فسقوطهم قريب ولم يبق لهم من أمل البقاء.

وخطفت الدكتورة أحالم الكلام قائلة: نعم، نعم إن ما تقوله صحيح، فكل السلطات والقرارات كانت مركزية، ولا تنفذ إلا بإمضاء موافقة الرئيس، ونحن ما كنا سوى مراقبين ومنفذين للقرارات الفوقية، ولا نستطيع التفوه بكلمة أو رفض أي أمر، ثم اعتدلت في مكانتها وهي تلتفت وتتنظر مباشرة في وجه البروفيسور جلال الدين الذي كان على جانبها الأيسر، نعم لم نكن سوى أداة تنفيذ في يد الرئيس، أليس كذلك أيها الزميل؟ ثم صمتت تنتظر ردّه.

وقال وهو يومئ برأسه ويوافقها الكلام، أكيد نحن لم يكن في يدنا أي سلطة قرار، ولم يترك لنا أي فرصة تذكر لممارسة صلاحياتنا الإدارية بالقبول أو الرفض، كان دكتاتوراً ويصدر الأوامر وينتظر التنفيذ، لذلك يجب أن نسرع وننقذ أنفسنا قبل فوات الأوان، السفينة تغرق وعليها السباحة إلى بر الأمان، ولتحمّل الريان الذيقادها إلى الغرق مسؤوليته كاملة، لم نكن مشاركين في القيادة، بل كنا مجرد ركاب وعمال منفذين.

ثم قال مدير الخدمات الجامعية السيد علي أنا أؤيدكم الرأي، لذلك يجب أن نصدر بياناً سورياً ونرسله للوزارة فوراً، ونبرأ ذمتنا قبل

فوات الأوان، أما أنت يا سيد عثمان عليك تجنب فض الاعتصامات بالقوة، وأن تعصي أوامره الفضة، وأن تأمر بمرافقة الاعتصامات بسلمية تامة، إلى غاية وصول لجان التحقيق الوزارية، وبذلك نقود الجامعة برمتها إلى بر الأمان.

صدر بيان سري من طرف تلك المجموعة، وأرسل في يوم الغد إلى الوزارة الوصية، كما لم ينفذ السيد عثمان منسق الأمن أمر الرئيس بفض الاعتصامات بالقوة، متحججاً في ذلك بعدم كفاية أعون الأمن والحراسة لتنفيذ الأمر، والخوف من تحول الاعتصامات السلمية إلى احتجاجات ومظاهرات عنيفة تأكل الأخضر واليابس، وطلب من الرئيس التريث في الأمر إلى وقت لاحق.

وبعد يومين من ذلك وصلت لجنة وزارية على جناح السرعة، وجاءت بهم من المطار سيارة سوداء اللون ذات زجاج معتم لا يرى من بداخليها، وكانت مرفقة بحرّاسة أمنية مشددة، وتكونت من أربعة رجال متباينين يرتدون بدلات كلاسيكية موحدة، ونظارات سوداء كأنهم غربان، لا يتكلمون كثيراً وأول ما وصلوا اجتمعوا أولاً بالرئيس ونوابه والأمين العام للجامعة ومجلس الإدارة، وفي المساء التقوا بممثلي الطلبة الذين يقودون الاعتصامات والإضراب المفتوح، واجتمعوا كذلك ببقية الشركاء الاجتماعيين من ممثلي نقابة الأساتذة ونقابة

الموظفين والعمال، وكانوا قليلي الكلام ولا ينطقون إلا بكلمات موجزة ومحددة، ويطرحون أسئلة متقطعة كأنهم مبرمجين مسبقاً على ذلك، ويدركون جيداً ماذا يقولون، وإلى أي نتيجة ستؤول الأمور ثم اختفوا بعد ذلك، ويقال أنهم قدموا في طائرة عمودية خاصة، أعادتهم إلى العاصمة في نفس الليلة.

بقيت الأوضاع على حالها لثلاثة أيام متتالية، لم يغادر خلالها الطلبة المضربون مكان اعتصامهم في الساحة المركزية، التي تتوسط رئاسة الجامعة والنيابات التي تتبعها والأمانة العامة للجامعة، وقد قسموا الحشد المضرب إلى مجموعتين تتناوب على الاعتصام بين الليل والنهار، وكان خلالها ممثلي الطلبة للمنظمة الطلابية الجرة لا يغادرون مكتبهم المتواجد أيضاً في نفس الساحة، حيث يقود محمد وزملاؤه الإضراب المفتوح، وينضمون الاحتجاجات المتتالية والاعتصام المتواصل، ما عدا الطلبات اللواتي كن ينضممن للاعتصام في الصباح، ويغادرن إلى غرفهن آخر المساء، وكانت زهرة ونورة من يقدن تحركهن جيئة وذهاباً، بين مكان الاعتصام حيث يحتشد المضربون وغرفهن بالإقامة.

وفي اليوم الرابع وصل بيان من الوزارة الوصية على جناح السرعة، حيث علق في جميع الأماكن العامة، وسلمت منه نسخ إلى الإدارة

المركزية والشركاء الاجتماعيين، وقد تسلم محمد لتوه نسخة أيضاً من البيان ليتابع ويركب على ذلك الكرسي الخشبي الذي اتخذه كمنبر ليخاطب الحشد ويعلمهم بكل المستجدات.

وصاح بأعلى صوته أهلاً للرافق، لقد وصل للتو هذا البيان الوزاري لنتائج التحقيقات، والذي سأله عليكم مباشرةً ما فيه من قرارات، ثم أخذ يقرأ بصوت عالي كل كلمة كتبت في ذلك البيان، تبعاً للتحقيق الوزاري الذي فتح في الأيام الأخيرة، ثم واصل كلامه إلى أن وصل إلى، فإن الوزير قرر ما يلي:

إقالة الرئيس المدير العام للجامعة، وتنحية الأمين العام فوراً ورئيس الديوان الجامعي.

فصاح الحشد جمِيعاً بصوت واحد، وتعالت من بينه أصوات من هنا وهناك تحيا العدل... تحيا العدل...

ثم أكمل كلامه قائلاً: توقيف كل من السادة مدير المالية والمحاسبة، ومدير المطعم، وحل مجلس الإدارة وكل اللجان المختصة في الصفقات العمومية وإحالتهم للتحقيق.

صاح الحشد جمِيعاً بصوت واحد مرة أخرى تحيا العدل... تحيا العدل...

وما إن خفت الأصوات حتى أكمل قائلاً: وتبثة عاملة النظافة  
بالمطعم الملقبة بخالي صليحة، والعاملين الآخرين معها بالمطعم أيضاً،  
إلغاء كل الصفقات العمومية التي تمت مؤخراً، وإسناد جميع عمليات  
التمويل الجامعي لمؤسسات تابعة للدولة، وارتفعت الأصوات أيضاً من  
جديد بشدة خالي صليحة، خالي صليحة.

وتتابع تلاوته للبيان كما تقرر ما يلي:

تعيين الدكتور سليمان لتسير مرحلة انتقالية بالنيابة في منصب  
الرئيس المدير العام.

تحويل البروفيسور جلال الدين لشغل منصب نائب الرئيس المكلف  
باتكوين العالى في الطورين الأول والثانى والشهادات.

إسناد منصب رئيس الديوان مؤقتاً للدكتورة أحلام، إضافة لبقائهما  
في منصبهما السابق كنائبة للرئيس مكلفة بالتعاون والعلاقات الخارجية.

تعيين الأستاذ عز الدين في منصب نائب الرئيس المكلف باتكوين  
العالى فيما بعد التدرج والبحث العلمي والتأهيل الجامعى.

Sad صمت رهيب تخللته بعض الوشوشات التي فرحت لتعيين  
الأستاذ عز الدين، بينما انتقدت بشدة بقية التعيينات.

ثم نزل محمد مسرعاً ودخل إلى المكتب وتبعه بقية أعضاء المنظمة، وعقدوا اجتماعاً طارئاً في الحال، للرد على بيان وقرارات الوزارة الوصية.

جلس محمد في مكتبه والتف ببقية حوله في حلقة مستديرة، ثم نطق محمد قائلاً: لقد سمعتم قرارات الوزارة الوصية بما رأيكم في ذلك؟

أمين أظن أن الوزارة قامت بالمطلوب وهو تنحية هذا الرئيس الفاسد، وألغت جميع الصفقات المشبوهة، وبرأت المتهمين الذين لفقت لهم تهم باطلة، وعاقبت المتسببين الآخرين في التدهور الذي وصلت له الجامعة، والذين سيطروا على مقدراتها طيلة سنين، وجعلوا الطالب في الحضيض ونشروا الظلم والضغينة والحقد بين مختلف فئات الحرם الجامعي برمتها، لكن هناك بعض القرارات الأخرى التي لم نكن نتوقعها، مثل تكليف تسيير المرحلة الانتقالية بأغلبية من حرس الرئيس القديم نفسه.

زهيرة نعم هذا ما كنت أود قوله أيضاً، كيف لنفس الوجوه التي كانت تأكل مع الراعي القديم، أن تحرس الزريبة اليوم، كيف للدكتور سليمان أن يسير مرحلة انتقالية ومنتظر منه التغيير المنشود، وهو نفسه من كان ينفذ أوامر الرئيس المخلوع؟ وكيف لنفس الأشخاص

أن يحولوا من هنا إلى هناك، ويتبادلون فقط الأدوار، ويمكن أن تكون الأشياء الإيجابية فقط هي إقالة الرئيس القديم، وتعيين الدكتور عز الدين على رأس نيابة الجامعة للطورين الأول والثاني وما بعد التدرج والشهادات، وتبرئة خالي صلحة وعاملي المطعم الآخرين.

نورة هذا صحيح فقرارات الوزارة متباعدة فيها الشيء الإيجابي الكثير، وفيها بعض الاحترازات كترك بعض المسؤولين القدامى وتغيير مراكزهم فقط لا غير.

خالد أظن أنه من الصعب أن يكون هناك تغييراً كلياً، وليس هناك من هم مؤهلون لتسخير المرحلة الانتقالية، فليس من السهل التسخير الإداري والدراسي والاجتماعي للحرم الجامعي، إلا إذا كان المسيرون أصحاب خبرة قديمة، فربما الوزارة لم تجد الأشخاص المؤهلين كلية لتسخير هذه المرحلة الانتقالية، فاضطرت للاستنجد ببعض الوجوه القديمة التي لم تتلطخ أيديها بالفساد، حسب ما تراه هي وما يتتوفر لديها من معلومات عنهم.

نذير أنا أرى أن أبرز القرارات كانت تلي مطالبنا، وهي إقالة الرئيس الفاسد ومدراء الخدمات الجامعية والمطعم والمالية والمحاسبة، وتبرئة العمال البسطاء خالي صلحة وعاملي المطعم، وأما التعيينات الجديدة فقد تكون للضرورة القصوى وسننتظر ربما سيكون تغييراً

حقيقياً للجامعة، ويفرح بها الجميع من طلبة وأساتذة وموظفيـن  
 وعمالـ.

محمد بعـدما استـمع للجمـيع وهو يـتفحـص البـيـان الـوزـارـي من  
 جـديـدـ، أـظـنـ أـنـيـ أـشـاطـرـكـمـ الرـأـيـ جـمـيعـاـ، وـالـآنـ يـجـبـ أنـ نـقـرـرـ هـلـ نـهـيـ  
 الإـضـرـابـ وـالـاعـتـصـامـ وـنـصـدـرـ بـيـانـاـ لـلـطـلـبـةـ فـيـ الـخـارـجـ وـنـطـلـبـ مـهـمـ  
 الـعـودـةـ لـمـقـاعـدـ الـدـرـاسـةـ، وـأـنـاـ سـنـوـاـصـلـ حـوارـنـاـ مـعـ الـإـدـارـةـ الـجـديـدـةـ  
 لـتـحـقـيقـ كـلـ مـاـ خـرـجـنـاـ مـنـ أـجـلـهـ، وـخـضـنـاـ هـذـاـ إـضـرـابـ الـطـوـيلـ وـهـذـهـ  
 الـاعـتـصـامـاتـ الـمـتـتـالـيـةـ لـتـحـقـيقـ رـفـاهـيـةـ الـطـالـبـ وـالـعـدـلـ الـمـنـشـودـ بـيـنـ  
 جـمـيعـ الـفـئـاتـ.

وـالـآنـ أـطـلـبـ مـنـكـمـ التـصـوـيـتـ فـمـنـ يـؤـيدـ إـنـهـاءـ الـاحـتـجـاجـاتـ وـالـإـضـرـابـ  
 يـرـفعـ يـدـهـ؟

رـفـعـ جـمـيعـ أـيـدـيـهـمـ بـمـاـ فـيـهـمـ مـحـمـدـ، ثـمـ قـالـ الـآنـ سـنـصـدـرـ بـيـانـاـ عـامـاـ  
 بـمـاـ حـدـثـ فـيـ هـذـاـ الـاجـتمـاعـ الطـارـئـ.

ثـمـ خـرـجـواـ جـمـيعـاـ وـوـقـفـواـ أـمـامـ بـاـبـ مـكـتبـ الـمـنـظـمةـ، فـيـ صـفـ وـاـحـدـ  
 مـقـابـلـيـنـ لـحـشـدـ الـطـلـابـ، وـصـعـدـ مـحـمـدـ عـلـىـ ذـلـكـ الـكـرـسيـ الـخـشـيـ وـهـوـ  
 يـحـلـ الـبـيـانـ الـذـيـ أـصـدـرـتـهـ الـمـنـظـمةـ فـيـ التـوـ، وـرـفـعـ رـأـسـهـ قـائـلاـ: بـصـوتـ  
 عـالـ أـهـمـاـ الـرـفـاقـ، أـهـمـاـ الـزـمـلـاءـ، إـنـكـمـ مـنـحـتـمـونـاـ ثـقـتـكـمـ لـنـكـونـ مـمـثـلـينـ

لكم، ونتكلم نيابة عنكم ونحافظ على مكتسباتكم وندافع عن حقوقكم، وقد عاهدناكم على أن نصون الأمانة ونحفظ العهود التي بيننا، والوعود التي قطعناها على أنفسنا، واليوم نحن في لحظة فاصلة، لتشكيل مستقبل أفضل للأجيال القادمة من الطلبة، وكل هذا بفضل الله، وبفضل جهودكم وتضحياتكم جميعا، وبعد الشدة يأتي الفرج، واليوم قد أتى اليسر بعد العسر، ونحن لن نبقي طوال أعمارنا في هذه الجامعة، وسيأتي من الأجيال القادمة من يخلفنا لا محالة، لذلك فنحن من سنترك بصمتنا لتلك الأجيال القادمة، ونحن من نزرع البذور ليقطف ثمارها من بعدها، إذا ما حافظوا على الاعتناء بتلك البذور، وليري الجميع حياة أكثر كرامة وعزما، ثم رفع تلك الورقة وقرها إلى أنفه قائلا: اليوم سأتو عليكم الرد الحاسم على قرارات الوزارة الأخيرة، إنه على ما يبدو فإن الوزارة الوصية قد لبست لنا أغلب مطالبنا التي كنا ننادي بها، والتي تمثلت في خلع الرئيس المدير العام من منصبه، وارتفعت أصوات الحشد من جديد إلى الجحيم... إلى الجحيم... وما إن خفت قليلا حتى أكمل قائلا: وإقالة الأمين العام وتوفيق مدير الخدمات الجامعية، وتعالت صيحات المحتجين من جديد إلى الجحيم... ومع ذبولها واصل قائلا: ومدير المطعم ومدير المالية والمحاسبة، وهؤلاء جميعا كانوا فاسدين، وإلغاء جميع

الصفقات التي تمت مؤخرا مع المؤسسات الفاسدة وأصحابها المتواطئين، وتبينة المتهمين ظلما وجورا من العمال، وفتح تحقيقات جديدة ومحايدة فيما حدث سابقا.

وكان كل ما ذكر شيئا إلا وتعالت أصوات الحناجر بكلمات نابية تمقتهم، وتمجد الطلاب بشعارات المنظمة الطلابية الحرة، واشتد الحماس إلى الذروة، وملأت الفرحة جل القلوب.

أيها الرفاق أظن أننا لن نستطيع البقاء طويلا على هذا الحال، وأن مطالبنا الأساسية قد تم تلبيتها، تبقى بعض الاحترازات على بعض التعينات الجديدة، سنواصل حوارنا مع الوزارة والإدارة من أجل معالجتها مستقبلا، ونظن أن ذلك حتمية مرحلة انتقالية، يمر بها كل تحول في شق الميادين.

ثم تعالت الأصوات بشعارات المنظمة، المجد والخلود للطلاب عماد الأمة، ومستقبل البلاد، واختلط بصيحات أخرى، من هنا وهناك تشم بعض المسؤولين السابقين، وما إن هدأت الأصوات حتى أكمل محمد خطابه قائلا: لذلك فقد قررنا بالإجماع إحياء الإضراب المفتوح فورا، والعودة إلى مقاعد الدراسة، وفض الاعتصامات والاحتجاجات، ومتابعة تنفيذ بقية المطالب مع الإدارة المعينة حديثا.

مر أسبوعين كاملين ساد خلالهما الكثير من الحذر، فقد ركן قادة الإضراب والاعتصامات إلى الراحة، للتخلص من الإرهاق والتعب الذي أنهك قواهم خلال الأيام الماضية، جراء تواصل الاعتصامات اليومية، والإضراب المفتوح لمدة أيام متتالية دون توقف، لكتهم كانوا يجتمعون مساء كل خميس واثنين بمكتب المنظمة، بعد عودتهم من مقاعد الدراسة لتقييم الوضع ودراسة المستجدات، في انتظار التنصيب الرسمي للرئيس الجديد وطاقمه النيابي والإداري، بينما كان الطلبة يتجمعون هنا وهناك أثناء ذهابهم للمطعم، وأحياناً في الساحات قبل الدخول لقاعات الدراسة وفي نادي الطلبة، ولا حديث لهم سوى عن التغييرات المنتظرة، وعن الجامعة الجديدة التي وعدت بها الوزارة، بينما كان أعوان الأمن والحراسة يراقبون الوضع من بعيد.

وفي بداية الأسبوع الثالث علق إعلان في شتى الأماكن والزوايا، يدعو الطلبة والأساتذة والموظفين وعمال الخدمة جميعاً، وكل مكونات الأسرة الجامعية إلى حضور حفل تنصيب الرئيس الجديد وطاقمه يوم الاثنين بقاعة المؤتمرات الكبرى.

مر اليومين الأولين من الأسبوع كأنهما شهرين، والجميع يتربّب بقلق شديد بزوع فجر يوم الاثنين لسماع ما سيقوله الرئيس المدير العام

الجديد، وهل سيظهر تغيير على ما سبق وما عهدوه، وكثير على إثرها الكلام واللغط والتآويلات، وأطلقت العديد من الشائعات.

وفي صباح يوم الاثنين استيقظ محمد باكرا كعادته، وأيقظ زملاؤه في الغرفة، واستعدوا لهذا اليوم المشهود، فلبسو أفحى الباس ونزلوا باكرا متوجهين حيث سيكون الحفل بقاعة المحاضرات الكبرى، وقد وجدوا زميلاً لهم ينتظرون أمام باب إقامة الطالبات، وتوجهوا في كوكبة وهم يسيرون إلى مكان تنصيب الرئيس الجديد، كانوا يتلقون التهاني والتبريك من طرف الطلبة الذين يصادفونهم أثناء الطريق، حتى من بعض العمال أيضاً واصفين إياهم بالأبطال.

وصاح سليم قائلاً: إن حفل التنصيب سينطلق متأخراً، ربما أثناء منتصف النهار، ما رأيكم أن نمكث بمكتب المنظمة لحين اقتراب التوقيت.

أمين فعلاً ما زال أكثر من ثلاثة ساعات كاملة على انطلاق حفل التنصيب، فلنتوجه لمكتب وننتظر أيضاً قدوم خالد وندير.

زهيرة وهي تبتسم ابتسامة سخرية بلهاء، صحيح فنحن الآن أصبحنا ذوي شأن كبير، ولا يصح لنا أن نصل باكرا، يجب أن ندخل خلف الجميع.

نورة نحن أبطال الجامعة الذين خلصنا الطلبة وحتى الأساتذة والعمال من جور وظلم الرئيس القديم، قالت ذلك وهي ترفع رأسها أمامها وتسير في أهبة وفي فخر شديد.

محمد نعم سذهب أولاً للمكتب فأنا أصبحت لا أطيق هذه الاحتفالات والتنصيبات، وطول الانتظار والتربق الذي يصحبهم خلال الساعات الأولى.

مكثوا في المكتب لبعض ساعات، والتحق بهم خالد ونذير أيضاً، وقبل انطلاق حفل التنصيب بنصف ساعة توجهوا لقاعة المحاضرات الكبرى التي كانت تبعد عن مكتبهم ببضعة أمتار، وما إن وطأت أقدامهم القاعة إلا ووجدوها ممتلئة عن آخرها.

تقدّم منهم رئيس الأمن الداخلي السيد عثمان الذي لم يزحزح من منصبه قائلاً: مرحباً بكم، تستطيعون التقدّم أسفل القاعة، فهناك مكانكم.

محمد شakra لك سيدى، ثم تقدّموا نحو مقدمة القاعة حيث ترك صفين بأكمله فارغاً لأعضاء المنظمة، وسار خلفه البقية متتابعين، وعند جلوسهم ارتفعت وسط الحضور بعض الصيحات، تهتف باسم

محمد وزملائه، ثم زادت الصيحات والتصفيقات وعمت القاعة أغاني وأهازيج طلابية تمجد نضال الطلاب.

وبعد لحظات التحق فيها أغلب المدعين من الطاقم الإداري والأساتذة والموظفين والعمال والطلبة إلى القاعة.

وصل الرئيس الجديد في أبهة وأناقة لم يعهد بهما من قبل عندما كان نائباً للرئيس السابق، وبرفقة النواب المعينين حديثاً، والأمين العام الجديد أيضاً، ومدير الخدمات الجامعية، والطاقم الإداري المعين حديثاً كذلك، حيث لم تختلف البروتوكولات والإجراءات عن ما كانت عليه سابقاً، بل على العكس يبدو أن الحراسة الأمنية قد شددت أكثر، حيث ظهر الكثير من أعوان الأمن والحراسة يحيطون بالرئيس ونوابه والأمين العام، ولا يترون مجالاً لأي كان أن يقترب منهم، حتى زملاؤهم الذين يريدون فقط تهنئتهم، وكان عثمان منسق الأمن والحراسة يوجههم ويسدي لهم الأوامر، وهو يراكمضون في كل صوب وحدب، وكذلك الحال لعبد الكريم المدير الفرعي للنشاطات الذي يشرف على مثل هذه المناسبات حيث يقفز هنا وهناك ويوجه الأوامر للعمال التابعين له، ولا يكاد يتوقف لحظة واحدة حتى للتقطاط أنفاسه، كما يبدو أن أولئك الرجال المتشابهين الذين قدموا في الأيام الماضية من الوزارة، قد عادوا من جديد وأنهم هم أنفسهم من

سيشرفون على تنصيب الرئيس ونوابه والأمين العام ومدير الخدمات الجامعية وبقية الطاقم الإداري، وكانوا آخر الوافدين على القاعة.

وعلى غير العادة المتوازنة، افتتح حفل التنصيب هذه المرة أحد أولئك الرجال القادمين من الوزارة والذي لم يكلف نفسه نزع نظارته السوداء قائلاً: بعد السلام على الجميع نود أن نشارككم اليوم حفل تنصيب الرئيس الجديد ونوابه لمختلف الميادين الأمين العام ومدير الخدمات الجامعية وبقية إطارات الطاقم الإداري المعينين حديثاً، ونشارككم أيضاً انطلاقاً الجامعة الجديدة التي حلم بها وأرادها كل منتسبي الحرم الجامعي من أساتذة وموظفين وعمال خدمة وطلبة، وقد تخلصنا جميعاً بفضل النضال الطلابي الحر من مخلفات عصابات الجامعة القديمة التي كانت تسير بالجامعة إلى الهاوية.

وتعالت الصيحات بين مدرجات القاعة وبعض الهتافات الطلابية التي كانت شعارات للإضراب السابق والاعتصامات، وما إن خفت الأصوات حتى أكمل قائلاً: ولا أطيل عليكم الخطاب فلنبدأ حفلنا في بهجة وسرور، وأقدم لكم سيادة الرئيس المدير العام للجامعة الدكتور سليمان وهو غني عن التعريف، وهو من منتسبي الجامعة المكافحين الذين عملوا طيلة سنوات بصدق وتفان، وكان من الأيدي النظيفة التي لم تتلطخ بالفساد والجرم والجور والظلم.

ودوت القاعة بالتصفيقات وارتفعت بعض الأهازيج الطلابية المعتادة التي تمجد العمل الطلابي الحر، وما إن هدأت الأصوات حتى قال؛ الرئيس الجديد السلام عليكم جميماً لكل منتسبي الجامعة فرداً فرداً، ما أود قوله في البداية هو تجديد شكري للوزارة الوصية التي منحتني الثقة لإنقاذ الجامعة من براثين الفساد التي كانت تأكلها، كما أجدد شكري وامتناني وتقديرني للعمل الجبار الذي قامت به منظمة الطلبة الأحرار التي استطاعت بفضل صبرها وعملها الدؤوب وسلميتها المتواصلة، أن تنقذ الجامعة من السقوط في الهاوية.

وأتعهد من منبري هذا منذ اليوم الأول، بأنني سأحدث التغيير المنشود من طرف الجميع، بتحسين رواتب الأساتذة والموظفين والعمال ورفع منحة الطلبة، والعمل على تغيير النظام الدراسي المعتمد ليكون أكثر شفافية، وكذلك تحسين الحياة الاجتماعية للطالب سواء من جانب الإطعام بزيادة كمية الوجبات وتحسين جودتها، وتوفير أكبر عدد من الحافلات بالتعاقد مع مؤسسات جديدة لتحسين جودة النقل وتحفيض معاناة الطالب من الانتظار، كما سأعمل على زيادة عدد المنح المملوكة للأساتذة والموظفين والطلبة للخارج، لإجراء التريصات الميدانية لتحسين المستوى، والمشاركة في التظاهرات العلمية والمؤتمرات الدولية، والتزم أيضاً

بتحسين الجوانب الترفهية والثقافية للطالب ببناء قاعتين رياضيتين جديدين بالإقامتين، لتكون متنفساً للطلبة، وفيما يخص الصفقات العمومية سنحاول قدر الإمكان التقليل من الاعتماد على الشركات الخاصة، والتحول نحو الاعتماد على المؤسسات العمومية، كما سنحاول فتح مخبزة على مستوى المطعم المركزي وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الخبز مطلع هذه السنة، وإذا أمكن الأمر الاعتماد على معهد البيولوجيا لإنتاج الكثير من أنواع الخضروات بالشراكة مع قطاع الفلاحة العمومي، وكل هذا يندرج في إطار التقليل من فتح الصفقات العمومية، وتخفيض التكاليف، ثم سكت برها وأكمل وأخيراً أود أن أطلب من جميع زملائي المسؤولين وإخوتي الموظفين والعمال وأبنائي الطلبة، مناداتي باسمي فقط بدلاً من الاسم المتعارف عليه منذ العهد البائد، السيد الرئيس المدير العام، ومناداتي فقط باسم الرئيس لا غير، واهتزت القاعة بالتصفيقات الحارة، ووقف الجميع وهو يصفقون لبعض دقائق، وزادت حماسة الحاضرين وارتقت صيحات،  
حياة الرئيس، حياة الرئيس.

وبعدما عاد الهدوء، ختم كلامه قائلاً؛ وأخيراً أشكر الجميع على ثقهم بي.

ثم استعاد ذلك الرجل القادم من الوزارة الكلمة من جديد، قائلاً؛  
وقد كانت قرارات الوزارة الوصية كما يلي:

تعيين الدكتور سليمان لتسير مرحلة انتقالية بالنيابة في منصب  
الرئيس المدير العام.

تحويل البروفيسور جلال الدين لشغل منصب نائب الرئيس المكلف  
بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات.

إسناد منصب رئيس الديوان مؤقتاً للدكتورة أحلام، إضافة لبقائهما  
في منصبيها السابق كنائبة للرئيس مكلفة بالتعاون والعلاقات الخارجية.

تعيين الأستاذ عز الدين في منصب نائب الرئيس المكلف بالتكنولوجيا  
العالي فيما بعد التدرج والبحث العلمي والتأهيل الجامعي.

تعيين مدام زكية مديرية للخدمات الجامعية.

تعيين السيد غلام مديراً للمطعم المركزي، إنه بائع التذاكر ذلك  
الفتى الصغير، الذي لم ينبع شاربه بعد، صاحب تسرية الشعر  
الغريبة.

وبقية التعيينات الإدارية الأخرى سيعلن عنها السيد الرئيس في  
المناسبات اللاحقة.

وكان في نفس الوقت كلما ذكر اسم معين جديد، إلا ونزل إلى مقدمة القاعة، ليستلم مقرر تعيينه الوزاري، الذي كان يقدمه لهم الثلاثة من الرجال المتشاهدين الآخرين القادمين من الوزارة، وبعد اكتمال تقديم مقررات التعيين للمسؤولين المعينين الجدد، قال: والآن سنقوم بتكرييم أعضاء منظمة الطلبة الأحرار، الذين أخرجوا الجامعة من الظلمات إلى النور، بفضل تصحياتهم والتزامهم وسلميّتهم طيلة مدة الإضراب والاحتجاجات، وتقدمت المجموعة تحت تصفيقات وأهازيج وشعارات الطلبة التي كانت تنبع من القاعة من بين الحضور، واصطفوا في مقدمة القاعة وتقدم أولئك الرجال المتشاهدين الذين يرتدون بدلات كلاسيكية متشاركة، وبدأوا في تسليمهم شهادات شرفية وتعليق أوسمة نحاسية على قمصانهم، وانطلقت وراءها بعض الاحتفالات والأهازيج وتلقي التهاني من الجميع، لكن أولئك الرجال المتشاهدين غادروا فوراً، ومن ورائهم الرئيس الجديد ونوابه والأمين العام وبقية المسؤولين.

وبعد هذا الحفل تواصلت الاحتفالات والأفراح والأهازيج، رقص خاللها الطلبة في الساحات والأقسام والغرف وفي كل مكان، وفتح نادي الطلبة على مصراعيه لبعض الأيام، قدمت فيه الحلويات مجاناً لكل الطلبة، كما تنوّعت وجبات الإطعام بين اللحوم الحمراء والبيضاء

والخضر والفواكه والعصائر والمشروبات، وزُينت قاعات الدراسة بالأعلام والرايات المختلفة الألوان، وأقيمت الحفلات الراقصة والمسابقات الرياضية خلال أيام عطل الأسبوع.

وبعد ما خف الحماس وهدأت الأصوات وانتهت الأفراح واللليالي الملاحة، عادت الدراسة إلى روتينها العادي، وقد شارف العام الدراسي على النهاية، فدعا الرئيس الجديد الدكتور سليمان جميع مكونات الأسرة الجامعية إلى حفل الختام، الذي يقام سنوياً بمناسبة اختتام السنة الجامعية، وقد أعلنت النتائج الدراسية، حيث علقت علامات الطلبة ومعدلاتهم الفصلية والسنوية بمصالح التدريس، لكن الشيء الملفت للانتباه أن لا شيء تغير، وبقيت دار لقمان على حالها، فرغم اختفاء الحاج إبراهيم طيلة هذه الفترة، وتواريه عن الأنظار، إلا أنه تصدر قائمة أعلى المعدلات في قسم الحقوق، وجاء على رأس الدفعة قبل محمد الذي عرف عنه النبوغ في القانون والعلوم الإدارية، ولم يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لبقية الأقسام، وهذا ما جعل الطلبة يستشيطون غضباً.

وقرر أعضاء منظمة الطالبية الحرة إقامة اعتصام أمام رئاسة الجامعة، تعبيراً عن رفضهم لتلك النتائج التي لم يتوقعها أحد، بعدما ظنوا أن الأوضاع ستتغير وقد ولّى عهد الجور وانتهى زمن الظلم للأبد.

وفي يوم الاعتصام تفاجأً محمد وزملاؤه بانتشار كثيف لأعوان الأمن والحراسة على غير العادة، وبمجرد أن وقفوا أمام رئاسة الجامعة، وهم يحملون بعض اللافتات التي كتبت عليها شعارات تندد بما حدث، وتذكر بوعود الرئيس الجديد، حتى التفت حولهم عشرات من أفراد الأمن والحراسة وظهر رئيسهم السيد عثمان فجأة دون سابق إنذار، ثم تقدم من محمد في خيلاء وعجرفة وهو يهز بكتفيه قائلاً: أنت تعرف أن القانون الداخلي يمنع التجمعات والاعتصامات غير المرخصة؟ لذلك عليكم التفرق ومغادرة الساحة فورا.

فأجفل محمد عينيه ونظر إليه بذهول، مندهشاً مما يسمعه ويراه، ثم تقدم من السيد عثمان حتى كاد أنفه يلتصق بأنفه وقال: لكننا نمثل الطلبة ومن حقنا التجمع والاعتصام متى نشاء وأينما نريد؟

رد عليه السيد عثمان وقد احمرت وجنتاه، قلت لك أنّ التجمعات والاعتصامات ممنوعة بأمر من السيد الرئيس، ومن له مطالب فهناك سبل قانونية، وأنت أعلم بها مني فلتحترموا السلم الإداري وتودعوا طعونكم لدى رؤساء الأقسام أولاً، لقد مضى وقت المرور مباشرة إلى السيد الرئيس، وإذا أردتم الاعتصام في أي مكان في الحرم الجامعي عليكم استظهار الترخيص من الأمين العام للجامعة أو من الرئيس

نفسه، لذلك عليكم مغادرة الساحة فورا، قبل أن نستعمل القوة لتفريقكم.

تقدّم أمين وحال بينهما وأمسك يد صديقه بإحدى يديه، ووضع اليد الثانية على كتفه، وكأنه يريد أن يهدى الأوضاع ويمتص غضب محمد وقال: يبدو أنه قد سنت قوانين جديدة لا نعرفها لخنق الحريات.

أدرك محمد أنه سيعرض نفسه وزملاؤه لمخاطر جمة، واستدار نحو زملائه منكسر الصوت قائلاً: فلننガدر إلى المكتب، ثم التفت إلى عثمان قائلاً: ستندمون على أفعالكم عاجلاً أو آجلاً.

عثمان ليست أفعالنا إنها أوامر الرئيس وجهازه الإداري الذي باركتتم تعينه بأنفسكم، أما نحن أعوان الأمن فإننا مجرد منفذين لأوامر الرئيس، ونسهر على تنفيذ القانون وبسط الأمن وإنهاء كل مظاهر الفوضى.

تمعن محمد فيه النظر ولم ينبع ببنت شفة وبرح المكان، رفقة بقية أعضاء المنظمة واتجهوا مباشرة إلى المكتب، وبمجرد أن وطأت أقدامهم المكتب، صاح أمين قائلاً: ما هذا الهراء هل عدنا للخلف بدلاً من التقدم للأمام؟

وقالت نورة وهي معننة التفكير: أظن أن الأوضاع ستتسوء، ونحن الآن هم المستهدفوون لأننا مركز قوة الطلبة، لذلك علينا توخي الحذر وعدم التصادم مع أعيوان الأمن والحراسة وأن نتجنبهم حتى نفهم الأمر.

برقت عيني محمد وهو يراقب نورة ويحك ذقنه بسبابته، ثم قال يجب أن نصدر بيانا فورا، للتنديد بما يحصل من تصييق على الحريات، أما بخصوص المشكلة نفسها سنودع الطعون لدى رؤساء الأقسام.

وصاح نذير قائلا اكتبوا البيان ببساطة حتى تستطيعي البغال أيضا أن يفهموه؟

وقالت زهيرة متهيدة بصوت مسموع، أظن أن الأوضاع ستتسوء وما آت أعظم، لكننا يجب أن نتحرجي أيضا من الأستاذ عز الدين فهو المسؤول الأول عن الجانب الدراسي في الجامعة، ثم استدارت وحملقت في الجميع، أليس كذلك؟

خالد لقد عهدناه رجل ذو سمعة وأخلاق، أتمنى أن لا يغيره منصب النائب الذي عين فيه؟

وحتى صلاح من خلفه قائلًا: أظن أنه علينا التروي وانتظار خطاب الرئيس في الحفل الختامي، فنحن لم نتعافى بعد من ثورة طلابية أنهكت قوانا فلننتظر.

سليم لا تنسوا أيضًا أننا على أبواب ختام السنة الجامعية، وجميع الطلبة قد خارت قواهم، ولا ينتظرون سوى إعلان العطلة السنوية ليعودوا لمنازلهم ويأخذوا قسطاً من الراحة.

فقال نذير متمهلاً: علينا التريث ومراقبة الوضع أولاً، يبدو أن الكثير من الأشياء قد تغيرت.

وأجاب محمد في كابة، نعم صحيح إن ما تقولونه عين الصواب، يجب أن نترى حتى نسمع خطاب الرئيس الجديد ونرى توجهاته، وفي نفس الوقت نودع الطعون ونحاول الاستفسار عن الأمر من الأستاذ عز الدين، ونؤجل أي تحرك طلابي إلى بداية السنة القادمة.

وقبل يومين من الحفل الختامي استجمعوا قواهم وذهبوا إلى الأستاذ عز الدين نائب الرئيس للتكوين العالي والشهادات، وقد فتح لهم الأبواب واستقبلهم دون أي بروتوكولات، فهم طلبته الأعزاء، وبعد ما هنؤوه بمنصبه الذي عين فيه، عبروا له عن عدم رضاهم وأغلب الطلبة أيضًا عن النتائج السنوية الدراسية الأخيرة، وكان ردّه بأن هذه

النتائج كانت معدة مسبقاً، قبل أن يستلم مهامه على رأس النيابة، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيء حيال ذلك.

وفي يوم الحفل الختامي كانت الاستعدادات قد بدأت صباحاً على قدم وساق كالعادة، ويبدو أن لا شيء تغير عن العهد السابق، فالسيد عبد الكريم يجري في كل صوب وحذب، والسيد عثمان رئيس مصلحة الأمن والحراسة يسدي التعليمات الصارمة، لأعوان الأمن والحراسة الذين ينتشرون في كل مكان، وأغلب الأساتذة والإداريين والعمال قد بدأوا يتواجدون على القاعة باكرا ليضفروا بمقعد يجعلهم على مقربة من الرئيس، ولم يختفي أو يتغير أي مظهر من تلك المظاهر المعهودة عن الفترة السابقة، وبمجرد وصول تلك السيارة السوداء المعتمة التي تحمل الرئيس، اصطف بقية المسؤولين من عمداء للكليات ورؤساء للأقسام ومدراء فرعين للإدارة على جانبي مدخل القاعة، لينزل الرئيس مرفوقاً بالأمين العام، ورئيسة ديوانه ونائبه ويتبعه بقية نوابه، وأخذ في مصافحة المستقبلين إلى أن ولج إلى داخل القاعة في هيلمان كبير، وتقدم رفقة كوكبة من المسؤولين الذين تبعوه، وجلسوا في أول القاعة بالمكان المخصص للرئيس وضيوفه وكبار المسؤولين من الأمين العام ورئيس الديوان والتواب والمدراء الفرعيين.

وافتتح مقدم الحفل السيد عبد الكريم المدير الفرعى للنشاطات الثقافية والرياضية الحفل بالترحيب بسيادة الرئيس وكل المسؤولين ثم دعاهم مباشرة لإلقاء كلمة، فنهض الرئيس وتقدم إلى المنصة وهو يحمل مجموعة من الأوراق المهدأة مسبقاً ووضعها أمامه، وقال: السلام عليكم جميعاً، أجدد ترحبي بضيوفنا الكرام كل باسمه وحسب مقامه، نحن اليوم في ختام السنة الجامعية، التي تميزت هذه السنة بالوقفة الطلابية الحرة التي أخرجت الجامعة من عهد الاستبداد إلى النور، وبفضل ذلك ستشهد الجامعة قفزة نوعية بانفتاحها على محيطها الخارجي، وتطورها على المستوى الداخلي، وقد سطرنا برنامجاً ثرياً ستلمسون نتائجه في القريب العاجل، بداية من السنة الجامعية القادمة، وسأذكر لكم بإيجاز أهم النقاط فيه.

أولاً: سنفتح مسابقة للالتحاق بأعوان الأمن والحراسة خلال هذه العطلة الصيفية وقبل بداية العطلة الإدارية، ليكونوا جاهزين مع بداية السنة الجامعية الجديدة، لتغطية النقص الواضح في عدد أعوان الأمن والحراسة وتكتيف تغطية بعض النقاط السوداء على مستوى الحرم الجامعي.

ثانياً: سنسن قوانين جديدة فيما يخص الترشح لعضوية نقابات الأساتذة والعمال والمنظمات الطلابية والهيئات الاجتماعية، لتماشي مع الظروف الراهنة التي تشهدها البلاد.

ثالثاً: العمل على تقليل فواتير التعاقد مع مؤسسات خارج المحيط الجامعي وتشجيع كل ما يمكننا من ذلك.

رابعاً: منع التجمعات والاعتصامات داخل الحرم الجامعي إلا بتخفيض من السيد الأمين العام للجامعة أو الرئيس.

خامساً: وضع شروط صارمة وجديدة للذين يودون الترشح للحصول على ترخيصات ميدانية قصيرة المدى أو المشاركة في التظاهرات والمؤتمرات العلمية بالخارج، من أجل الحفاظ على المال العام ومنع التلاعبات.

ثم رفع رأسه وتتابع قائلاً: هذه أهم النقاط التي سنعمل عليها بجد في أقرب الآجال وفي الأخير أبارك لكل الطلبة الناجحين وأتمنى لكم عطلة موافقة وسعيدة، ثم دوت القاعة بالتصفيقات الحارة حتى أن أغلب من في القاعة وقفوا وهم يفعلون ذلك من شدة الحماس.

وتواصل الحفل كالمعتاد حيث ألقى الأمين العام ورئيسة الديوان الجديدة أيضاً كلمة، وكرم الطلبة المتفوقين، وتعالت الأناشيد والأغاني في مختلف اللحظات واختتمت السنة الجامعية.

التقى محمد وأمين وزهيره ونوره وبرفقتهم صلاح وسليم هذه المرة في الساحة المقابلة لإقامة الطالبات، وركبوا معاً حافلة نقل الطلبة إلى وسط المدينة، ومن ثم استقلوا حافلة النقل الجماعي عائدين إلى البلدة، وقد خيم الصمت والسكون عليهم طيلة الرحلة، فالجميع أنهكهم التعب جراء تتابع الأحداث بين الاعتصامات المتالية والامتحانات والإضراب، بالإضافة إلى صدمة النتائج غير المتوقعة، وبقاء أغلب الأشياء على حالها، بل ازدادت سوءاً أكثر من ذي قبل، فقرر الجميع الركون إلى الراحة وعدم الخوض في أي شيء حتى تتضح بعض الأمور مع بداية السنة القادمة.

بدأت العطلة الصيفية التي ست-dom أكثر من ثلاثة أشهر بحرارة تلحف الأجساد، خاصة وأن البلدة ذات مناخ شبه صحراوي ويغلب عليه في أغلب أيام الموسم الحر، مما يجعل سكان البلدة يتميزون عن غيرهم بعادات خاصة بهم، فيخرج أغلبهم في الصباح الباكر لقضاء حاجاته ويعود سريعاً قبل الظهيرة للقليلولة، حيث لا مفر لهم من الشمس المحرقة سوى المكوث ببيوتهم طيلة بقية النهار، ثم ما يلبثوا

أن يبدأوا في الخروج من جحورهم بعد غروب الشمس، حيث تمتلي الأزقة وتشتد الحركة في الشوارع وتكتظ المقاهي بالساهرين الذين يبقون لساعات متأخرة جداً من الليل فالقرية على بساطها لا يجد أهلها من ملجاً لتمضية أوقات فراغهم سوى بلعب الورق والدومينو وبعض الألعاب الشعبية التي يمارسها شيوخ القرية.

كان محمد كأقرانه من شباب القرية الجامعيين لا ينهض باكراً إلا نادراً، ويبقى في فراشه لوقت متأخر من النهار وإذا ما حدث وإن صحي صباحاً فيخرج من منزله ليلتقي أصدقاءه ياسين وسليم وصلاح ويدتهبون سوياً إلى وسط المدينة في جولة صباحية، لقضاء بعض حاجياتهم ثم يعودون قبل الظيرة إلى بيوتهم للقيلولة، ويلتقون عادة في المساء بعد المغرب بدار الشباب الواقعة على أطراف الحي حيث يقطن محمد، حيث تخلوا عن موقعهم القديم مقى النجمة بوسط المدينة، وكانت لا تحمل في طياتها للشباب سوى الاسم، كانت مجرد جدران مبنية وفي إحدى قاعاتها الفسيحة نصب طاولة مهترئة لتنس الطاولة وفي جنبها مقهى شبابي لا يوفر إلا القهوة والشاي ونوع وحيد من المشروبات الغازية، وأحجار الدومينو ولعبة الأوراق، ولا يحمل من برامج تنشيط الشباب سوى ما كتب في أوراق مجدولة علقت بمدخله في لوحة الإعلانات، والتي لم يحدث أن استبدلت منذ سنوات وقد

اهترأت وتغير لونها، من شدة تراكم الغبار، وانتشار أعشاش العنكبوت.

كانوا يلتقطون مساءً هناك ويمضون وقتهم بين لعب تنس الطاولة، ولعب الدومينو أو الأوراق، وأحياناً يبقون يتسامرون حول الجامعة وما حدث وما يمكن أن يحدث في السنة القادمة، وفي آخر السهر يتفرقون فكان سليم وصلاح يعودان معاً إلى الحي العتيق حيث يسكنان، بينما يتجه محمد وأمين في نفس الاتجاه فمحمد يقطن بنفس الحي بينما يسكن أمين في الحي المجاور له من الشرق، وفي طريقهما قبل العودة لمنزلهما، كانا يمران على حي العمارات حيث تقطن زهيرة ونورة والذي يقع بين حيي محمد وأمين ويعتبر جزءاً من حي محمد، ويجلسان تحت شجرة الصفصاف كما اعتادوا سابقاً وأحياناً يبقيان لوقت متأخر جداً بعد منتصف الليل، وكانت نورة تطل برأسها من الشباك وأحياناً ترمي بعض الرسائل وبطاقات المعايدة لأمين الذي يلتقطها سريعاً دون أن يلمحه أحد، ففي هذا الوقت المتأخر من الليل تخف الحركة ويدب السكون، أما محمد كان لا يرى من زهيرة سوى بعض النظارات القليلة جداً حينما تطل عليه، وهي تقوم بغلق النافذة أو ردها فيحظى بنظرة وابتسامة وأحياناً إشارة بيدها تجعله يطير فرحاً وينسى كل همومه.

وفي أحد الليالي بينما كان محمد جالساً لوحده تحت شجرة الصفصاف وقد تصادفت تلك الليلة مع عيد ميلاده، أطلت زهرة من نافذتها وأشارت إليه بيدها أن يتقدم نحوها، فنهض سريعاً وفي لمح البصر كان واقفاً تحت رأسها، فرمي لها كيساً مزركش الألوان فخطفه محمد مباشرةً وعاد لمكانه تحت شجرة الصفصاف، ثم فتح ذلك الكيس ليتفاجأ بما فيه، إنها المرة الأولى في حياته التي يتلقى فيها هدية بمناسبة عيد ميلاده، إنه دب أحمر صغير وبطاقة معايدة تحمل أحلى عبارات التهاني وتنبياتها له بطول العمر ورسالة أيضاً فتحها ليقرأها كانت تقول فيها:

إلى الإنسان الذي صبر على كبرائي طيلة هذه السنين، إلى الإنسان الذي بقي إلى جنبي في كل الظروف، وبعد ما كنت متربدة وخائفة طيلة هذه السنين، فبمجرد أن عاشرتك وكانت قريبة منك اكتشفت أنك الإنسان الوحيد الذي يستحق أن يفوز بقلبي، وأن أمنحه ثقتي، لذلك أردت أن أقول لك بمناسبة عيد ميلادك أنني أحبك، وسأكون لك وحدك، وسأبقى إلى جنبك إلى آخر العمر، فهنيئاً لك بقلبي الذي أتمنى أن تحافظ عليه وتصونه، كما أقول لك لا تحمل هماً لما يحدث في الدراسة، فلتensi وتفكر فقط في مستقبلنا فلم يبق لنا سوى عام واحد ونتخرج ودمنا لبعضنا.

لم يصدق محمد ما قرأت عيناه، واجتاحه شعور بالفرح وغمرته سعادة لم يحسها من قبل، وكأنه يطير في الأفق البعيد، ثم قام وعاد إلى غرفته وقرأ تلك الرسالة وأعاد قراءتها عشرات المرات وكان يحتضن ذلك الدب dob الأحمر الصغير ويغدقه بالقبلات أيضاً، ولم ينم وتغفو عيناه إلا مع تباشير الفجر.

وفي مساء يوم الغد بعدما التقى بأصدقائه بدار الشباب كعادتهم، انزوى بأمين جانباً وأخبره أن زهيرة أخيراً أصبحت له، وأنها صرحت له بحاجها وأنها ستكون إلى جانبه دائماً وإلى الأبد.

اعتبرت أمين فرحة كبيرة بما سمع من محمد وعانقه بشدة لكنه لم يخبر البقية بالتفاصيل سوى أنه قال لهم كلمة واحدة وأخيراً زهيرة أصبحت لـ محمد، وعبر الجميع عن فرحتهم أيضاً دون أن يسألوه عن التفاصيل، ومرت تلك الليلة كأنها عيد وكانت مشروبات السهرة على حساب محمد، وبعد عودته رفقة أمين مرا كما يفعلان كل ليلة على مكانهم المفضل شجرة الصفصاف، وجلسا سوياً تحتها وكل منهما يراقب شباك حبيبته عسى أن يحظى بطلة أو إشارة تشحن عواطفه وتملاً قلبه فرحاً، وسهراً طويلاً إلى بعد منتصف الليل وهما يتسامران معاً، وكان قلب كل منهما يخفق كلما اشتعلت أو انطفأت الأنوار أو تحركت ستائر الشبابيك.

مرت أيام العطلة على هذا الروتين بين جولات التسوق صباحاً والليلة وسط النهار والنهار في دار الشباب مساءً والجلوس تحت شجرة الصفصاف ليلاً، ما عدا أسبوع قضى فيه أمين بعض الأيام على شاطئ البحر رفقة عائلته، بينما لم يغادر البقية البلدة طيلة الصيف.

ومع العودة مقاعد الدراسة لاحظ الجميع أن أعداد أعوان الأمن والحراسة قد ازدادت بشكل مهول، وأنهم أصبحوا يرون وجوهاً كثيرة لم يألفوها طيلة السنوات الماضية، فقد أصبحت تحركات الطلبة مراقبة من كل جهة، حتى أنهم يسمعون ليلاً صوت نعال دوريات من أعوان الأمن والحراسة يتجلوون في أروقة الأجنحة ويراقبون كل صغيرة وكبيرة، وأثناء إعادة تسجيل الطلبة لاحظوا أيضاً أن مصالح التدريس والأقسام قد ملأت أيضاً بأعوان الأمن والحراسة في كل ركن وزاوية، وكانوا يقحمون أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة، حتى موظفي الإدارة لم يسلموا من تدخلاتهم المستمرة في أبسط الأشياء وضاقوا بهم ذرعاً، لكنهم لا يستطيعون التفوّه بأي كلمة إيهما أوامر الرئيس التي أصدرها مؤخراً بعدما وظف ألفي عون أمن وحراسة في ظرف وجيز خلال العطلة الصيفية الأخيرة، ويبدو أنه لا زال هناك المزيد من مسابقات التوظيف لمناصب الأمن والحراسة.

وقد لاحظ الطلبة أيضا هذه السنة زيادة الطوايير خلال التسجيلات الأولية وإعادة التسجيل لطلبات السنوات الأخرى، وتذمروا من الأوضاع التي أصبحت أصعب من قبل، ومع التقدم في الدروس علقت إعلانات كثيرة تقول بأن الرئيس قد حل مكاتب الطلبة، وأنه نزع عنهم الاعتماد وأنه سيصدر في القريب العاجل قوانين وشروط جديدة للترشح في المنظمات الطلابية، وستجرى انتخابات مسبقة لاختيار ممثلي الطلبة، وأن كل ذلك يهدف حسب بيان الرئيس إلى إعادة إنجاح هذه المرحلة الانتقالية، وتنظيم صفوف الطلبة وبسط الأمن والأمان في الحرم الجامعي.

تفاجأ محمد وزملاؤه بهذه القرارات المفاجئة التي اتخذها رئيس الجامعة، وقرروا أن يجتمعوا سريعا للرد على ذلك في بيان مستعجل يرفضون فيه كل ما صدر أثناء العطلة من قرارات وأوامر، واتجهوا إلى المكتب بغية عقد اجتماع طارئ ليridوا على تلك القرارات الأخيرة التي صدرت عن الرئيس، وبينما هم يناقشون هذه المستجدات دق باب المكتب بقوة، فتح أمين الباب وإذا به السيد عثمان رئيس مصلحة الأمن والحراسة، وبرفقته مجموعة كبيرة من الأعوان والحراس، فدخل مباشرة دون سابق إنذار وتبعته تلك المجموعة ثم قال بصوت خشن وحازم: ألم تقرأوا الإعلانات المعلقة في كل مكان؟ جميع

المنظمات الطلابية قد حلت بقرار رئاسي، وبذلك أتينا لنتسلم منكم  
أختام المنظمة ومفاتيح المكتب، كما نود أن نعلمكم أيضاً أن  
الجمعيات ممنوعة في أي مكان إلا بإذن وتصريح مسبق من الأمين  
العام للجامعة.

محمد ما هذا الهراء؟ إنها قرارات مفاجئة ولم نكن ندرى بها، حتى  
نرد عليها في وقتها؟

أمين لقد باغتونا ونحن في غفلة من أمرنا في العطلة الصيفية، ولم  
نعرف أبداً بما يجري وما يخطط له؟

السيد عثمان إنها القوانين الداخلية الجديدة التي أصدرها الرئيس  
الجديد، وما علينا سوى تطبيقها، وما عليكم سوى الامتثال إليها، وإذا  
كانت لكم اعترافات فما عليكم سوى تدوينها في طعون إلى الأمين العام  
وانتظار الردود، قال ذلك بسخرية واستهزاء.

نورة لقد فاجأتنا كل هذه القرارات دفعة واحدة، وخاصة مسألة  
حل المنظمات الطلابية وإجراء انتخابات مسبقة لاختيار ممثلي  
الطلبة، وبشروط وقوانين جديدة سنته الإدارة نفسها؟

ندير كنا ننتظر التغيير للأفضل لكننا نرى أن التغيير سيكون  
للأسوأ.

السيد عثمان نحن لا دخل لنا في كل ذلك، مهمانا فقط تطبيق  
القوانين الداخلية والقرارات التي تصدر عن الرئيس ونوابه والأمين  
العام وبقية المسؤولين، لذلك أرجوا أن تسلمونا الأختام الخاصة  
 بالمنظمة ومفاتيح المكتب وأن تغادروا سريعا.

زهيرة ما عسانا أن نفعل علينا الاستجابة للأوامر وعدم تعريض  
أنفسنا لمشاكل جمة، قد تؤثر على دراستنا وحياتنا الجامعية، ولا أحد  
سيخسر سوانا.

نهض محمد وهو في دهشة وحيرة مما يسمع ويرى، وقام بتحرير  
محضر لما يجري ثم قام بتسليم أختام المنظمة ومفاتيح المكتب إلى  
السيد عثمان رئيس مصلحة الأمن والحراسة، وأمر زملاؤه بمغادرة  
المكتب فورا.

وهم يهمون بالخروج نطق السيد عثمان قائلا: لا تنسوا أن  
الاجتماعات السرية والاعتصامات والتجمعات غير المرخصة هي  
ممنوعة أيضا، وتعرض أصحابها للعقوبات صارمة.

خالد بتسدق وتكبر نعرف ذلك، فلا داعي لأن تسمعوا هذه النغمة  
في كل دقيقة.  
وغادروا معا في كتلة واحدة.

محمد لا سبيل لنا لاللتقاء معا إلا الغرفة ليلا أو المكتبة نهارا، دون أن نثير الشبهة، فأكيد أننا س تكون مراقبين بجواصيس تلتقط كل كلماتنا وحركاتنا لتوصلها للإدارة.

أمين يبدو أنهم أخذوا العبرة مما حدث العام الماضي وأرادوا خنق كل تحركات الطلبة وتخويفهم.

نذير لقد استغلوا العطلة الصيفية وغياب الطلبة تماما ليفعلوا ما فعلوه.

زهيرة علينا الحذر والتربيت حتى نرى الشروط الجديدة للترشح للمنظمات الطلابية التي سيفصح عنها الرئيس.

نورة أظن أنهم سيخبطونها هذه المرة على مقاس من يناسهم مثل حسين ودلال وياسين.

محمد نعم علينا الحذر الشديد والتربيت، نحن في عامنا الأخير للتخرج فمن المؤكد أن لا نضيع تعب السنين.

مرت الأيام والأسابيع والشهور تغيرت فيها الأوضاع العامة في الجامعة للأسواء، فقد ازدادت الطوابير من أجل الطعام، لحصول الطالب على كوب حليب في فطور الصباح، وفي وجبات الغداء والعشاء لأجل حصول الطالب عادة على طبق عدس أو لوبيا لا يغنى ولا يسمن

من جوع، أو كسكسي خلال أيام عطل الأسبوع، كما أن الأوضاع الدراسية قد ساءت أكثر، وزادت المحسوبية والتفرقة بين الطلاب، وازدحمت محطة الحافلات بمئات الطلبة وهم ينتظرون قدوم حافلات النقل الجامعي، ومنع الطلبة من الحصول على منح دراسية خارج البلاد بحجة عدم توفر السيولة، وكان الإداره أرادت أن تعاقب الطلبة على الإضراب الذي شنوه العام الماضي لتخلص الجامعة من براثين الفساد، بدلاً من مكافأتهم على ما قاموا به، وانتشر أعنوان الأمن والحراسة في كل ركن وزاوية يراقبون كل صغيرة وكبيرة، مما زرع الرعب والخوف في قلوب ونفوس أغلب الطلبة، وأصبحوا يرفضون التحرك والمشاركة في أي نوع من الاحتجاجات أو الاعتصامات أو الدخول في أي إضرابات، وهذا ما زاد من تسلط الإداره وجبروتها وتدخلها في كل صغيرة وكبيرة، وخفقت الطالب وجعلته يسير في دوامة مبرمجه حسب أهواءها، لا يفكر سوى في الدراسة أو الظرف بطبق الأكل أو اللهو بين الجنسين في الحفلات التي أصبحت تقام كل نهاية أسبوع.

انتصف العام الدراسي وأخيراً أفرج الرئيس عن شروط الترشح للمنظمات الطلابية.

وقد علقت الإعلانات في شقى أرجاء الحرم الجامعي، في الساحة المركزية وفي جدران المطعم وفي مداخل أجنبية غرف الإقامة.

كان محمد وزملاؤه في الغرفة، عندما قدم سمير إلهم مهرولا، وأخبرهم بنشر شروط الترشح لتمثيل الطلبة في المنظمات التي حلها الرئيس آنفا، فخرجوا سوية وفي باب الجناح وجدوا الإعلان معلقا، تهد أمين بعمق وأخذ يقرأ بصوت مرتفع:

إن الرئيس المدير العام للجامعة يدعو جميع الطلبة الراغبين في الترشح لعهدة نيابية لتمثيل الطلبة في المنظمات الطلابية أن يودع ملفه حسب الشروط التالية:

اولا ان يكون الطالب الراغب في الترشح لم يتعرض لأي عقوبة ادارية.

ثانيا: أن يكون المرشح قد مارس العمل النقابي في أحد المنظمات لعهدة واحدة، أو اشتراك كعضو في أحد لجانها على أقل تقدير.

ثالثا يجب أن يجمع المرشح توقيعات تزكية من الطلبة تفوق ألف وخمسمائة توقيع.

محمد أطن أنها شروط تعجيزية للكثرين، ليسدوا الأبواب على الأحرار، ويفسحوا الطريق لمن تريدهم الإدارة أن يفوزوا، ويكونوا لها كلاباً مطيعين.

صلاح مثل هذه الشروط ستمنع الأغلبية المطلقة من الطلبة للترشح، وستسمح فقط للمعتادين على ذلك تكرار العملية لسنوات عديدة.

سليم هم يضعون هذه الشروط التعجيزية لغلق الطريق فقط على الأحرار الذين يمثلون الطلبة بصدق ويدافعون عن حقوقهم.

عادوا إلى الغرفة سريعاً وهم خائي الظنون، ويعترفهم الحزن البادي على وجوههم.

محمد لقد سئمت من هذه الصراعات التي لا تنتهي وأظن أنني لن أترشح مجدداً، فالأوضاع اختلفت كثيراً عما سبق، والجامعة أصبحت دكتاتورية لا تؤمن بحرية الرأي، وتخدم فقط المطلبين والموالين للإدارة والرئيس.

أمين ما رأيكم في أن نقابل الأستاذ عز الدين ونطرح عليه انشغالاتنا بخصوص ما يحدث؟

صلاح إنها فكرة، سنذهب لطلب لقائه هذا المساء.

سليم أكيد أنه سيقف إلى جانينا كما اعتاد دائماً.

وفي مساء ذلك اليوم اتجهوا جميعاً إلى نيابة مديرية التعليم العالي للطورين الأول والثاني والتكوين المتواصل والشهادات، وبمجرد

وصولهم استوقفهم عون الأمن والحراسة، وطلب منهم تحرير طلب مقابلة أولاً، ثم سلمه إلى السكرتيرة، وطلب منهم الانتظار، ومكثوا في قاعة الانتظار لأكثر من ساعتين، فالنائب الدكتور عز الدين مشغول جداً هذا المساء، لكنه سمح لهم بمقابلته لفترة وجيزة فقط.

دخلوا إلى مكتبه الشاسع، فرحب بهم قائلاً: أهلاً بطلبي الأعزاء.

نطق محمد مباشرة دون أي مقدمات قائلاً: استسمحك دكتور على أن أخذنا من وقتكم الثمين، فنحن أتينا نستفسر عن الأوضاع التي آلت إليها الجامعة برمتها، فبعدما كنا نأمل التغيير للأحسن، وفرحنا بالتعيينات الجديدة التي أجرتها الوزارة الوصية، إذ بنا نتقهقر إلى الوراء، فالجامعة هوت إلى أسفل السافلين، الطوابير في كل مكان، وشح الطعام يؤرق الطلبة كل يوم، وإلغاء مشاركة الطلبة في التربصات والمؤتمرات والتظاهرات العلمية خارج الوطن، وبقاء نفس المشاكل الدراسية ولم يتغير شيء، فهل هناك من تفسير؟

احمر وجه الدكتور عزالدين وأخذ يرخي ربطه عنقه وهو يبتسم ابتسامة مبطنة بالازدراء قائلاً: هذا ما تراه أنت والبعض الآخر فقط، لكن الأغلبية يرون العكس، ونحن نعمل على قدم وساق رفقة الرئيس لإصلاح كل ما أفسدته العصابة السابقة، وقد غيرنا الكثير في فترة وجيزة، تبقى فقط بعض الصعوبات التي يغرسها أعون الرئيس

السابق وزبانيته المتغلغلين في الإدارة، لكننا سنكشفهم يوماً بعد يوم  
ونتخلص من شرهم، لذلك ما عليك عزيزي سوى الصبر فقط وكل  
شيء بأوانه.

بعدما سمع محمد هذا الكلام عرف لب الموضوع ولم يضف أي  
كلمة أخرى والتفت إلى زملائه وغمزهم، غمزة خفيفة ثم استدار  
للدكتور عز الدين قائلاً وهو بهم بالوقوف شكرالله دكتور لقد وصلت  
الفكرة.

رد عليه النائب عز الدين قائلاً: على الرحب والسعة، أرجو أن تكون  
الأمور قد اتضحت لكم وإلى لقاء قريب.

غادروا مكتب النيابة مباشرة دون أن يضيفوا أي كلمة، وأثناء  
الطريق قال أمين: إنني متفاجئ من الأستاذ عز الدين هل هذا هو نفسه  
الذي كان يدرسنا؟ أكيد لا، هذا شخص آخر.

نورة المناصب والأموال والجاه تغير النفوس يا عزيزي.  
زهيرة لقد صدمتني ردت فعله.

محمد صحيح المناصب والأموال والجاه تغير النفوس الضعيفة  
ولكنها لا تستطيع فعل شيء في النفوس الزكية الابدية والمخلصة.

خالد اظن انه مغلوب على امره، وان اراده الرئيس اكثر من طاقتة.

نذير كان الاجدر به ان يستقيل وان يحفظ كرامته بدلا من هذه الاهانة.

نورة المناصب العليا والكراسي تغوي النفوس، فليس من السهل فعل ذلك.

مررت أسابيع وأيام والأوضاع تزداد سوءاً، وكانت المجموعة لا تجتمع إلا أحيانا في المكتبة المركزية، وكانت جل حواراتهم بالإشارات والألغاز، وكان أعوان الأمن والحراسة حتى بعض الإداريين والطلبة أيضا، يرافقون كل صغيرة وكبيرة وشكلوا مجموعات وخلايا متربطة من الواشين وناقلين الأخبار لرئيس مصلحة الأمن والحراسة السيد عثمان والذي يعد بدوره تقارير أمنية ترسل مباشرة في نسخ إلى بقية المسؤولين وإلى الرئيس شخصيا والأمين العام للجامعة أيضا.

وحدث أن عقد محمد وأمين وصلاح وسليم وخالد ونذير وسمير اجتماعا سريا في أحد ليالي عطلة الأسبوع، وقد وشى بهم أحد الطلبة الذي كانت غرفته تقابل غرفتهم، وحضر عشرات أعوان الأمن والحراسة وعلى رأسهم السيد عثمان وأعدوا تقريرا أمنيا خطيرا إلى السيد الرئيس والأمين العام للجامعة ومدير الإقامة الجامعية في الحال، دونوا فيه أشياء خطيرة تهم المجموعة بعقد اجتماعات سرية تهدد أمن واستقرار الجامعة، ودعوة الطلبة للاحتجاجات والإضراب،

للإضرار بسيرورة الدروس والخدمات الجامعية المختلفة، واستفزاز  
أعوان الأمن والحراسة والدخول معهم في جدال.

وفي منتصف نهار الغد علقت إعلانات كثيرة بخصوص ما حدث  
البارحة مؤكدة توقيف المجموعة مؤقتا عن الدراسة لغاية مثولهم  
 أمام مجلس التأديب للجامعة يوم الخميس القادم.

تذمر محمد والتزم المكوث في غرفته، وأصبح لا يغادرها إلا للالتقاء  
بزهيرة مساءً أمام إقامة الطالبات، والجلوس سويا تحت شجرة التوت  
في تلك الحديقة الصغيرة رفقة أمين ونورة، اللذان كثيرا ما يسيران  
ذهبابا وايابا على طول الحديقة أو أمام باب الإقامة، على عكس محمد  
وزهيرة اللذان يفضلان المكوث طويلا تحت تلك الشجرة.

وفي يوم الخميس انعقد مجلس التأديب بحضور الرئيس نفسه  
وجميع نوابه والأمين العام للجامعة، وبقية أعضاء المجلس التأديبي،  
حتى أنهم لم يمنحوا لهم الفرصة الكاملة للدفاع عن أنفسهم بل كان  
الرئيس يحتكر الكلمة وهو في حالة من الهيجان والغضب، ثم خرجوا  
من القاعة لإجراء المداولات وقالوا بأن النتائج ستظهر يوم الأحد  
القادم.

مر ذلك الأسبوع ومحمد وزملاؤه مكتئبين، وقد وجدوا أنفسهم وحيدين في الدفاع عن أنفسهم من غطرسة وانتقام الإدارة، ولا أحد من بقية الطلبة يقف إلى جانبهم، فالكل خائف على نفسه ووقف يتربّل ما ستسفر عنه فحوى مجلس التأديب، وكان عزاء محمد الوحيد في حبيبته زهرة التي كانت تدعمه وتشجعه وكان يفضي لها بأسراره ويشجن قوته من عواطفها.

وصباح يوم الأحد علقت نتائج مجلس التأديب التي جاء فيها ما يلي:  
توبخ إلى كل من محمد وأمين وصلاح وسليم أصحاب الغرفة التي  
عقد فيها الاجتماع.

إنذار لكل من خالد ونذير وسمير.

وبعد اطلاع محمد وزملاؤه على النتائج رفضوا أن يودعوا طعون، لأنهم يعلمون أنها لن تجدي نفعا، وأن ما قامت به الإدارة مجرد مسرحية ظاهرة للعيان، وهي تعريضهم لعقوبات إدارية حتى يقطعوا عليهم الطريق للترشح لتمثيل الطلبة في المنظمات الطلابية التي حلّت مؤخرا بقرار من الرئيس، والتي ستجرى انتخاباتها المسبقة بعد أيام.

لقد انتصف العام واجتاز الطلبة الامتحانات الفصلية، وجاءت النتائج كعادتها وتتصدر الحاج إبراهيم دفعة الحقوق قبل محمد

وأُجريت انتخابات المنظمة الطلابية، وفاز بها حسين وقائمه التي ضمت أيضاً صديقه الخبيث ياسين ذو اللحية وصاحب القميص وصديقه دلال، وعادت الجامعة إلى سابق عهدها وكأن شيئاً لم يتغير، فرجعت شركات الحاج إبراهيم للواجهة لتفوز بجل الصفقات العمومية، وعادت المنظمة الطلابية الحرة بقيادة حسين تزكي كل مشاريع الإدارة دون اعتراض، وظهرت نقابة الأساتذة بقيادة البروفيسور بوعلام للواجهة من جديد، وأيضاً نقابة الموظفين والعمال المهنيين بقيادة عمي حمد تعشاش من مختلف الأحداث.

إنَّ الحياة العصرية أصبحت معقدة ومتسرعة، فاشتبكت واختلطت وتنوعت فيها الأحداث الاجتماعية المختلفة، حيث ظهرت عادات وتقاليد وآفات أخرى جديدة، لم تكن موجودة من قبل ومعهودة في الأزمان الماضية، مما فتح آفاقاً جديدة ومتعددة لفن الكتابة والتأليف، على تنوعه واختلافه خاصية فن كتابة القصة والرواية، وأصبح للكاتب طرقاً أوسع، ومجالات متعددة، وتوفرت له المادة الدسمة الأولى للتألُّف والكتابة، وفتحت أمامه سبلًا كثيرة، لكن هذا تزامن أيضاً مع ظهور مئات بل آلاف الكتاب، وازدهرت الساحة الفنية بالمؤلفين، بعدما تيسرت وتوفرت شتى الطرق الميسرة لهذا الفن، وأصبح ليس من السهل لأي كاتب مبتداً جديداً، إيجاد موطن قدم ومكان في هذا الطابور وسط الساحة الفنية التي أصبحت تعج بالكتاب والمؤلفين.

وفي خضم هذه الأحداث المتسرعة والتغييرات المستمرة التي يشهدها المجتمع، ولدت هذه الرواية من رحم المعاناة وحاوت فيها معالجة العديد من المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع، بأسلوب سلس ومرن وبسيط وواضح، وبأحداث مستسقة من الواقع المعاش، حتى تلجم إلى قلب القارئ دون تأشيرة أو حواجز، ليسرح فيها بخياله إلى أبعد

الحدود، وقد اخترت حصر الاحداث في مؤسسة عمومية ضيقة، لكنها اوسع كلما أسقطها القارئ على محيط اجتماعي اكبر.

ومن خلالها حاولت أن أجد مكاناً، وسط هذا الزحام من الأدباء والمؤلفين، وتعويض الزمن الطويل الذي فات من عمري، بسبب الظروف القاهرة والمعقدة، التي حالت دون ولوجي إلى عالم الكتابة والتأليف.

فبعد هذا الجهد المضني الذي بذلته في سبيل إخراج هذه الرواية إلى الوجود، أتمنى أن تجد موطأ قدم بين ما تعج به الساحة في عالم الأدب، من روايات وقصص متنوعة، وان تناول الإعجاب وتجد بما تحمله من أفكار أدبية وقيم إنسانية، طريقها إلى قلوب وأرواح ووجدان وعقوال القراء، وان تناول حظا من النجاح في عالم الأدب والفن.